

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

من تراث عبدالله النديم « ٣ »

كان ويكون

تقديم

د . عبدالعظيم رمضان

دراسة تحليلية

د . عبدالمنعم إبراهيم الجميع

طبع بمطبعة دار الكتب
القاهرة ١٩٩٥

کات و پون

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

من تراث عبدالله النديم « ٣ »

كان ويكون

تقديم

د. عبدالعظيم رمضان

دراسة تحليلية

د. عبدالمنعم إبراهيم الجميعي

طبع بمطبعة دار الكتب
القاهرة ١٩٩٥

« الذم لا تضيع بالعوارض ، والهمم تحيا في الشدائد ..
والإنسان عبارة عن سطر يكتب في صفحات الزمان »

عبد الله النديم
« كان ويكون »



تقديم

يستمد عبد الله النديم أهميته في تاريخ مصر من مصدرين : الأول : وطنى ، ويتمثل في مشاركته الايجابية في الثورة العربية كخطيب للثورة ومدافع بالكلمة المكتوبة عنها ، والثانى ، فكرى ، ويتمثل فيما أصدره من صحف وألفه من كتب ، ومن هنا كان اهتمام مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بإعادة نشر ما أصدره من صحف وكتب . فقد سبق للمركز أن نشر صحيفة « التنكيث والتبكيث » ، أولى الصحف التى أنشأها عبد الله النديم فى ٦ يونيو ١٨٨١ ، ثم نشر صحيفة « الأستاذ » ، ثلثة الصحف التى أصدرها النديم بعد « التنكيث والتبكيث » و « الطائف » . وها نحن نقدم للقارئ كتاب « كان ويكون » أبرز مؤلفات عبد الله النديم التى كتبها بعد هزيمة الثورة العربية وتصفيتا فى عام ١٨٨٢ .

وكانت سلطات الاحتلال قد نصبت المحاكم العسكرية لمحاكمة الثوار ، ونفت منهم من نفت وأعدمت من أعدمت ، وجاء دور محاسبة عبد الله النديم ، فلفقت له تهمة الاشتراك فى حرق الاسكندرية ، ونسبت للنديم أنه قال عند عودته من الاسكندرية بالقطار يوم ١٣ يولية ١٨٨٢ : « إننا جرقنا الاسكندرية ، وقتلت بمسدسى ثلاثة من الأجانب » . وعندما علم بذلك أيقن أن مصيره لن يفترق عن مصير سليمان داود ، وهو الاعدام . فقرر الاختباء ، وواتاه الحظ بقبول الشيخ محمد الهمشرى ، عمدة

العتوه القبلية ، ايواءه فى داره ، رغم المخاطرة الجسيمة . ولكن الظروف تطلبت من النديم التنقل فى قرى مديرية الغربية وبلادها متنكرا ، وقد أقام ببعض هذه البلاد ، مثل « الكوم الطويل » ثلاث سنوات ، تحت اسم الشيخ يوسف المدنى ، كما أقام فى القرشية ضيفا على أحمد باشا المنشاوى مدعيا أنه عالم يمنى يدعى الشيخ على اليمنى ! وقد تزوج فى خلال هذه الضيافة بزوجته الثالثة . وظل على مغامرات هذا الاختفاء مدة تسع سنوات حتى تعرف عليه رجل بوليس سرى سابق ، فوشى به طمعا فى المكافأة التى رصدتها الحكومة للقبض عليه وقدرها ألف جنيه ، فألقى القبض عليه فى بلدة « الجميزة » فى ٢ اكتوبر ١٨٩١ ، وكان رئيس نيابة طنطا الذى أجرى التحقيق معه قاسم أمين !

على أن القبض على النديم أثار ضجة كبرى فى مصر والعالم الاسلامى ، وبدأت الصحف تكتب مطالبة بالعفو عنه ، فقرر مجلس الوزراء برئاسة عبد الرحمن باشا رشدى فى جلسته المنعقدة فى ١٢ اكتوبر ١٨٩١ ، ابعاد النديم إلى الشام ، والافراج عن جميع الذين قبض عليهم وسجنوا بتهمة معاونته على الاختفاء ، ومنح النديم ١٥٠ جنيها ليستمع بها فى منفاه فى شئون الحياة .

وقد سافر النديم إلى يافا من ميناء الاسكندرية وسط
مظاهر تكريم الوطنيين ، وشيعة محافظ الاسكندرية عثمان
باشيا عيرفى ، ووصل إلى يافا فى ١٥/١٠/١٨٩١ ، ولكنه لم
يستمر طويلا لأن الخديو توفيق توفى فى تلك الأثناء وخلفه
الخديو عباس حلمى فى يناير ١٨٩٢ ، وأراد أن يتقرب إلى
الوطنيين ، فعفا عن النديم فى ٣ فبراير ١٨٩٢ وعاد النديم إلى
مصر فى يوم ٩ مايو ١٨٩٢ ، بعد أن اختفى من الحياة السياسية
ما يقرب من عشر سنوات - أى منذ ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ . وكان
عمره قد اقترب من الـ ٤٧ عاما .

على أن نضال النديم الوطنى والمحن التى مر بها ، خصوصا
محنة الاختفاء ، أضعفت صحته ، وغلبت عليه روح التصوف ،
فليس العمامة الخضراء والجبة والقفطان وهى زى الأشراف
المنتسبين إلى أسرة الرسول الكريم ، وجاهر باتصال نسبه
بالرسول صلى الله عليه وسلم ، وأصبح يدعى : « السيد عبد الله
نديم » .

على أن عملا وطنيا آخر كان ينتظر عبد الله النديم ، فقد
عاد ليجد الاحتلال البريطانى يسيطر على البلاد ويخمد كل
صوت ويشهر سيف الاغلاق على كل صحيفة وطنية ، فقد ألغى
جريدة « الوطن » وعطل جريدة « الأهرام » ، وألغى جريدة
« الشرق » وجريدة « الزمان » ، وأندز جريدة « الصادق »

بالإغلاق ، ومنع جريدة العروة الوثقى من دخول البلاد .
ولكنه عاد ليجد الصلة بين حاكم البلاد واللورد كرومر قد
تغيرت ، اذ بدأ الصدام بين الخديو عباس واللورد كرومر بسبب
تسلط العميد البريطاني ، وأخذ الخيو عباس يتقرب من
الوطنيين ، وحفظ له النديم جميل عفوه عنه وسماحه له بالعودة
إلى مصر ، فسارع إلى تأييده وجعله رمزا للمقاومة الشعبية
للاحتلال ، وطلب من الشباب أن يؤيدوه في مقاومته للاحتلال .
واتصل الخديو بالنديم وبجمعية الشبان التي يجتمع أعضاؤها
به ، ومنحهم تأييده ومعونته ، وتوثقت أواصر الود بين عباس
والنديم .

وقد سارع مصطفى كامل إلى لقاء النديم عندما علم
بظهوره في القاهرة ، وقدم نفسه اليه كطالب من طلبة الحقوق ،
فرحب به ، ونشأت بين الفتى والنديم صلة كان لها تأثيرها
البالغ في مصطفى كامل ، فقد وجهته إلى العمل الصحفي بعد
أن شرح له النديم أهمية الصحافة ودورها في تنوير وتكوين
الرأى العام .

وكانت خطة النديم لإيقاظ الوعى بين الشعب المصرى
وتوعيته بأضرار الاحتلال ، هى إصدار جريدة يعبر فيها عن
آرائه ويحفز فيها هم المصريين ، ولكن كيف السبيل إلى

إلى تضريح وزارة الداخلية ؟ لقد تغلب على ذلك بأن طلب إلى أخيه عبد الفتاح النديم استصدار ترخيص باصدار مجلة الأستاذ الأسبوعية ، على ألا تتعرض للأمور السياسية الداخلية والخارجية . وقد نالت هذه المجلة من الشهرة والانتشار في شهور قليلة ما لم تنله غيرها في أعوام ، وكتب فيها كبار الكتاب والشعراء في مصر والخارج ، وأصبحت أكثر الصحف انتشارا حتى اليومية منها ، وأصبحت منافسا خطرا للمقطم لسان حال الاحتلال ، وجاهر فيها النديم بنصرتة للخديو وتأييده لسياسته .

... على أنه عندما شعر كرومر بخطر « الأستاذ » أوعز إلى رياض باشا رئيس الوزراء بأن يرسل انذارا إلى « الأستاذ » بالفلق اذا تعرض للسياسة ، واتهمته المقطم والبروجرية بأنه يعد لثورة كالثورة العرابية ، وعندئذ طلب اللورد كرومر من الخديو نفي النديم لأنه يثير روح التعصب الديني في البلاد . فنفي النديم مرة أخرى خارج مصر ، وخرج آخر عدد من الأستاذ في ١٢/٦/١٨٩٣ ، وغادر مصر إلى يافا في منتصف يونية ١٨٩٣ ، ثم استقر بالآستانة ، ونال الحظوة لدى السلطان العثماني وتعرف بذوى الفضل من الوزراء والعلماء ومنهم السيد جمال الدين الأفغاني ، وقضى نحبه بها في ١١ أكتوبر ١٨٩٦ .

وهذا الكتاب الذي نقدمه للقارئ ، وهو كتاب : كان ويكون : كتبه النديم أثناء فترة الاختفاء عن عيون الانجليز ، وهو عبارة

عن مناظرة بين النديم وأحد الفرنسيين حول المشكلات الدينية والخلافات السياسية والتاريخية بين الشرق والغرب وعادات الأمم المختلفة ، والمقارنة بينها ، وأصل الأديان وفلسفتها - وهى مناظرة حبية تمت بالاتفاق بين المتناظرين .

وقد عهدنا إلى الدكتور عبد المنعم الجميغى بكتابة دراسة تحليلية له ، مع الحرص على طبعه بطريقة التصوير للمصفاظ على شكله الذى صدر به من مطبعة « المحروسة » فى عام ١٨٩٢ .

ومركز الوثائق وتاريخ مصر المعاصر اذ يقوم بنشر هذا الكتاب ليأمل أن يكون قد أدى جزءا من رسالته فى الحفاظ على تاريخنا القومى ومصادره الأصلية .

والله ولى التوفيق

الهرم فى ٢٢ مايو ١٩٩٥

أ.د. عبد العظيم رمضان

رئيس اللجنة العلمية المشرفة على
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

دراسة تحليلية

يعتبر عبد الله النديم أحد كبار المؤلفين المصريين البارزين في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فله من المؤلفات الكبيرة والصغيرة ما يعد بالآلاف منها الأشعار والأزجال والروايات ، والرسائل الأدبية والمقالات الصحفية والمؤلفات السياسية والعلمية والدينية التي شغلت افكار الكثيرين من الباحثين والسياسيين^(١) .

ولعل أبرز هذه المؤلفات هو ماكتبه خلال فترة الاختفاء فبعد هزيمة العرابيين في التل الكبير تمكن النديم من الاختفاء عن عيون الانجليز داخل قرى مصر ونجوعها لفترة امتدت من عام ١٨٨٢ إلى عام ١٨٩١ وقد اشرف على اختفائه جهاز من الوطنيين المصريين ساعدوه على الاختفاء عن عيون الحكومة وأمدوه بالكتب والمراجع التي ساعدته على التأليف والكتابة ومن هؤلاء الشيخ شحاته القصبي أحد مشايخ الطرق الصوفية المشهورين والشيخ سعيد الأزهرى صديق النديم والذي آواه في منزله حوالى شهر ، وامده بما يلزمه من كتب ، والشيخ محمد الممشرى عمدة العتوة القبلية الذى أقام النديم فى داره ثلاث سنوات وغيرهم .

وبالرغم من قسوة فترة الاختفاء ، ووحشة الأماكن التى كان يختفى فيها النديم وظلمتها لدرجة أنه لم يعرف فيها الليل من النهار ، ولم يتمكن من الكتابة أو القراءة إلا على ضوء مصباح صغير من الغاز^(٢) الكثير الدخان فإنه فكر فى التأليف والكتابة حتى يشغل وقته ويمارس هوايته ومع أن صديقه المستر عليه نصحه بتأجيل ذلك حتى تتحسن الأحوال بقوله «يمنعك من الكتابة الآن ظلمه القاعة ، واشتغال فكرك

بهذه المزعجات الحاصلة» فإن النديم لم يتأثر بكل هذه المعوقات التي زادتة تصميمها على الكتابة والتأليف فأخذ يصنع الحبر من هباب الفرن وبدأ يشغل نفسه بالكتابة فتفتقت قريحته واستطاع أن يؤلف عشرين كتابا في ألوان شتى من الآداب والعلوم والفنون ويتضح ذلك من رسالة له إلى صديق قال فيها «تراني فكري كليمي ، وقلمي نديمي استودعه مافي الصدور فيحفظه في السطور ثم يرده عليّ كتابا لم يجمع إلا صوابا . فاعود إليه بالنظر لترويح الفكر ، فتارة اشتغل بكتابه فصول في علم الأصول وأجمع عقائد أهل السنة بما تعظم به الله المنه ، وحينما اشتغل بنظم فرائد في صورة قصائد ، ووقتا اكتب رسائل مؤتلفه في فنون مختلفة ، وآونة أكتب في التصوف والسلوك وسير الأخبار والملوك ، وزمنا أكتب في العادات والاخلاق وجغرافية الآفاق ، ومرة أطوف بالأكوان على سفينة تاريخ الزمان ، ويوما اشتغل بشرح أنواع البديع في مدح الشفيع صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ، وأنصاره وأحزابه . وقد تم لي إلى الآن عشرون مؤلفا بين صغير وكبير فانظر إلى آثار رحمة اللطيف الخبير كيف جعل أيام المحنة وسيلة للمنحة والمنة^(٣) .

كما اوضح النديم أن الفترة التي قضاها في الاختفاء قد افادته في التفرغ للكتابة والتأليف وأبعدته عن ضياع وقته في زيارة الأهل والايوان وفي حضور مجالس الجمعيات والمدارس وغيرها فقال «أتراني كنت أكتب هذه العلوم في ذلك الوقت المعلوم ... (وكننت) اشتغل بعض النهار بتحرير الجورنال ، واقضى ليلي في دراسة الاحوال مشتغلا بمجالس الجمعيات الخيرية ومدارسهم^(٤) التعليمية وزيارة الاخوان ومراقبة ابناء الزمان ... فمتى كنت انظر للمخلفات وأكتب هذه المؤلفات»^(٥) .

ومن رسالة اخرى كتبها النديم إلى صديقه الأزهرى يتضح أن رغبته في التأليف والكتابة ترجع إلى حبه للخدمة العامة ورغبته في افادة

مواطنيه حيث يقول «وقد التزمت صرف أوقاتي في كتابه ماعساه أن يكون نافعا لإخواني، ولم يضرفني سوء الأخبار عما تعهده في حب الخدمة العامة»^(٥).

وكتاب كان ويكون» الذي نعرض له هو أحد الكتب العشرين التي ألفها النديم اثناء اختفائه وعن أسباب وضع النديم لهذا الكتاب هو أنه قبل الاختفاء كان قد اهتم بجمع الحوادث الهامة الخاصة بالشرق والغرب في كتاب من أربعة اجزاء سماه «مقابلة النظير» كان قد أهدها إلى السلطان العثماني محمود الثاني وأنه اراد استكمال هذا العمل بتأليف كتاب يشرح فيه للمؤرخين والكتاب سواء في الشرق أو الغرب الاحداث التي ألت بمصر وانتهت باحتلال الانجليز لها بصفته شاهد عيان لها ومشاركا فيها حتى يوضح الأمور على حقيقتها ولا يترك لأحد الفرصة أن يطلق قلمه بما يوافق مشاربه واغراضه لا بما يتفق مع الحقيقة ويتضح ذلك من قول النديم «فإن سأل سائل عن سبب وضعته أجبته بأنى لم أضعه امثالاً لأمر ملك أو خدمة لأمر أو ذى جاء أو لطمع في جائزة أو موافقة لأمة دون أخرى بل عندما خرجت متغيباً ووصلت المختفى الأول تذاكرت مع .. صاحب البيت في حوادث الشرق الأخيرة وأهميتها بالنسبة للمؤرخين وكاشفته بما كنت مشغلاً به من جمع الحوادث المهمة المختصة بالشرق والغرب دينا وسياسة وتخليدها في كتابي المسمى (مقابلة النظير) وانى انهيت منه أربعة اجزاء ضخمة إلى السلطان محمود وأريد الآن أن اشتغل باتمامه»^(٦).

وبالرغم من أن صديقه قد اثناء عن الانشغال بتأليف هذا الكتاب بقوله «يمنعك من الكتابه الآن ظلم القاعة واشتغال فكرك بهذه المزعجات الحاصلة ولو نشطت للكتابة فانك لاتعلم ان كان كتابك فقد أو بقى موجودا فيكون هذا الجزء الأخير أبتر»^(٧).

ومع أن النديم قد انصرف عن هذا الكتاب إلى كتابه الشعر بناء على نصيحة صديقه فإنه لم يلبث أن عاد إلى الكتاب عندما بلغه أن هناك من سيضع كتابا عن حوادث الثورة العرابية بما يتفق مع مشاريعه خشية أن تضيع الحقيقة وأخذ النديم يفكر في الخطة التي سيتبعها في كتابه الذي أراد أن يبدأ بتأصيل الأديان والمقارنة بين الشرق والغرب وينتهي به عند حوادث الثورة العرابية وخلال ذلك وبعد أن كتب المقدمة تذكر صديقا فرنسيا قديما كان قد حضر إلى مصر ليكتب عن أحداثها عن مشاهدة ويقين ، وكان قد تعرف عليه بالاسكندرية في عام ١٨٧٥ ويعرف أن له ضيعة كبيرة قريبة من مخبئه بالعتوة القبليّة ، وأنه لم يسافر إلى بلاده كما فعل العديد من الأوربيين خلال أحداث الثورة العرابية .

وقد فكر النديم في الكتابة إلى هذا الفرنسي لعله يجد عنده من الأخبار والمدونات مايساعده على ماشرع فيه ، فتشاور مع الشيخ الهمشري صاحب الدار التي يختبئ فيها في الأمر ، وطلب منه الاتصال بالخواجه الفرنسي ولكن العمدة تردد في الأمر وأخذ يراجع النديم حوالي ساعتين موضحا له كيف يأتمن على سره شخصا أجنبيا^(٨) . ولكن النديم أقنعه بالذهاب بقوله «لا تخش شيئا فإني واثق بدمته وعلو همته ، وقد استخرت الله تعالى فأنشرح صدري لهذا الأمر ، فتوجه إليه واعطه جوابي الذي سأكتبه إليه فإن سألك عن مكانه فقل له هو عندي وأن رغب لحضور فاحضره معك من غير أن تتخوف منه في شيء^(٩) مؤكدا له ثقته بطهارة ذمته ووفائه وإنسانيته فاقتنع العمدة في آخر الأمر وطلب من النديم أن يكتب الخطاب ليوصله للفرنسي ، فكتب النديم للفرنسي خطابا موضحا فيه ظروفه ، وطالبا منه أن يحافظ على سره ، وإن يكون رجلا من شدة العزائم^(١٠) .

وقد حمل الشيخ الهمشري رسالة النديم إلى الخواجه الفرنسي وسلمها له فقرأها ثم أعطاها لزوجته فقرأتها ثم أعادتها إليه فمزقها إربا زيادة في الحذر، ونظرا لتواجد بعض الناس في مجلس الخواجه أثناء ذلك، قام الخواجه بتمويه الأمر عليهم فقال للهمشري في غضب «قل له .. احفظ لي حقي عندك قبل كل انسان حتى آتيك ونتحاسب وإياك أن تمد يدك لبنك أو خواجه غيبي فإن فعلت ذلك وقعت في شرك المحاكم وحكمت عليك بالاترضاه»^(١١).

ومعنى ذلك أن الخواجه أوضح للمتواجدين في مجلسه أن الأمر لا يزيد عن كونه عملا تجاريا يتعلق بأحد عملائه المتعارفين معه في التجارة، فخرج الهمشري من بيت الفرنسي متكدرا ذاهل الفكر لعدم فهمه لقصد الفرنسي، ولما وصل إلى النديم وحكى له ما حدث إستبشر النديم خيرا وفهم مقصد الفرنسي، وشرحه للعمدة بقوله هو بعباراته التي القاها عليك «يشدد علىّ بعدم اخبار أحد عن مركزي، ويحذرنى من الوثوق بغيره مدة الاختفاء وينذرنى بأن الناس تغيرت أحوالهم فإن أخبرت صديقا غيره ربما انقلب عدوا وسلمنى إلى الحكومة فتحكم علىّ بما تراه، ثم أنه وعد بمجيئه وإن لم يعين الوقت فعبارة كلها خير ونعم»^(١٢).

وخلال انتظار النديم للخواجه حدث أن زار مأمور المركز منزل العمدة فسرت الهواجس من جديد في قلب العمدة، وتشكك في أن الخواجه اتصل بالمأمور وأخبره بمقر النديم^(١٣)، ولكن ما حدث كان بمحض الصدفة فالمأمور نزل بمضيعة العمدة أثناء تنقله بين قرى مركزه للمرور عليها دون أن يعرف بمكان النديم وخلال تواجد المأمور حضر الفرنسي إلى العتوة القبلية في الغروب مرتديا جبة وقفطانا وعمامة ومثلفا بحرام أبيض على هيئة مشايخ القبائل^(١٤)، ودخل المضيفة ولما رأى المأمور فيها تحول إلى قاعة أخرى دون أن ينتبه إليه المأمور ثم

دخل إلى غرفة النديم وقد وصف النديم المقابلة بقوله «وبينما أنا جالس وإذا بهذا الوفي دخل عليّ وسلم سلام المشوق الوهّان فعرفته بصوته وقمت إليه وتعانقنا عناقاً طويلاً تخلله ضحك وبكاء ثم جلسنا ودار الكلام بيننا فقص عليّ أخباراً وأحوالاً لا أعلم لي بها فتكدت وامتلت غماً وهماً» .

وقد أخبر النديم الفرنسي بنيته على التأليف والكتابة وطلب منه المساعدة باحضار بعض الكتب التاريخية ، وقد عجب الفرنسي من قدرة النديم على تحدى الصعاب فبالرغم من احاطة المخاطر به من كل ناحية فإنه يفكر في التأليف ولم تثنه الشدائد عن خدمة الفكر الانساني^(١٥) .

وعرض الخواجه على النديم أن يشاركه في ما عزم عليه يقوله «لا بد أن أشاركك في هذا العمل ، وأساعدك عليه»^(١٦) ولما تناقشا في خطة الكتابة انتهيا بأن تكون على هيئة مناظرة بينهما فيتقدم الفرنسي إلى النديم بأسئلة حول المشكلات الدينية الخلافات السياسية والتاريخية بين الشرق والغرب وعادات الأمم المختلفة والمقارنة بينها ، وأصل الأديان وفلسفتها ويحجب عليها النديم اجابات صريحة كما اتفقا على أن يزور الفرنسي النديم في مخبئه على فترات متقاربة وصلت في بعض الأحيان أنه كان يزوره يوميا .

كما اتفق الفرنسي مع النديم على أن يصطلح في أثناء كتابته كلمة الغرب بدلا من أوربا حتى تكون مقابلة لكلمة الشرق ، كما اتفق على أن يطلق اسم الغربي على الفرنسي واسم الشرقي على النديم خلال المناظرة^(١٧) وأن يكنى الدين المسيحي بالمسألة الغربية والدين الاسلامي بالمسألة الشرقية وأن يبدأ الكتاب بتأصيل المسألتين الشرقية والغربية بطريقة علمية بعيدة عن التعصب الديني أو القومي ثم ينطلق

النديم منها إلى سرد تاريخ مصر ، وقد طلب الفرنسي من النديم ألا يذكر اسمه إلا في أواخر الكتاب^(١٨) ، ولما كان الكتاب لم يكتمل فإننا لم نعرف اسم الفرنسي إلى الآن . وطلب الفرنسي من النديم أيضا الرد على جميع الأسئلة التي سئولها إليه سواء كانت دينية أو سياسية أو غيرها بطريقة موضوعية بعيدة عن التعصب مؤكدا له أنه سيفعل نفس الشيء معه ولا ينكر عليه أى حقيقة إذا كان يعرفها كما طلب منه أن يلتزم في اجابته بالتصريح لا بالتلويح ، وألا يترك الاجابة على أى سؤال مبنية^(١٩) واتفق الفرنسي مع النديم على تدوين المناظرة بطريقة عامة حيث ستقرأها جنسيات ونوعيات من البشر مختلفة منها «المسلم والمسيحي والموسوي والبرهمي والمجوسي والبودي والوثني وغيرهم»^(٢٠) وتعاهدا على ذلك «وعادا للحديث وتذكرا ما كان وما سيكون» .

وقد اتبع النديم في تأليف هذا الكتاب تسجيل ما يدور بينه وبين الفرنسي من حديث عندما يخلو إلى نفسه بعد نهاية كل لقاء ، ثم يعرضه بعد ذلك عليه قبل الخوض في غيره حتى لا يكون قد غاب عنه بعض ما تم في المناظرة^(٢١) وقد أخذ الفرنسي يزور النديم على فترات متقاربة ، وكان يحضر زوجته معه أحيانا ليشترك في المناقشة ، وتسهم بآرائها فيها كما كان يحضر المناقشة أحيانا الشيخ سعيد الأزهرى صديق النديم^(٢٢) والذي مكنه من الاختفاء وأعد له مخباء الأول وكان يحضرها أيضا الشيخ محمد الهمشري العمدة وصاحب المنزل الذي كان النديم يختبئ به ، وكانت تطول المناقشة بينهم أحيانا ويسهم كل منهم بآرائه فيها .

وقد استعان النديم في وضع هذا الكتاب بالاضافة إلى ماذكر بدفترين كان يضعهما في جيبه يدون فيهما افكاره ، كما اطلع على تفسير العلامة أبي السعود العبادي وقاموس الفيروز ابادي وغيرها من الكتب^(٢٣) التي كان يحضرها له سعيد الأزهرى .

وعن تقسيم الكتاب فقد بدأه النديم بافتتاحية يغلب عليها السجع ثم اتبعها بمقدمه بين فيها تاريخ وضع الكتاب والظروف التي كانت تحيط به أثناء تأليفه كما شرح فيه منهجه في التأليف .

ويقول النديم في مقدمته لهذا الكتاب أنه قد بدأ الكتابة فيه «في الساعة الثامنة من يوم الخميس ٢٨ ربيع الثاني عام ١٣٠٠ هجرية الموافق ٨ مارس عام ١٨٨٣ ميلادية في قاعة ظلما وحيدا بعيدا عن العلماء والكتيبات والجرائد مخفيا متغيبا عن الجواسيس والعيون على وإذا أعان الله تعالى على اتمامه وانهاؤه على ماتصورته ورتبته في مخيلتي أطلقتته بين القراء في صورة فدلكة دينية ولغوية ووطنية وسياسية وجنسية وأدبية مكلفا بطلب الصحة والدليل ولا أدعى العصمة فيه بل أقول أنه قابل للبحث مهيا للانتقاد معرض للاعتراض»^(٢٤) .

ولم يرتب النديم موضوعات هذا الكتاب في أبواب وفصول كالمتبع في مثل هذه الأمور بل كان يعنون موضوعاته بما يناسبها من عناوين وقد أوضح ذلك في مقدمة الكتاب بقوله «فليتقبل القارئ ما أكتبه على أنه شوارد أفكار وتتممه أعمال وإرشاد إلى اجتماع شرقي ومقابلة غربية علما وأدبا لاخشونة وتظاهرا . وليعلم أنني لأرتب كتابي على أبواب وفصول بل أعنون المواضيع بعناوين تناسبها وأمزجها بالطواريء التي تعتريني ترويحاً لنفوس القراء وتسليّة لذوى الأفكار»^(٢٥) .

وتضمن الكتاب بعض المسائل الدينية الجارية عليها الاختلاف بين الناس بطريقة قال عنها النديم «فلاني أسرد ذلك باعتبار ما هو عليه عند أهله لا مقبحا دينا ولا مزدريا بمشرب ولا مستخفا بامة ولا منتقصا لجنس»^(٢٦) .

وتطرق الكتاب إلى مسئولية كل من الشرقيين والغربيين حول ما يحدث في العالم من مشاكل بالرغم من أن كلا من الدينين الاسلامي

والمسيحي يدعو إلى محاسن الأخلاق والبعد عن العدوان وحفظ الحقوق والنفوس والأعراض «والتطهر من أوساخ الآثام ورزائل الفجور، ... وربط الآخذين به بقانون إلهي يسوى بين الأمير والحقير والغنى والفقر والقوى والضعيف، ويحكم بمسئولية كل فرد من الافراد عن أقواله وأفعاله»^(٢٧).

وقد أرجع النديم السبب في ذلك إلى أن كل فريق يتبارى في قدح الفريق الآخر ويخطيء معتقداته حيث «تسابق قلام الكتاب في التخطئة والتصويب والإفساد والتصحيح والتقييح والتحسين والمدح والذم والإغراء والتحريض وملأوا العالم بأوراق لقحت القلوب بما فيها فحملت العداوة وأنجبت هذا التنافر»^(٢٨).

وتعرض الكتاب إلى ظهور الرسل والمذاهب الدينية والديانات السماوية والوضعية وغيرها والكتب القديمة، واللغات والفلاسفة والحكماء ومناظراتهم العلمية موضحاً أن كل إنسان يتمسك بدينه لأنه يرى صحته، وأن الرسل منها اختلفت مباعثهم وتباينت لغاتهم «لم تختلف دعوتهم في موضوعها» وبنائها على أن هناك إله واحد موحد لهذه الأكوان^(٢٩) يحيى ويميت وينعم ويعذب في دار أخرى أعد فيها جنة للمصدقين العاملين، ونارا للمكذبين الضالين كما أوضح أن هؤلاء الرسل اتخذهم الله «أمناء على وحيه هداة لخلقهم يعلمون الشرائع ويدعون إلى وحده الاجتماع ويدلون الخلق على خالقهم ويعرفونهم قدره ومجده وعظمته وكبريائه وقد اصطفاهم وخصهم بالرسالة وعصمهم من الدنيئات وسفاسف الأمور»^(٣٠).

وأن حكمة الله تعالى اقتضت أن «يبعث كل رسول في قومه ليكون منهم عصبية تسهل انقادها للرحم يمهد بها طريق دينه ويتقوى بها على نشره وتعميمه»^(٣١) وتطرفت المناظرة إلى فئة الفلاسفة والحكماء

الأقدمين التي حفظت كتب الحكمة واعتنت بدراستها وشرحها حتى سهلتها «للمسلمين والموسويين والعيسويين وحلت مشكلات الحكماء ورموز القدماء وترجمت لغايتهم المتروكة وعرفت اقلامهم المختلفة» وقد قسم هؤلاء إلى قسمين قسم يسند دينه إلى سيدنا نوح عليه السلام وهم الصائبون وقسم يسنده إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام آتيا بطريق التلقى عن نوح عليه السلام وهم الكلدانىون»^(٢٢).

وإن هؤلاء اشتغلوا بكتب الفلسفة على أنها كتب تعليم فلما جاء الاسلام نشر التمدن في العالم الذي جملة الأوربيون إلى بلادهم بنشاط وهمة «وجمعوا كتب العلوم الشرقية من بلاد المسلمين شرقا وغربا .. وصرفوا في ترجمتها وتحصيلها الأعمار الطويلة والأموال الكثيرة وانكبوا عليها تعلما وتعلما»^(٢٣) حتى أوصلتهم التجارب إلى الوقوف على أسرار الكون وتطرقت المناظرة إلى قصة فرعون مع بني اسرائيل وهل مات فرعون مؤمنا أم كافرا فأوضح النديم إتفاق العلماء على عدم إيمانه «فالإيمان إذا لم يكن مقترنا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن النبي الداعي رسول الله لا يكون مقبولا لأن الإيمان بالله مع عدم الإقرار بصحة رسوله تكذيب للرسول في دعواه وتكذيب الرسول كفر على كفره لأنه ما شهد أن موسى رسول صادق ولا آمن برسالته»^(٢٤) كما أوضح النديم بأن التوبة ليست للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن .

وأشار النديم إلى توافق التوراة والقرآن في فلق البحر بضربه بعصا سيدنا موسى واعتراض الأوربيين على ذلك بحجة أنه لا يتفق مع العقل^(٢٥) فأوضح ضرورة احترام ما يرد في الكتب المقدسة مشيرا إلى النصوص المقدسة في كل من الكتابين الكريمين وإلى ضرورة احترام ما تعرض له الكتب الدينية .

وتطرقت المناظرة إلى المسيحية ومولد سيدنا عيسى عليه السلام والإنجيل ككتاب سماوى مقدس وأشارت إلى أن كل متمسك بدين يرى الحق معه فلو اعتقد الناس صحة جميع الأديان ما وقع بينهم خلاف .

وأشارت المناظرة إلى قبة الصخرة في بيت المقدس وكيف أنها من عجائب الله سبحانه وتعالى كما تعرضت إلى قصة الاسراء والمعراج معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣٥) .

كما تطرقت المناظرة إلى أحوال مصر حيث كان هدف النديم من التعرض للأديان والمقارنة بين الشرق والغرب هو التمهيد للوصول إلى المسألة المصرية حيث يقول «فما ذكر الأديان إلا وسيلة للدخول في المسئلتين ، وما المسئلتان إلا تمهيدا للمسألة المصرية»^(٣٦) فتعرض النديم لأحوال مصر السياسية فذكر أن رياض باشا كان «أحد الرجال المدربين على الأعمال السياسية والإدارية بل هو الرجل الصبور على الشدائد الذى لا يقابله مصرى فى أعماله»^(٣٧) وأنه كان جريئا لدرجة أنه اعترض على الخديو اسماعيل فى وقت كان لا يستطيع أحد أن يفتح فمه بكلمة وتطرق إلى تاريخه السياسى وأعماله فى تضيق الديون وترتيب قلم المراقبة ، ومساعدته للنديم فى تأسيس الجمعية الخيرية الإسلامية^(٣٨) .

وتعرضت المناظرة إلى أهمية التعليم وإنشاء المدارس فذكر النديم «إنى كنت أحب تعميم مدارس الجمعيات الوطنية لتخليص البلاد من ضيق الأمية»^(٣٩) .

وتطرق النديم إلى مانتكتبه الجرائد المصرية والأجنبية ضد الحركة الوطنية المصرية والشائعات التى كانت تتوارد بين الناس حول مصيره^(٤٠) .

وبعد أن بدأ أعضاء البرلمان الانجليزى فى مناقشة المسألة المصرية طلب النديم من الفرنسى أن يترجم له كل ما يختص بمصر ، موضحا أنه ليس لديه ثقة فى الانجليز سواء أكانت حكومتهم من الأحرار أو المحافظين فكل منها يعمل لمصلحة بلاده دون النظر إلى حق أبناء مصر الضائع خصوصا وأنه لا توجد روابط دينية أو جنسية أو لغوية أو وطنية بين المصريين والانجليز^(٤١) .

وتعرضت المناظرة إلى أحوال مصر بعد الاحتلال الانجليزى لها وكيف قبض على الوطنيين ونفى بعضهم وحوكم البعض الآخر ، كما أشارت إلى تكدر أبناء مصر من الاحتلال وإلى رغبة فرنسا فى ألا تعلن بريطانيا حمايتها على مصر^(٤٢) .

ويتضح من المناظرة أن النديم كان يرغب فى أن يتضمن هذا الكتاب ما كان قد جمعه عن العديد من الوطنيين المصريين قبل اختفائه ولكن لسوء الحظ ضاع على تاريخ مصر الكثير من عصارة فكر النديم وجهده خلال تسعة عشر عاما فالمعروف أن معظم مؤلفات النديم قد فقدت فى زمن حياته لأسباب شتى منها غرق بعضها فى النيل وذلك أثناء مهاجرة والده من الاسكندرية بعد ضرب الانجليز لها وذهابه إلى القاهرة مع من هاجر وكان قد احضر معه كتب النديم جميعها فى ثلاثة صناديق كبار ولما وصل القطار إلى كفر الزيات تراحم عليه المسافرون من المهاجرين تراحما هائلا نتيجة لهول الموقف وخشية وصول الانجليز اليهم فلم يسع رجال المحطة إلا أن يرموا جميع أمتعة الركاب فى النيل ليركب الناس مكانها^(٤٣) .

ومنها ما فقد عن طريق السرقة كما حدث عندما غافله خادمه أثناء اقامته بالمنصورة وسرق بعض متاع البيت ومنها الكتب وهرب ، ومنها

ما تم اغتصابه حيث كان النديم إذا سود شيئا جاء إليه من يستعيره منه ثم لا يرده إليه وقد فعل معه ذلك جماعة من القاهرة والأسكندرية والمنصورة ، كما أن بعض مؤلفاته قد حُرقت كما حدث في بلدة بدواي دقهلية عندما اختلف النديم مع عمدة البلدة وخرق بعض المتأمرين من انصار العمدة بيت النديم من كتب بعد فراره منه ، ومع ذلك فإن ماتبقى من مؤلفاته يكفي الحكم عليه بأنه كان أحد كبار المؤلفين المصريين في القرن التاسع عشر^(٤٤) .

نعود إلى كتاب «كان ويكون» فنذكر أن ماورد فيه من مناظرة بين النديم والخواجة الفرنسى يوضح بجانب قدرة النديم العلمية وتضلعه في المسائل الدينية صلابته في ذكر الحقائق حتى ولو كانت قاسية على نفسه أو كان أصحابها من أعدائه والأمثلة على ذلك متعددة نذكر منها : عندما تطرق موضوع المناظرة إلى رياض باشا وهو من أعداء النديم ومن أكبر الناقمين عليه كان النديم موضوعيا في حكمه عليه فاشاد به وباعماله واصلاحاته^(٤٥) .

ويتضح من المناظرة اعتماد النديم في كتاباته على المصادر الدقيقة أكثر من اعتماده على الروايات والأقاصيص لامتلاء معظمها بالتخيلات والخرافات والمثال على ذلك أنه حينما تطرقت المناظرة إلى موسى وفرعون واختلف النديم مع الفرنسى في رأى أوضح النديم أنه لا يأخذ بخبر من الأخبار إلا إذا استند إلى أحد الأصلين العظيمين القرآن والسنة أو إلى أحدهما^(٤٦) .

كما يتضح من المناظرة سباحة النديم وعدم تعصبه أو تشويشه على آراء الآخرين المخالفين له في الدين فعندما سأله الفرنسى عن أن اعتقاده في سيدنا عيسى على غير مايعتقده هو أوضح له النديم أن كل إنسان له الحق في اعتقاده دون حرج وإن كل متمسك بدين يرى الحق

معه ، وأن المصريين لا يقبجون أعمال الآخرين الدينية مبيناً أن الجدل بينهما لن يؤدي إلى الشجبات لأن الناس لو اعتقدوا في صحة جميع الأديان لربما وقع بينها اختلاف^(٤٧) وإلى جانب ذلك يتضح لنا مدى ثقافة النديم الدينية الواسعة التي استطاع بها أن يتطرق إلى موضوعات دينية حساسة سواء أكانت يهودية أو مسيحية أو إسلامية أو غيرها ، كما يتضح مدى ضلوعه في اللغة وفهمه العميق لأسرارها

وعلى كل حال فقد صدر كتاب كان ويكون في ٢٥٦ صفحة ويتضح لمن يقرأ هذا الكتاب أنه ناقص من آخره فتنهى آخر كلمة فيه عند جملة «فلاتكاد ترى» ثم تنقطع الكتابة عند هذا الحد . ويرجع ذلك من وجهة نظرنا إلى أن هذا الكتاب كان يطبع على هيئة ملاحق توزع مع مجلة الأستاذ التي كان يصدرها النديم ، ولما أغلقت المجلة في ١٣ / ٦ / ١٨٩٣ بناءً على إصرار كرومر ، ونفى النديم توقف استكمال طبع الكتاب ولم تطبع الأربعة والستون صفحة الباقية منه كما يذكر صاحب سلافة النديم .

وكتاب «كان ويكون» صدر في ثلاثة أجزاء طبعت مطبعة المحروسة الجزء الأول منه ، وفقد الجزء الثاني منه مثل الكثير من مؤلفات النديم التي تعرضت للضياع أما الجزء الثالث فقد عثر عليه الدكتور محمد أحمد خلف الله مخطوطاً في دار الكتب المصرية تحت عنوان تاريخ مصر في هذا العصر . فحققه وأقدم له . بتمهيد عن حياة النديم ومكانته وجهوده السياسية والأدبية ثم طبعه في عام ١٩٥٦ تحت عنوان عبد الله النديم ومذكراته السياسية مضافاً إليه خطبتين من خطب النديم ، ومقالتين ومحاورة ، وخمس رسائل من رسائل النديم إلى عرابي في منفاه في سيلان والكتاب يشمل المسألة المصرية وتاريخ مصر عن الفترة قبيل عصر محمد علي وعن عهد محمد علي وإبراهيم وعباس ونشأة الحزب الوطني

الأول والدور الذى قام به ، وعصر اسماعيل وتوفيق والثورة العرابية .
وبعد أن عرضنا لكتاب النديم «كان ويكون» يطرح علينا سؤال
نفسه هل ماكتبه النديم يعتبر نوعا من المذكرات خصوصا وأن الدكتور
محمد احمد خلف الله قد أطلق على الجزء الثالث فى هذا الكتاب
« عبد الله النديم ومذكراته السياسية »^(٤٨) .

الواقع أن الشروط التى يجب أن تنطبق على وصف بعض الكتابات
بالمذكرات لا تتوفر كلها فى هذا الكتاب فشرط المذكرات أنها تصور
الحادث عند وقوعه أو الرأى عند تكوينه^(٤٩) أما ماكتبه النديم فقد كان
بعد وقوع الأحداث ، ولا بد أنه تأثر أثناء كتابته بحالته النفسية وقت
الكتابة لذلك يغدو من الصواب أن نذكر أن هذه الكتابات أقرب إلى
التاريخ منها إلى المذكرات^(٥٠) .

وعلى كل حال فإن كتاب كان «ويكون» الذى نقدمه إلى الناطقين
بالضاد بعد مايقرب من مئة سنة على تأليفه يعتبر أحد مؤلفات النديم
الهامة والمتنوعة التى شملت أفكارا قيمة وبحوثا ادبية ودينية وتاريخية
وسياسية هامة تناولها فى أسلوب شيق جذاب وبروح الباحث المحقق مما
جعلها على جانب كبير من الأهمية لكل من يرغب فى التعرف على
تاريخ مصر وثقافتها فى القرن التاسع عشر ،

والله ولى التوفيق

ا.د. عبد المنعم الجميلى
أستاذ ورئيس قسم التاريخ
كلية التربية . جامعة القاهرة

هوامش المقدمة

- ١ - عن تفاصيل هذه المؤلفات وموضوعاتها انظر : سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله النديم ج ١ القاهرة - مطبعة هندية ١٩١٤ ص ٢٠ .
- ٢ - أحمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر القاهرة ١٩٤٠ ص ٢٠ .
- ٣ - الاستاذ : العدد الرابع عشر في ٢٢ نوفمبر ١٨٩٢ ص ٣٢٠ تحت عنوان «باب الانشاء والمآثر»
- ٤ - نفسه .
- ٥ - عبد الله النديم : كان ويكون ج ١ . القاهرة - مطبعة المحروسة ص ٢٠٥ تحت عنوان «الجواب بعد العنوان» .
- ٦ - عبد الله النديم : المصدر السابق ص ٦
- ٧ - نفسه
- ٨ - على الحديدي : عبد الله النديم خطيب الوطنية . القاهرة سلسلة اعلام العرب ص ٢٥٤
- ٩ - كان ويكون ج ١ ص ١٢
- ١٠ - عن نص الخطاب انظر :
كان ويكون ج ١ ص ١٣
- ١١ - نفسه ص ١٤
- ١٢ - نفسه ص ١٤
- ١٣ - على الحديدي المرجع السابق ص ٢٥٧
- ١٤ - كان ويكون ص ١٥
- ١٥ - على الحديدي : المرجع السابق ص ٢٥٨
- ١٦ - كان ويكون ص ١٥
- ١٧ - اختصر ذلك اثناء كتابته فاصبح حرف غ يدل على الفرنسى واصبح حرف ش يدل على النديم
- ١٨ - كان ويكون ص ١٦
- ١٩ - نفسه
- ٢٠ - نفسه ص ١٧

- ٢١ — نفسه ص ١٥
- ٢٢ — اشار إليه النديم في مكاناته بحرفي «س» وهما كما هو واضح نصف اسمه ، كما أشار إلى زوجة الفرنسي بالحرف «س» .اختصار لكلمة ست
- انظر محافظ مجلس الوزراء — نظارة الداخلية — محفظة رقم ٢٢
- محضر استجواب النديم
- ٢٣ — كان ويكون ص ٢٠
- ٢٤ — كان ويكون ص ٥
- ٢٥ — نفسه ص ١٠
- ٢٦ — نفسه
- ٢٧ — كان ويكون ص ٢١
- ٢٨ — نفسه ص ٢٢
- ٢٩ — نفسه ص ٢٧
- ٣٠ — كان ويكون ص ٢٧
- ٣١ — نفسه ص ٣٠
- ٣٢ — نفسه ص ٣١
- ٣٣ — نفسه ص ٤٩
- ٣٤ — كان ويكون ص ١٢٥
- ٣٥ — نفسه ص ١٩٤ وما بعدها
- ٣٥ مكرر — نفسه ص ٢٢٠ — ٢٢١
- ٣٦ — كان ويكون ص ٢٦
- ٣٧ — نفسه ص ٧٠
- ٣٨ — نفسه ص ٧١ — ٧٢
- ٣٩ — نفسه ص ٧٢
- ٤٠ — نفسه ص ٥٦ — ٥٨
- ٤١ — كان ويكون ص ٢٠٣
- ٤٢ — نفسه ص ٢٠٨
- ٤٣ — سلافة النديم ص ٢٣
- ٤٤ — عبد المنعم الجميلى : عهد الله النديم ودوره فى الحركة السياسية والاجتماعية . القاهرة — دار الكتاب الجامعى ١٩٨٠ ص ١٥٤ — ١٥٥
- ٤٥ — انظر كان ويكون ص ٧١ — ٧٢
- ٤٦ — كان ويكون ص ١١٤

- ٤٧ — نفسه ص ٢٠١ .
- ٤٨ — نشرته الأنجلو المصرية عام ١٩٥٦ .
- ٤٩ — محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية ج ١ القاهرة — النهضة المصرية ١٩٥٢ ص ١٢
- ٥٠ — عبد المنعم الجميلى : الثورة العرابية . بحوث ودراسات وثائقية القاهرة — دار الكتاب الجامعى ١٩٨٢ ص ١٩٣ — ١٩٤

• • • • •

ثبت المصادر والمراجع

أولا : وثائق غير منشورة

دار الوثائق القومية بالقلعة :

محافظ مجلس الوزراء . نظارة الدخيلة محفظة ٢٢ محضر استجواب
عبد الله النديم .

ثانيا المصادر والمراجع

١ - احمد تيمور : تراجم اعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر ،
القاهرة ١٩٤٠ .

٢ - عبد الفتاح نديم : سلافة النديم في منتخبات السيد عبد الله النديم
الجزء أول . القاهرة - مطبعة هندية ١٩١٤

٣ - عبد الله النديم : كان ويكون . الجزء الأول القاهرة - مطبعة
المحروسة ١٨٩٢ .

٤ - عبد المنعم الجميلى :

أ - الثورة العربية بحوث دراسات . القاهرة ١٩٨٢ .

ب - عبد الله النديم ودوره في الحركة السياسية والاجتماعية
القاهرة - ١٩٨٠

٥ - على الحديدى : عبد الله النديم خطيب الوطنية . القاهرة سلسلة
اعلام العرب د . ت .

٦ - محمد أحمد خلف الله : عبد الله النديم ومذكراته السياسية القاهرة -
الانجلو المصرية ١٩٥٦ .

٧ - محمد شفيق غربال : تاريخ المفاوضات المصرية البريطانية الجزء
الاول القاهرة - النهضة المصرية ١٩٥٢ .

ثالثا الدوريات

مجلة الاستاذ نوفمبر ١٨٩٢

•••••

كأن يكون

لمؤلفه الفاضل

السيد عبدالله افندي النديم الشريف

الادريسي الشافعي

الاسكندري

هذا الكتاب احد الكتب العشرين التي ألّفها وحررها حضرة
شقيقي الفاضل السيد النديم ايام اخفائه ويده الآن ستة كتب
تحت الاتمام اعانه الله تعالى على هذه الخدمة العامة فانه حفظه الله
تعالى لم يضع وقتاً من سني الاختفاء بلا اشتغال مع احاطة فكره
اذ ذاك بالمكدرات والمزجمات اذ كانت ثقته بالله تعالى اكبر من
خطوبه وامله في النجاة دافعاً لاهوام العطب . وسنطبع منها في الجريدة
ما يناسب مشربها ان شاء الله تعالى وابتدأنا بكان ويكون لكونه
تاريخاً ادبياً عاماً وهو جزآن ضخمان ينشر على التوالي خدمة لأولي
الالباب

عبد الفتاح
النديم

✽ طبع بمطبعة (الهروسة) بمصر سنة ١٨٩٢ ✽

بسم الله الرحمن الرحيم

أُبَسِّمُ والمُسَمِّي نَاءٌ عن الآثَاءِ . وأُحْمَدِلُ والْحَمْدُ لَهُ أَلْيُّ مِنَ
 الآلَاءِ . فهو الابْدِيُّ ذَارِيُ الْآبَادِ . اسْتَأْخِذْ بِالْبَرِّ فَايْرِزِ الْآحَادِ . وشَاءَ
 الْمَكُونَاتِ فَاَنْطَوَى السَّبْقُ فِي الْأَشَاوَى . وَتَنَزَّهْ عَنِ الْاَمَدِ فَدَمَغْتَ اَوَلِيَّتَهُ
 الدَّعَاوَى . اَوْجِدْ مَلَكَهُ بِدَعَا جَهْلِ كُلِّ بَدِيعٍ لِسَاسِهِ . وَسَاسِهِ بِمَا بَادَتْ
 فِي دَرْكِ كُنْهِهِ السَّاسَةُ . بِبِدْيٍ وَيَعْبِدُ بِلَا تَبَادُلٍ . وَيَدْلِي وَيَنْثِي عَلَى
 تَعَادُلٍ . غَابَ عَنِ انْسَانٍ وَظَهَرَ بِالْانْسَانِ . وَادْلِي بِاِحْسَانٍ وَاعْلَى
 بِالْاِحْسَانِ . وَحَثَّ وَامَرَ . وَنَهَى وَزَجَرَ . ثُمَّ حَرَّرَ الْعَمَلَ . وَاطْلُقِ الْاَمَلَ .
 لِيَعْمَلَ كُلٌّ عَلَى شَاكِلَتِهِ . وَيَفِرَّ مِنْ شِبَاكِ غَائِلَتِهِ . فَخَلْفَاءُ الْاَوَامِرِ مَجَازُونَ .
 وَأُفَاءُ الزَّوَاجِرِ مَجَازُونَ . وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ . مِنْهُ بِدْوُكُمْ وَابْسِرِ
 تَرْجِعُونَ . خَلَقَ الْانْسَانَ مَرْكَبًا مَعْرُوضًا لِلْفَسَادِ . وَاسْكَنْهُ اَرْضًا رَوَاجَ
 اسْوَاقِهَا كِسَادَ . وَبَثَّ فِيهِ اَرْوَاحًا تَبْعُثُ قَوَاهِ وَافْعَالَهُ . وَهِيَاءُ لِلْكَالِ بِقُوَّةِ
 دِرَّأَكَةِ فَعَالِهِ . ثُمَّ اخْتَارَ لَهُ مِنْ رِجَالِ الْعِزَائِمِ . لِيَدْلِهِ عَلَيْهِ بِالْمَثِيلِ الْمَلَائِمِ .
 وَاَوْحَى وَكَلَّمَ . وَارْشَدَ وَعَلَّمَ . وَقَالَ اَنَا الْاَوَّلُ فَادْعُوا اِلَيَّ وَاَنَا الْاٰخِرُ فَدُلُّوْا
 عَلَيَّ . وَكُونُوا بَطْوَلِي مُبْشِرِينَ . وَمَنْ بَطَشَنِي مُعْذِرِينَ . وَاعْمَلُوا فِي هَذِهِ
 الدَّارِ لِتِلْكَ الدَّارِ . وَلَا تَرْكَبُوا اِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . فَشَدُّوا
 فِي الْاِنْقِيَادِ مَعْقِدِ الْاِزَارِ . وَاسْمَعُوا النِّهْيَ وَبَلَّغُوا الْاِيمَارَ . وَوَقَفُوا بَيْنَ
 الْحَدِيدِ وَقَفَةِ الْمَوْثِقِ بِالْحَبَالِ . وَتَحْمَلُوا مِنَ الْاَعْبَاءِ مَا يَنْوُءُ بِشَمِّ الْجِبَالِ .
 وَنَادَوْا بِالْاِخَاءِ وَالتَّسَاوِي . وَالْكَفَّ عَنِ الْمَظَالِمِ وَالتَّسَاوِي . وَالدَّورَ مَعَ الْحَقِّ

حيثما دار . والسير مع الصدق أنى سار . وتوحيد كلمة الاجتماع .
وتبديد بوادر الابتداع . فرحين بمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره .
مشفقين من ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره . وعلى هذا دارت ادوارهم
الدعائية . وانقضت انتخاباتهم الاصطفائية . اذ بدأ مظهرهم الفيضي بآدم
الاولية . وأتبعه بكل طاهر مصفى من شوائب الحيوانية . وختم رحيق
تاريخهم السلسل . بختام عقد نظامهم الامثل . سيدنا ومولانا محمد . الذي
لم تشب حريته بذلة العبدان : أحد الأَحَدِينَ المنقنى من ولد عدنان .
فعلى جميع الشريف صلاة وتسليم : وإلى دعواتهم الحققة انقياد وتسليم .
وسبحان من لا يدرك اوليته تاريخ ولا يلحق بقاءه زمان . ولا اعياء ما
كان ولا يعجزه الامكان . اسأله تعالى اجراء قلبي بين قصبتى الحق
والصدق . وحفظه من التشيع الى فئة والخط على اخرى بلا حق . والاعانة
على هذه الخدمة العامة . حتى تنتهي ملخصة تامة : فانه وحده الفاعل
المختار . وكل ما سواه آثار



مقدمة

يقول الواضع كتابي هذا سميته (كان ويكون) وقدمته خدمة للام
الشرقية على اختلاف اديانهم واجناسهم واطنانهم - وقد ابتدأت الكتابة
فيه في الساعة الثامنة من يوم الخميس ٢٨ ربيع الثاني عام ١٣٠٠ هجرية
الموافق ٨ مارس عام ١٨٨٣ ميلادية في قاعة ظلماء وحيداً بعيداً عن
العلماء والكتبيات والجرائد مخفياً متغيباً عن الجواسيس والعيون من
الباحثين عليّ واذا اعان الله تعالى على اتمامه وانهاؤه على ما تصورته ورتبته
في مخيلاتي اطلقته بين القراء في صورة فذلكة دينية ولغوية ووطنية
وسياسية وجنسية وادبية وتاريخية مكلفاً بطلب الصحة والدليل ولا ادعي
العصمة فيه بل اقول انه قابل للبحث مهياً للانتقاد معرض للاعتراض ولكن
اذا حفظ لي القارئ في نفسه اربعة حفظت له مثلها . اذا حفظ لي
حق الانسانية من حيث هي في بنيتها على اختلاف الجنس والمعتقد حفظت
له الفضل في ذويه وعرفته بالمهذب الكامل . واذا حفظ لي سلامة
الدوق في النقد والتحقيق حفظت له حقي التصويب والتخطي . واذا
حفظ لي صبره حتى يفرغ من الكتاب مطالعة حفظت له عن كل اعتراض
جواباً فاني لا التزم قرن الجواب بالاعتراض في كل المواضع . واذا حفظ لي
معرفة وحدتي في غربتي بل قاعتي وتشويش افكار من يكتب جاهلاً
عاقبة اختفائه مكدرًا بمسموعه كل وقت عرفت له فضل المدارك العالية

وصفح الاحرار عن تقصير من يكتب وهو بين مخالب النوائب
ولا يرى القاري اني شددت فيها طلبت او تحلت بما اشترطت فاني
لم اقدم له ذلك الا لكوني لا اكتب كتابي هذا على مشربه الخاص ولا
اضعه على مذهبه المعين ولا اولفه لطائفه المستقلة ولا اخص به جنسيته
الجليلة ولا لاحبه في وطنه العزيز بل لأطلقه في الشعوب والقبائل والعشائر
والاقاليم على ما هي عليه فخذ ما نالك منه واترك ما لا يرضيك لمن
يرضاه واقراء من باب علمك به من غير ان تكلف بالعمل
فان سأل سائل عن سبب وضعه اجبته باني لم اضعه امثالاً
لامر ملك او خدمة لامير او ذي جاه او لطمع في جائزة او موافقة
لامر دون اخرى بل عند ما خرجت متغيباً ووصلت المختفى الاول
تذاكرت مع الصديق الفاضل العالم العامل صاحب البيت في حوادث
الشرق الاخيرة واهميتها بالنسبة للمؤرخين وكاشفتهم بما كنت
مشتغلاً به من جمع الحوادث المهمة المختصة بالشرق والغرب ديناً وسياسةً
وتخليدها في كتابي المسمى (مقابلة النظير) واني انتهيت منه اربعة اجزاء
ضخمة الى السلطان محمود واريد الآن ان اشتغل باتمامه فقال حفظه
الله تعالى بمنعك من الكتابة الآن ظلمة القاعة واشتغال فكرك بهذه
المزعجات الحاصلة ولو نشطت للكتابة فانك لا تعلم ان كان كتابك فقد
او بقي موجوداً فيكون هذا الجزء الاخير ابرر ولو صفت الاوقات
وانصرفت عنك المكدرات للزمك ان تكتب تاريخاً عاماً بصورة
فذلكة تاريخية وما اظنك تقوى على هذا الآن فانصرفت عن الكتابة

ونظمت قصيدتي المسماة وطنية الشرق التي مطلعها وما بعده . . .
 بكل صروف الدهر يتحن الحرُّ وفوق جبال العزم ينهمر الضر
 رويدك لاحي الحر هذا طريقه فحبه ولم ان طال في الدآب العمر
 تنام وتصحو في غروب وبكرة وليل شديد الباس ليس له فجر
 يقلب فكرًا فوق جمر عظام اذا اشتعلت نيرانها برد الجمر
 وهي ثلثائة ونيف وستون بيتاً اخلصت فيها التصع للشرقيين على
 اختلاف الجنس والدين . ثم لما تحولنا من بلدته الى هذه البلدة يوم
 الاربعاء ١٥ ربيع الاول سنة ١٣٠٠ توجه الى مصر وبعد ايام ارسل
 لي مكتوباً بقلم وضعته لمراسلتنا حتى لا يعرف احد سرنا لو عثر على
 شيء من كتبنا يقول لي فيه ان فلاناً سيضع كتاباً يجمع فيه حوادث
 مصر المتوجة للقرن الثالث عشر الهجري فعلمت انه يشير بوضع ما كنت
 مشتغلاً به بقدر امكاني الآن ورأيت ان المؤرخين من الشرقيين
 والغربيين سيقتمدون بن تقديم من مدح فئة وذم أخرى مطلقين اقلامهم
 فيما يوافق مشاربهم واغراض معاصريهم طمعاً في جائزة او ارتقاء لمنصب
 وما اضيع الايام في مثل هذه الاعمال

ولئن اعتذر المؤلف للافاضل من معاصريه عما تضمنه كتابه من
 مخالفة الواقع بعله من العلل المتقدمة فمن يعتذر عنه اذا انحرفت نفسه
 عن هيكلها ونشرت صحفه على من يأتي بعده من رجال الفضل الباحثين
 في سير الهالكين واخبار الماضين وقوبلت بما يدونه ارباب الافكار الحرة
 من سرد الوقائع وبسط الحوادث على ما كانت عليه فاضلة في اهلها او

مفضولة فانه لا يخلو عصر من وجود هذا الفريق الشريف قديماً وحديثاً على ان الناظر للمسئلة الاخيرة كالناظر في عضو مبان لا يدري القارئ من اي جسم هو اذ انه مقتضب بعد ستر سماء السياسة الشرقية بسحب العمل وتجريد سيفها المنمذ ثلاثة عشر قرناً ليدفع القول بقوة الفعل — هذا على فرض حرية قلمه وصدق عبارته فان جرى على قاعدة بعض المؤرخين في قولهم (وبني الامير او الملك البيوت وشيد كثيراً من القصور واقتنى الوفاً من الغانيات والعلمان الصباح وجمع مئيناً من المغنيات والراقصات وحاز صنوفاً من آلات الطرب واواني الشراب واسس المراقص والملاعب والملاهي وملاً الخزائن بنفيس الجواهر والمعادن والبسط المزركشة والطنافس المذهبة واعطى فلانة المغنية مائة الف دينار وفلاناً المضحك خمسين الفاً وفلاناً الشاعر الف الف درهم واقطع الامير فلاناً اقليم كذا والسيد فلاناً مدينة كذا وقتل الوفاً من يعارضونه في اوامره واعماله ومن اشاروا عليه بتخفيف مصروف الملاهي وتقوية الحصون وتكثير الجنود) ثم خلط هذه النقائص بقوله (وخاطب دولة كذا طلباً للاصلاح وسعيّاً خلف العمران واحكاماً للسياسة وتوسيعاً للتجارة) جاء الكتاب امشاجاً لا حد لموضوعه الا هذه مدائح فلان ولا ثمرة له الا مخالفته للواقع ونفس الامر هذا اذا كانت عبارته عامة في موضوعها فان خصصها بامة او قيدها بدين تكلف انتقاص الغير وعد فضيلته رذيلة واوما الى فضيلة من يعينهم ان لم يتمكن من التصريح وتغاضي عن مصالح الشرقيين من حيث هي في مواطنهم مع اختلاف الجنس والدين الداعية لوحدة الاجتماع

القاضية بدفع النفرة وصرف الاحناد من القلوب . وما اثبت النفرة بينهم
 بالعوارض الدينية والسياسية الا مثل هذه الكتب ورسائل الاضلاع التي
 اوغرت الصدور ومكنت العداوة بين قوم تدعوهم ضرورة الاستيطان
 الى السكنى في بيت واحد . فما قدمته من العمال كان الباعث على وضع
 كتابي هذا داخلاً فيه بالمقابلة بين الدوريتين الشرقية والغربية على اصول
 المسئلتين بعبارة لا يمل القارئ تلاوتها ولا تقصر في اداء المقصود ولا
 تعرض لذم او مدح او تقبيح او تحسين . وكنت اود ان لو ساعدتني
 المقادير على وجود ما جمعته في السنين الخالية من منتخبات التواريخ العربية
 والتراجم التي قصدت فيها كثيراً من افاضل الوطنيين وما ضبطته من
 الوقائع المصرية والعثمانية والافرنجية الصادرة في عصرنا بالنص المحرر فيها
 والوقت الحاصلة فيه ولكن ابى سوء الحظ الاضياع اتعاب تسعة عشر عاماً
 مع ما ضاع من والدي حال هجرته من اسكندرية الى مصر في ٢٧
 شبان سنة ١٢٩٩ اذ جمع مختارات كتبي ووضعها في ثلاثة صناديق
 كبار واخذها معه يوم خروجه على غير علم مني ففقدت منه في
 كفر الزيات بطريقة مذكورة في كتاب الاختفاء . وعند ما خرجت
 من مصر استصعبت معي مذكرتين صغيرتين كنت اقبل فيها زوائد
 وشوارد مؤملاً وصولي الى مكان امن فيه اتم الكتاب وهما وان كانا
 لا اقومان بكل المقصود الا انها تساعدان على التذكار والتخيل . وساجتهد
 في صرف الشواغل بقدر ما يمكن والتخيل محفوظاً او مشاهدات واضحة مع
 ما في المذكرتين في قالب يمكن الحاضر من تطبيقه على منظوره ومسموعه

ويصور الآتي صور المواضع على أشكالها التي لم يرها
 فليقبل القارىء ما أكتبه على أنه شوارد افكار وتتمه اعمال وارشاد
 إلى اجتماع شرقي ومقابلة غربية علماً وأدباً لا خشونة وتظاهراً . وليعلم اني
 لا ارتب كتابي على ابواب وفصول بل اعنون المواضع بعناوين تناسبها
 وامزجها بالطواريء التي تعترضني ترويحاً لنفوس القراء وتسلياً لذوي الافكار
 وإذا جاريت طائفة في سرد عبارة دينية او شرح مقصد سياسي فاني اسرد
 ذلك باعتبار ما هو عليه عند اهله لا مقبلاً ديناً ولا مزدرياً بمشرب
 ولا مستخفاً بامة ولا منتقصاً لجنس فاذا عثر القارىء على اعتراض يخصه
 عند ما اتكلم على الاجناس والسياسات رجوته ان يتبع المطالب ليري الجواب
 عنه ان لم يجده ملتصقاً به فان هذه الطريقة اشوق لقراءة الكتاب
 وادعى لتتبع المباحث

فان تعلق آمال القارىء بالسؤال عن المؤلف جنساً ونسباً ومولداً
 وديناً ووطناً اجبته باني رجل عربي الجنس حسني النسب اسكندري
 المولد والمربي اسلامي الدين اشعري العقيدة شافعي المذهب خلوتي الطريقة
 مصري الوطن تربيت على نفقة والدي حتى يفتت واخذت عن العلماء
 الافاضل كثيراً مما به يشتغلون من السمعيات والعقليات وجالست الادباء
 وشاركتهم فيما فيه يتنافسون وخالطت الامراء وداخلت الحكام وعاشت
 اعيان البلاد وامتزجت برجال الصناعة والفلاحة والمهن الصغيرة وادركت
 ما هم فيه من الجهالة وما يتألمون وماذا يرجون وحاييت كثيراً من
 متفرجة الشرقيين والممت بما انطبع في مرآة صدورهم من اشعة الغربين

وصاحبت جمّاً من افاضل الشرقيين المتعلمين في الغرب ممن ثبتت اقدامهم في وطنيتهم وفطروا على حب الجنس والوطن والدين وعرفت كثيراً من الغربيين ورأيت افكارهم عالية او سافلة فيما يخص بالشرقيين والغاية المقصودة لهم من مواطنهم واستيطانها وخدمتها واختلطت باكابر التجار وسبرت ما هم عليه من السير في المعاملة والسياسة وامتزجت بلفيف من الاجناس المتباينة جنساً ووطناً وديناً واشتغلت بقراءة كتب الادب على اختلافها والحكمة والتاريخ والادب وتعلقت بمطالعة الجرائد مدة واستخدمت في الحكومة المصرية زمناً واتجرت برهة وفلمت حيناً وخدمت الافكار بالتدريس وقتاً وبالخطابة والجرائد آونة واتخذت هذه المناعب وسائل لهذا المقصد الذي وصلت اليه بعناء كساني نحول الشينوخة في زمن بضاعة الصبي وسبكني في قالب الكهولة ايام الفتاه وتوجني بتاج الهرم الابيض بدل صبغة الشباب السوداء فصورتي تريك هيئة ابناء السبعين وحقيقتي لم تشهد من الاعوام الا تسعة وثلاثين (اي الى سنة ١٣٠٠ التي هي سنة التاليف) مبتدأة من عشر ذي الحجة سنة ١٢٦٢ فان عرفتني بهذه الصفات عرفت اني عبدالله وفقني لهذه الخدمة ابتغاء مرضاته وان ايت الا التصريح جاءك لقي في خلال الكتاب فانه على ما تصورته انيس للغريب وللوحيد نديم



* يوم الجمعة *

* غاية ربيع الثاني سنة ١٣٠٠ و ٩ مارس سنة ١٨٨٣ *

بعد ان فرغت من المقدمة و اردت الاشتغال بالتاصيل في هذا اليوم
تذكرت صاحباً لي من الغربيين له ابعادية بالقرب من بلدنا هذه واعلم
انه لم يهاجر الى فرنسا ايام هجرة الاوروبيين من مصر بل بقي هنا
ليكتب الحوادث عن مشاهدة ويقين ولهذا صاحب معرفة تامة باللغتين
العربية والتركية غير ما يعرفه من اللغات الغربية وكان قد حضر من
باريس في شهر ذي القعدة سنة ١٢٩٨ بعد حركة عابدين الشهيرة واقام هنا
متتبعا الحوادث يكتبها باوقاتها منقولة عن مصادرها بمقائنها لاشتغاله بمسائل
الشرق من امد مديد فكان تعارفنا قبل ذلك باسكندرية سنة ١٢٩٢
هجرية حيث كان يتردد على الديار المصرية والاقطار العربية والشامية في
كل سنة ثم يعود الى فرنسا فقلت للصديق الماجد رب الدار اريد ان
اكتب ورقة الى الخواجه فلان وارسلها مع حضرتك لتدعوه الى زيارتنا
لعلي اجد عنده من المواد ما يساعدني على ما شرعت فيه وبعد مراجعته
لي المرة بعد المرة قلت له لا تخش شيئا فاني واثق بدمته وعلو همته وقد
استخرت الله تعالى فانشرح صدري لهذا الامر فتوجه اليه واعطه جوابي
الذي اكتبه اليه فان سالك عن مكاني فقل له هو عندي وان رغب
الحضور فاحضره معك من غير ان تخوف منه في شيء وبعد توقفه
نحو ساعتين قال اكتب ما شئت فكتبت اليه هذا الكتاب واخذه وتوجه
به وهذه صورة ما كتبت به بعد العنوان

« صديقي ولا ازيدك على المصادقة شيئاً فما بعدها الا مقام الابوة او
البنوة . لي ستة اشهر لم يعلم بمكاني والدي ولا شقيقي فضلاً عن الاحباب
والاصحاب وكم هممت بمخاطبة اناس كنت ارى منهم الحنو وشبه الاخاء
ايام الرخاء فيضيق صدري وتجزع نفسي وتنكش اعضائي عند ما همس
بذلك فاكف عن الكتابة بتذكري انقلاب الناس بانقلاب الاحوال
خصوصاً وانا ارى الذين طاروا خلفنا باجنحة الاغراض الذاتية وملأوا
البلاد مدحاً وثناءً عادوا لمكاتبة الجرائد بالذام والاهاجي شأن عبدة الاوهام
وحكاة صدى المنادي من غير فهم معناه : ولما تذكرت وجودكم بالقرب
مني ورأيت سهولة مخاطبتكم انشرح صدري ونشطت اعضائي فلم ادر ان
كان ذلك لوثوق القلب بامانتكم وعلم الروح بطهارة ذمتكم وصدق حريتكم
ام لا نقضاء زمن الاختفاء على يديكم اذ تدل عليّ او تغري من يدل
عليّ فسارعت بكتابة هذه النيقة منتظراً تصديقك احد الخاطرين . فكن نفساً
بجناً حافظاً للعهد في زمن الشدة كما كان كثير من شداد العزائم من السابقين
ولا تكن جسماً صرفاً مائلاً للبدنيات التي تنزل بانسانية المرء الى حضيض
البهيمية وبلغ قرينتك المهذبة سلام من القى نفسه بين يديك موقناً بان
الله تعالى يلهمك الصواب ويجريك في شأني على صراط مستقيم »

الامضاء معلوم

ثم قعدت اجيل الفكر فيما فعلاته والهواجس تاتيني بوساوس مزعجة
وثقتي بالرجل تدفعها وتمازها حتى حضر رب الدار بعد ثلاث ساعات وعلى
وجهه لوائح الكدر فتبسمت له متجلداً ووسالته عن رحلته وما رآه فيها فقال

عندما وصلت بيت الحاجة وجدت عنده بعض الاجانب وثلاثة من مشايخ البلاد اعرفهم وبعد ان سلمت وسلم الجميع علي وشربت القهوة سألني عن موجب حضوري فناولته الورقة ففتح الظرف وقرأ المظروف ثم ناوله لزوجه فقرأته واعادته اليه فمزقه ارباً ورباه في الجنية وقال لي وهو مغضب قل له انا لم اعطك هذا المبلغ لتتصرف فيه لزيد وعبيد ثم تعتذر بالضرورات فاحفظ لي حقي عندك قبل كل انسان حتى آتيك وتحابس وياك ان تمد يدك لبنك او لحاجة غيري فانك ان فعلت ذلك وقعت في شرك المحاكم وحكمت عليك بما لا ترضاه - فقلت له هل من تذكرة صغيرة ابليها اليه فقال يكفيك ما سمعت ثم اخذ يتكلم مع الاجانب بلغته فظننت انه يخبرهم عنك فامتلات خوفاً عليك وصرت الومك في سري على مخالفتك لي وانتظرت قيام الناس لاخلو به فعملت من كلام دارينهم انهم مدعوون عنده للغداء ثم انه التفت الي وقال لي تفضل وقل له ما سمعت فقلت وانا ذاهل الفكر وسرت مكدرًا حتى جئتكم - فقلت له يا صديقي ان الرجل صدوق حريص على الصعبة وقد التزم الحدة في خطابه معك ليصرف افكار الحاضرين وهو بعبارة التي القاها عليك يشدد علي بعدم اخبار احد عن مركزي ويحذرن من الوثوق بغيره مدة التغيب وينذرن بان الناس تغيرت احوالهم فان اخبرت صديقاً غيره ربما انقلب عدواً وسلمني الى الحكومة فتحكم علي بما تراه ثم انه وعد بجيئه وان لم يعين الوقت فعبارته كلها خير ونعم ما فعل معك - ثم بقينا يومنا تذاكر في احوالنا وما جاء به الصديق من الاخبار الطارئة - وفي الساعة الحادية عشرة جاء مأمور المركز

ونزل بالمضيقة فنزل اليه صديقي ليحييه ويقضي له ما يريد من البلد وعند الغروب جاء الصاحب الغربي بحجة وقفطان وعمامة متخللاً بجرام ايض على هيئة مشايخ القبائل ودخل المضيقة فرأى المامور فيها فتحول الى قاعة اخرى وقال لاحد الخدم ابعث لي عمك سرّاً فاني اريده لامر يخصه فجاء اليه الصديق وقابله وفرح به فرحاً شديداً وقال له حيث ان المامور لم يرك فتفضل امش مع خادمي هذا كانك ذاهب ثم ادخل الى صاحبك من باب الدار فانه في محل خصوصي في جانب من بيت الحریم . وبينما انا جالس واذا بهذا الوفي دخل عليّ وسلم سلام المشوق الولمان فعرفته بصوته وقمت اليه وتعانقنا عناقاً طويلاً تخلله ضحك وبكاء ثم جلسنا ودار الكلام بيننا فقص عليّ اخباراً واحوالاً لا علم لي بها فتكدرت وامتلاّت غماً وهماً ثم راجعت نفسي ورجعت اليه بالكلام فاخبرته بمشروعي ورجوته ارسال بعض الكتب والمواد التاريخية . فقال لا بد ان اشاركك في هذا العمل واساعدك عليه الا انه عدل بي عن طريق التحرير المرسل الى وضع الكتاب على ما يدور بيننا من سؤال يقترحه وجواب اقدمه ونص عبارته

ارى ان الزم زيارتك كل يوم او يومين مدة اختفائك وان كان في ذلك مشقة الركوب صباحاً ومساءً وشاركك في سكنى هذه القاعة نهراً واجب ان تكف عن الكتابة المرسلة وتجعل الكتاب قاصراً على سؤالي وجوابك فاذا فرغنا من المناظرة تركتك تكتب ما يدور بيننا وثاني يوم نقرؤه قبل الخوض في غيره خشية ان يغيب عنك بعض المطالب حال الكتابة بحيث تكتب ما يدور بيننا على انه من متناظرين لا رابطة

بينها الا الصورة الانسانية فتعطي كل مقام ما يناسبه ولو ادى لانتقاص
احدنا او كلينا . وانعنون اوربا بالغرب موافقة للشرقيين في تعبيرهم عن
جنوب اوربا واوساطها وشمالها بالغرب مقابلة للشرق وعنوني بغربي وعنون
نفسك بشرقي وسم الدين المسيحي بالمسئلة الغربية ولدين الاسلامي بالمسئلة
الشرقية مجازاة للسياسيين في تعبيرهم . ثم ليكن سيرنا باعتبار تاصيل العصبية
وواضعي الدينين لندخل على المقصود من بابه واذا فرغنا من تحقيق مبادئ
المسئلتين والعوارض التي اعترضتها والوقائع التي تخالفت مدتيها تركتك
تسرد تاريخ مصر سردا مرسلا فاذا عن لي امر اثناء سردك سألتك عنه .
ولا تصرح باسمي الا في آخر الكتاب . واذا سألتك عن امر في جانب
الشرق دينيا كان او سياسيا او قبيليا فاترك الميل الجنسي والحب الوطني
واجبني بحقائق لا تنكر عليك فان رجع الي السؤال اجبتك عن الغرب
بحقائق لا تنكر علي . واذا طرأ علينا بحث في اثناء مطالب وسألتك عنه
فلا تتاخر عن الجواب فان المناظرة تقضي باعتراض شواذ يخطر بها المطالب
وشذور يستدعيها المقام . والتزم التصريح واترك التلويح في كل ما تقدمه
جوابا او سؤالا . واذا عز عليك مطلب فاجبني بقدر تصورك فيه ولا
تترك سؤالي ابتر فعذرک واضح واختفاؤك معلوم . واذا يسر الله العسير
وزالت دواعي الاختفاء راجعت افكارنا على منقول او مسموع فما
مذكرتك الادفرا جيب لا يقوم ان بهذا المقصد الكبير . وارى ان
مذاكرتي معك تكون كمادة تاخذ منها فتضطرک الى قدح افكارك ومراجعة
معلوماتك في مطالب ربما اذهالك عنها تشويش افكارك بالنظر في

شانك وعاقبة امرئ وتجلبد لهذه الشدة فما هي الا ايام محنة وتنقضي . وقد ملئت سروراً بوجودي مع رجل لم تشنه الشدائد وشدة البحث عليه عن الخدمة الانسانية . واذا علمنا ان مناظرتنا ستقع في ايدي المسلم والمسيحي والموسوي والبرهمني والمجوسي والبوذي والوثني وغيرهم كان علينا ان ندونها بطريق العموميات من حيث هي في اهلها وما علينا من الخصائص والغائبا فان الكتب العامة ليست مما يراعى فيه حال الحاضر او يحاكي فيه المعاصر . واذا شاركنا القارئ في الرجوع الى الحقائق وتغاضى عن ما لوفاته العارضة وتعصبه واعترف بالمنفعة النوعية الانسانية تمتع معنا بسيرة طيبة ومشرب خال عن الاميال ولا يضرنا بعد ذلك اذا جرت ذئاب المتعصبين على اذنانها او اكلت اباعر المتباغضين باقتابها

فقلت شمس جففت البلة ودواء ازال العلة ثم تهامدنا على ذلك وعدنا للحديث وتذكرا ما كان وما سيكون حتى وافانا المساء فودعني وانصرف الى ابعادته بسلام . وارى القارئ سيعجب غاية العجب عندما يعلم انني الرجل الذي عينت له الحكومة كثيراً من الجواسيس والعيون في عامة البلاد المصرية من أسوان الى الاسكندرية الى السويس الى دمياط الى العريش وارسلت مخصصين للبحث عليه في الشام وكتبت لبعض الناس في ايطاليا ليجتث عنه هناك واعلمت في جريدتها الرسمية (الوقائع) انها تعطي الف جنيه لمن عثر او دل عليه ترغيباً في شدة البحث فصيرت لما فوق قوة البوليس قوة عامة لكثرة

الجملة الذين تطعمهم هذه المنشورات وكتبت لجميع المدن والقرى والعزوبات (العزب) منشورين احدهما من سلطان باشا والثاني من دولتاو رياض باشا تهدد من يخفني او يؤذي او ينقاني من جهة الى اخرى او يساعدي على التنقل والارتحال وتحتم اعدام من يفعل ذلك . ومع هذا الطلب والتشديد اكتب لرجل يغايري جنساً ووطناً وديناً واعرفه بنفسي . ومكاني واستدعيه للحضور عندي مع ان معي في البيت نحو اربعين نفساً لا يعلم واحد منهم من انا بل غاية علمهم اني رجل شريف من جروان . اسمي الشيخ يوسف المدني وقد حضرت عند صاحب البيت لاعلمه بعض العلوم الشرعية ولا اخرج من القاعة لكوني صوفيا احب الخلوة واكره الاجتماع بالناس . ثم لا اراه الا متعباً كذلك من ورود خاطر التاليف علي واشتغالي به في مثل هذه الحالة . فمن الاول اجيبه بان الذم لا تضيع بالعوارض والهم تحيا في الشدائد وقد عرفت من صاحبي الغربي ذمة لا تقبل الضياع ولا تذهبها الدنياات وهمة لا تميل الى التسفل ولا تموت بالشدائد والمكاره فدعوته من غير روية واجابني بلا توقف ولا ارتياب بان راي القاري في اصدقائه ما رايت في صديقي وعلم ان نفسه تقتضي مثل هذه العقبة بقوة جاش كما اقتضتها غير مبال بما بعدها لم يجد للعجب محلاً . وعن الثاني اجيبه بان الانسان عبارة عن سطر يكتب في صفحات الزمان فان كتب بالماء اللهب ي زال وان كتب بمداد برزخه . والاول فن يضي عمره في اللذائذ والبهيميات بلا اثر يوثر عنه فاذا هلك نسي هيكله وعدم ذكره كأن

لم يكن شيئاً موجوداً ولا مذكوراً . والثاني من يتعلق بالمنفعة العامة
الانسانية فلا تفارق نفسه هيكله حتى يترك لها في مظهر الهياكل اثرًا
باقياً . وقد قال بعض الحكماء من لم يخلف لم يذكر فحمل معظم الناس
الخلف على سلالة الاصلاب خطأ فان واضع الحكمة لم يقصد الا
الآثار الباقية لا الولدان الفانية فقد سبقنا من الناس من مات عن
عشرات من الولدان وتعاقبت ذريته اجيالاً ثم ذهبوا من حيث ذهب
ولا علم لمن جاء بعدهم بهم كما تقدمنا من لم يقترن بانثى مدة حياته
وترك كتاباً ولو في فن غير معتنى به فبقي ببقاء الدهور يذكر بين يدي
الملوك والامراء والعلماء والاعيان والرعايا والاولاد والكل يجمله ويعظمه
ولا يذكره الا بالترحم عليه والترضي عنه . وقد قدر رزق واضع هذا
الكتاب بمحمد وعثمان والياس وفاطمة وعائشة وسكينة وخديجة ثم
استودع هياكلهم التراب ونفوسهم الجانب العلي الاقدس (كما رزق
بحفصة ورباً في الاختفاء ودرجتا ايضاً) فعلى رأي القائل بان الخلف
الذرية تكون حياقي بترام بعد ابناي ان لم ارزق بغيرهم ولا اراه مصيباً
وعلى رأي القائل بالآثر الباقي تكون خالدة بين من يتعاورون الحياة
الدنيا وان تداعى الهيكل بعد اجله المحدود . اذا تحقق القارئ هذا
وعلم ان حياته اذا لم تصرف في اثر باق كانت هباء رجع عن العجب
الى المجازاة . استغفر الله العظيم . لست ممن يدنون البدائع والغرائب
والمبتكرات وانما انا خادم تابع يصرف افكاره خدمة بلا مقابل تقليداً
وتشبهاً ويعرض افكاره على من هم فوقه علماً وادباً واقتداراً على الانشاء

والكلام بمن باب القيام بخدمة تعالى عنها الادباء لخدم افكارهم وعسى
ان يجيء الكتاب موافقاً للمشارب المشرقية فيعظى بالقبول فان المخاطب
الانسان دام مجده والمقصود الله جل شانه

يوم السبت غرة جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ - ١٠ مارس سنة ١٨٨٣
اشتغلت بكتابة ما تقدم الى العصر ولم يجئني الصديق الغربي فاشتغلت
بالمطالعة في تفسير العلامة ابي السعود العمادي وقد اعارني الصديق
الفاضل مع قاموس الفيروز ابادي فحضر ما ارتفعت من بلده الطيب
الى هنا - دخل وقت الغروب ولم يجيء الصديق الغربي فحضر الاخ
الفاضل صاحب البيت اوقال لي ما الذي تراه في تاخير صديقك
فقلت له لا تدنس افكارك فيه بشيء فانه مخلص في الصعوبة وما اخره
الا عذر طراً عليه فقال يحتمل ويحتمل ويحتمل واطال من الاحتمالات
وانا اذافعه ييقيني في الرجل حتى غربت الشمس وجاء الخادم
بجواب الى الاخ الماجد يعلننا به الصديق ان الشئ حرمة اصبحت بجي
اوجبت قيامه الى احد اطباء فاحضره وانه سيجي غدا ان شاء الله
تعالى فسكنت افكار الاخ الماجد وشكر للرجل عنايته ومعاظته على
حقوق الصعوبة ثم اخذنا في المناظرة بما لا يتعلق بالكتاب

يوم الاحد ٢ جمادى الاولى سنة ١٣٠٠ الموافق ١١ مارس سنة ١٨٨٣

حضر الصديق وابتدانا المناظرة معتمدين على جانب الحق سبحانه
وتعالى وقد جعلت حرف الخ إشارة للصديق الغربي وحرف ش إشارة
لهذا الضيف الشرقي وما صنع فوق كل سؤال رقياً يدل على عدده لتكون

الاسئلة محصورة عند نهايتها ولتسهل المراجعة عند اعادة النظر واردة الكشف على مطالب معين وقد ابتدأنا المناظرة بالتاصيل الشرقي والغربي على مقترح الصديق حسب الاتفاق الاصلي

غ كل من الشرقيين والغربيين يدعي ان الآخر وضع اساس هذا التخاذل الحاصل في الممالك ويتألم من اعمال رفيقه دينية كانت او سياسية ويعتذر للآثمة باقواله وافعاله ويقيم على ذلك ادلة وبراهين والعالم طائر خلف افكار الفريقين موتاً وحياتاً فعلى من تلقى احوال المسؤولية وما هي الحقيقة التي يتمسك بها العقلاء

ش لا يخفك ان هذا التخاذل والتعارض مبني على افتراق المسئلتين الشرقية والغربية ملتصقتين باطماع منكية وآمال سياسية ولم يشهد احد من الحاضرين وضع الاساسين فان واضعها العرب والرومانيون على قاعدتي الدينين الاسلامي والمسيحي ذاك في الشرق وذا في الغرب وقد سموا اتباع الاول مسلمين واتباع الثاني مسيحيين بعد ان ثبت لكل فريق صدق مبعوثه وحقية دعوته ووجوب تعميمها في الاقطار لتهديب النفوس وتوحيد الكلمة وجمع النفوس على عبادة خالقها وقد بني كلا الدينين على محاسن الاخلاق ولطائف الآداب والبعد عن العدوان والتطهر من اوساخ الآثام ورذائل الفجور وحفظ النفوس والاعراض والحقوق وربط الآخذين به بقانون الهي يسوي بين الامير والحقير والغني والفقير والقوي والضعيف ويحكم بمسئولية كل فرد من الافراد عن اقواله وافعاله بين يدي مولاه يوم يبعثه في النشأة الآخرة . وبعد

ناسيس الاصلين وذهاب مظهريهما كثر الاختلاف بين طوائف الدينين
بانتشارها في الاقطار ووقوعها في ايدي أم تحكم عليهم الاخلاق والعادات
والاطماع بالتأويل والتفصيل فجددت السيوف السياسية مطبوعة من
تلك الخلافات يتبارى رجالها جدالا ويتبارزون قتالا تارة في مماثلهم
واهلهم ومرة في مغايرهم واعادتهم بدعوى بواعث المدنية ومميتات
الهمجية وقد اتخذ كل فريق فجعله وجهة لافكاره ومداراً لاعماله ثم
تسابت اقلام الكتاب في التخطئة والنصيب والافساد والتصحيح والتقبيح
والتحسين والمدح والذم والاغراء والتحريض وملأوا العالم باوراق تلقت
القلوب بما فيها فحمت العداوة وانجبت هذا التنافر وقد صيروا سلسلة
الاتصال الانساني دائمة الاحتكاك فحدثت فيها حرارة اكلة فعالة مضادة
لما جاء به الدينان من الائتلاف وما دعوا اليه من هداية الخلق وحفظ
الدماء والاعراض والاموال ولا انقطاع لهذه الحرارة ما دامت سلسلة
الاجتماع الانساني في ايدي ذوي الاطماع والذاتيات من رجال السياسة
والمتعصبين لهم فافراد الطوائف بين ايديهم رضع يفظمون على الاحقاد
ويفتأون على العداوة ويشبون على الضغائن فاذا بلغوا مبلغ الرجال
قدموهم قرباناً لنيران الحروب وبطون اللعود في داخلية مما لهم
وخارجيتها يحصلون بذلك مطعمة ذاتياً ومظهراً ملكياً باسم الحقوق
المقدسة او الدين السلمي او العمران الانساني او الاجتماع المدني او
المحافظة على الحدود او امن التجارة والملاحة والسياحة او غير ذلك من
العلل التي تلتصق بالملوك وسائل لمقاصدها وللرومانيين والعرب العذر

في فتوحاتهم التأسيسية فان كلا منهم جاءه مبعوث بدين جديد يقضي
 بنسخ سابقه ويحمله الاخذ به على نشره طوعاً للامر واقتداء بمن تقدمه
 ومماثلة لما جاء قبله من الاديان فان النيران الدينية مشتعلة في التناير
 السياسية الملكية قبل ظهور العرب والرومانيين بمظهريهما فاننا اذا رجعنا
 للاديان من حيث ظهورها راينا هذين الدينين متاخرين وجوداً عن
 سائر الاديان التي طرقت الوجود وملئت بها الاقطار وتعبدت بها الامم
 وكل دين نفذ بالمحادة والمبارزة وانما لضعف عصبية تلك الاديان
 وخضوع معظم اهلها لعصبيتي هذين انفراداً بالمباراة والمساجلة اذ من
 المعلوم ان مملكة ما لم تضع اساسها في قطر من الاقطار قديماً وحديثاً
 الا على القواعد الدينية وربط افراد الامة بالقوة الادبية الداعية لاجتماع
 العصبية قبل توسط القوة المادية المؤيدة للملك حتى في ممالك قدماء
 الفراعنة والاشوريين ومن ادعى غير هذا فليأتنا بدولة قامت في الوجود
 سائدة جامعة لكثير من الافراد من غير توسط الدين في تأسيسها حقاً
 كان او باطلاً حتى في الامم النشطة في الصحاري والقفار فانها لا تخلو
 من داعية عليها اجتمعت وبها عرفت . لو ليأتنا بدولة متمدنة من دول
 العصر الحاضر تبعث جيشاً الى حرب ولم تتوصل برؤساء دينها في الدعاء
 والاستغاثة او تصرف العساكر بعد عودتهم ظافرين قبل ان يتوجه
 العظماء والامراء والوجهاء الى المعابد ساجدين وراكعين حتى لو كان
 القابض على زمام الملك ممن يقل لهم اصحاب الفكر الحر اي الذين لا
 يدينون بدين فانه لا بد وان يجاري افراد الامة وسوادها الاعظم في

عوائدهم الدينية . ومن هذا نعلم ان احمال المسؤولية القيت على غواتق رجال درجوا وقوم بادوا قبل الرومانيين والعرب ثم نرى ان الرومانيين والعرب كذلك غسلوا ايديهم من تلك الدماء من قرون مضت وتركوا الامم في ايدي الملوك ورؤساء الاديان ولم يبق الا اسم التأسيس والاحتكاك في اثريها عند العوارض الملكية والطوارئ السياسية والغايات الذاتية التي يتوقف حصولها على التوصل بالدين فاذا انقضت الاوطار ووصل الملوك الى غايلتهم بتلك الوسيلة تركوا الدين في ايدي الافراد امانة حتى يضطروا اليه واشتغلوا بقوانينهم وشرائعهم السياسية يسوقون بها المحكومين في اية طريق شاؤوا على اية صورة ارادوا وهكذا الشأن في كل عصر وامة ومملكة ودين . فن اعترضنا على العرب بظلمهم الرومانيين وخروجهم عليهم بعد ثبات دعوتهم وانتشارها اجابونا بانهم نجاروا الرومانيين في خروجهم على بني اسرائيل وبنو اسرائيل خرجوا على غيرهم وغيرهم خرج على خلافه وهكذا حتى تصل السلسلة الى مبتدأها فدعوى الاغتصاب لا تسلم الا في امة غالبت امة على دين لم يتقدمه غيره من حين البدء العمراني وهذه طويت في باب كان ولم يبق اماننا الا اثم نجابت على ام وممالك ولدت من ممالك . فاذا اردت القاء احمال المسؤولية على امة فابحث عن مصادر الحركات العدوانية عندما تكون نار الفتن خامدة والنفوس مطمئنة والامن اشر اعلامه على الامم وألق المسؤولية على مشعل النار وزعج النفوس ومخيف الامم واترك الرومانيين والعرب يتمتعون في مجامع التاريخ بمجد دائم

وذكر خالد فقد تركوا اثرين هما روح الملك ولا حياة للمالك بدونها على ان رؤساء الاديان صاروا من الافراد تحت سطوة القانون الملكي ولا ينظر اليهم بعين الرأسة الدينية الا فيما يخرق العادة من الحوادث التي يستعان بهم على دفعها او جلبها في كل زمان

غ قلت ان الرومانيين والعرب جاؤا متأخرين عن ام دانت بغير دينيها وان الاقطار كانت ممثلة بتلك الاديان فما هذه الاديان واين كانت ومن جاء بها ومن تعبد بها فان المسكون من الكرة الارضية معلوم بمن فيه وما يعبدون ودعوى بلا دليل توقعنا فيما نجتهد ان نفر منه واذا تحقق وجود غير هذين الدينين فكيف ادعى آخذوها الحقيقة وتجاوزوها مع الاغضاء عن غيرهم واذا صبح وجود غير هذين فهل كان تنفيذ الاديان في الامم بالقوة في جميعها او بالقوة في دين وجوابات المحبة في اخر وعلى اي حال كان التنفيذ فهل تقدم الدين الاسلامي دين دخل على اخر في اقطاره ودعا بالحقية لنفسه كما دخل على الدين المسيحي في اقطاره وادعى الحقية واذا وجد دين بهذه الصفة فهل يوجد في كل دين مذاهب مختلفة متعددة كما في الدينين الاسلامي والمسيحي فاني ارى الجواب عن هذا يكشف لي دعوى الالاهية وتأسيس الخلافين ومرجع السياستين وما اريد ان اشق عليك بالتبع والاستقصاء بل اكتفي منك بملخص جزئي يوصلني الى مسهب كلي بالنظر والاستدلال فانك مشئت الافكار الآن بعيد عن المواد

ش دعوتني الى مطلب بعيد القاع شديد الشكيمة ومع شدته

يحتاج الى تحقيق اصل وصحة نقل وقد حتمت عليّ في شروطك ان لا اترك سؤالك ابتر فخذ ما راج الان والتمس معي العفو من محقق يرى تلفيةاً في التعاريف وباحث يرى مخالفة لبعض الفروع ومن قال اجيب بما اجيب به وانا مضطرب الفكر خائف اترقب فقد استوجب العفو عن هفواته فما ذكر الاديان الا وسيلة للدخول على المسئلتين وما المسئلتان الا تمهيدا للمسئلة المصرية وهذه ساقوم بشرح ما يرفع عنها الاستار ان شاء الله تعالى واجاوها للناظرين بعد احتجابها ولا تكلفني تحقيق المذاهب وبيان الراجح منها والمرجوح والصحيح والفاقد فان ذلك ان ارضى فئة اغضب اخرى وان سرّ قوماً احزن آخرين فكل انسان ما تمسك بدينه الا وهو يرى صحته فلا يسمع حجة على افضلية غيره ولا دليلاً على بطلانه وما اتاخر عن هذا جهلاً بالمذاهب وحجج واضعها على صحتها ولكن لاحظ الاشتراك العام في مطالعة مناظرتنا فخذ عاماً في عام وارجع الى التفصيل في كتبه ان شئت وعلى هذا اقسام الدين باعتبار مصدره الى نوعين آلهي وانساني وكل منها ينقسم قسمين بحت ومزجي وكل من القسمين تحته فروع ناتي على بعضها اكتفاء بها وحيث ان الالهي هو موضوع مناظرتنا فنبدأ به فنقول



﴿ الدين الالهي البحت ﴾

يحدّ بانه ما جاء به الرسل من قبل الله تعالى بطرق الوحي والالهام

ثم هم على اختلاف مباعثهم وطبقات وجدانهم وتباين لغاتهم لم تختلف دعوتهم في موضوعها وبنائها على ان هناك الهاً واحداً موحداً لهذه الاكوان قد انفرد بالايجاد والاعدام وتنزه عن الشريك والمثل والولد والوالد واجب الوجود لذاته قديماً ازلياً باقياً بعد فناء العوالم مخالفاً لآثاره في الذات والصفات والافعال قادراً مريداً عالماً حياً سميعاً بصيراً متمكلاً يحيي ويميت في هذه الدار وينعم ويعذب في دار اخرى اعد فيها جنة للمصدقين العاملين ونارا للمكذبين الضالين وانه اتخذهم امناً على وحيه هداة لخلقهم يعلمون الشرائع ويدعون الى وحدة الاجتماع ويدلون الخلق على خالقهم ويعرفونهم قدره ومجده وعظمته وكبريائه وقد اصطفاهم وخصهم برتبة الرسالة وعصمهم من الدنيئات وسفاسف الامور وجعلهم حجة يعتبرها على خلقه بما يوحي اليهم لكيلا يكون للناس على الله حجة بعد ارسالهم مبشرين ومنذرين ومرشدين ومعلمين . هذه قاعدة دعوة الرسل لا يختلف فيها اثنان وعليها تدور فروع الاحكام بحسب المكاتب والزمان واخلاق الامم وفروعهم كلها راجعة الى ما يهذبون به النفوس ويلينون به الطباع ويسهلون الانقياد لوحدة الاجتماع المدني والتعارف الائتناسي والاختلاط العمراني والائتلاف الاخائي متعلقة هذه الاداب بمظاهر الدين من الصلاة والصوم والصدقة والابتهاال الى الله تعالى وغير ذلك من الاحكام ليتبين المخلص في التصديق والانقياد من المنافق بالموافقة اللفظية ثم يمزجون هذه الفروع بمسائل قضائية واحكام سياسية ترجع اليها افراد الامم عند الترافع وتؤدب بها النفوس في

التخاصم وتحفظ بها الحقوق ذاتية او مالية راجعين في هذه المسائل الى نص وحيي او ارشاد الهامي او استنباط اجتهادي توجب اهمهم الاخذ باحكامهم عصمتهم وامانتهم واشتغالهم بالتأليف والاصلاح وبعدهم عن مظاهر الملوك ولزومهم حالة التقشف والقناعة بالميسور والزهد فيما في ايدي الناس وتواضعهم الى حد يؤاكون فيه القدر ويلقمون المؤن ويجالسون الفقراء ويعودون المرضى ويجلسون على التراب ولا يسكون بايديهم نقدا زائدا عن مؤنهم ولا يبيوتهم اثاث يروق النظر ويعجب النفس . قصارى امرهم اعتراف الخلق بوحداية الله تعالى وتبادل المحبة بين اتباعهم وتخليص الطباع من شوائب الرذائل وتطهيرهم النفوس من النزعات الحيوانية ونشر الآداب والحث على رحمة الصغير وتوقير الكبير ومواساة الفقير ومداواة السفهيه وملازمة الوعاظ والجد في تهذيب النفوس والتنفير من العدوان والبغي والخيانة والغدر والفتك والتعذير من الآثام كالسرقة والفسوق والفجور والملاهي وتقييد الانساب والاعراض بوجهة التعارف والائتلاف العلني المقيدين بمحدود تبيع التمتع وتعل التوارث وتلبس المتلازمين ثوب شرف تفصله الكفاءة ويخيطه التراضي ويشهد لبسه الاصدقاء ويبارك عليه اولياء امورها الا دنون حفظا للشرف وبعدا عن العيث الحيواني وتمييز الانسان من البهيم . ثم يلحقونها كذلك بفروع كانت من حدود تدبير المنزل والمدنية عند قدماء الفلاسفة مثل بيان البيوع وعقود المعاملات والصحيح منها والفاسد والمباح من المآكل والمشارب والمحذور وحكم الامة حال

السلم وواجباتها وقت الحرب الى غير ذلك مما ملئت به الكتب السماوية والاخبار النبوية وما نقل عن مهابطها من السير والسير مما هو ذائع شائع محفوظ عند افراد اممهم وعلمائهم القائمين بامور الاديان . والرسول في جميع ذلك قائمون بالدعوة وانتشارها وتعليمها والحث عليها منتصبون لفصل القضايا ومقاومة الخصوم جدلاً ودفاعاً فهم رسل في التبليغ قضاة في سماع الدعوى امرأ في التنفيذ ملوك في حفظ النظام وتوسيع الممالك وانتشار المدنية وتعليم المعارف الدينية والآداب التهذيبية لا يخالف خلفهم سلفه الا في بعض فروع يقتضيها مكان امته وما هي عليه ولا يترك سبيل من قبله في المحادة اولاً ثم المقاومة اخيراً الا بضعف العصبية وقلة الاعضاء والانصار فهم دائرون مع الدين ما دامت العصبية في التأسيس وتكوين وحدة الاجتماع راجعون الى القوة عند تمكن العصبية وتيسير الادوات والمعدات واقفون في جميع اعمالهم وحركاتهم وسكناتهم عند وحي سماوي او ارشاد الهامي . اذ ما هم الا اناس من افراد الانسان ساعدتهم العناية العلية واختصتهم الارادة الالهية واصطفتهم الحضرة الربانية لهذه الفيوضات القدسية وفرد لا يقاوم افراد عقلاً الا بالقوة المماثلة لقوة مقاوميه وهي لا تأتي الا بتأسيس العصبية واجتماع الكلمة على امر يجمع الوحدات المتفرقة به ياخذون وعليه يقاتلون واليه يدعون وعلى هذا جاء كل رسول مجرداً دعوته من القسوة والخشونة والتظاهر مقتصرًا على النداء بجامعة العصبية وتكوينها بجاذبة الوعد ومرهبة الوعيد فلذا تمكنت العصبية وقويت اضلاعها قام فجمع الناس على كلمة

واحدة لمنع التخاذل والتغابن وحفظ النفوس من المهالك . وقد جرت
عادة الله تعالى ان يبعث كل رسول في قومه ليكون منهم عصبية تسهل
انقيادها الرحم يهد بها طريق دينه ويثقوى بها على نشره وتعميمه في
المتجاورات من البلاد ولا يزال يدعو بما امر به متحملاً مشاق المعارضة
ومضض التكذيب والمقاومة والمعارضة الجدلانية حتى يلقي ربه تعالى
فان انقضى دوره بلا ظهور ولا عصبية درست اصول دينه ومحييت احكامه
وان تمت له العصبية وانقنت الاخذ عنه ترك اصول دينه في ايديها وهي
بعد ذهابه تتصرف فيها تصرفاً تفسيرياً وقياسياً واجتهادياً بما تصل اليه
افكار العقلاء وامناء تلك الشريعة وبهذا التصرف تختلف المذاهب
باختلاف فروع التأويل مع رجوع الكل الى اصل واحد . وقد طرق
الوجود انبياء كثيرون منهم ما جاء مؤيداً شرع من قبله ومنهم ما جاء
بشرع ناسخ لما قبله واتفقت كلمة كل دين على تسمية الآخذ به بمؤمن
ناج وتسمية من خالفه بكافر هالك ومن ثبتت اقدامهم على ما جاء به
رسولهم هم اصحاب الدين الالهي البحت ومن مزجوه بالعقليات او النظريات
هم اصحاب الالهي المزجي ولم يبق اصحاب اديان آلهية بحتة الا المسلمون
والموسويون والعيسويون على ما هو المشهور عندهم وان كان غيرهم يدعي
دعوتهم وسنأتي على تفصيل عصبيات الاديان الثلاثة بعد الفراغ من
الفرع الالهي المزجي لئلا يعترضنا في طريق الدخول على المقصود

* (الدين الالهي المزجي) *

هو ما اخذته امة من اصول رسول وتصرفت فيه بالزيادة والنقص

والدخيل فيه وقد اخذ بهذا الدين كثير من الامم منهم من مزج دينه
 بالعقليات ومنهم من مزجه بالنظريات ومنهم من مزجه بالمستحسنات ومنهم
 من تبع الاصول وترك الفروع الى غير ذلك فتمثل بالصابئين والكلدانيين
 من هذا القسم فانهم اولى من يرجع اليهم في التمثيل والحق بالعناية
 لاشتغالهم بالسميات والعقليات معاً ولا نريد ان نبين جميع اقسامهم
 ففهم عبدة الكواكب وعبدة الاوثان بل نبين مذهب الفئة الباقية على
 معتقدها الالهي الذي مزجته بالعقليات وهي الفئة التي حفظت كتب
 الحكمة واعتنت بدراستها وشرحها حتى سهلتها للطبقة الثالثة المؤلفة
 من المسلمين والموسويين واليسويين وحلت مشكلات الحكماء ورموز
 القدماء وترجمت لغاتهم المتروكة وعرفت اقسامهم المختلفة وهذه الفئة تنقسم
 الى قسمين قسم يسند دينه الى سيدنا نوح عليه السلام وهم الصابئون
 وقسم يسنده الى سيدنا ابراهيم عليه السلام آتيا بطريق التلقي عن
 نوح عن ادريس وهم الكلدانيون والقسمان متفقان في هيئة العبادة على
 التوجه الى القطب الشمالي وصلاة ثمان ركعات عند ظهر شفق الشمس
 الشروقي وخمس ركعات وقت الزوال وخمس ركعات وقت غروب
 الشمس يسجدون في كل ركعة من هذه ثلاث سجعات بلا انحاء
 ويتلون في قيامهم وسجودهم كلمات تماثل آيات الزبور من حيث اشتغالها
 على مناجاة ودعوات واستغفار وصوم ثلاثين يوماً عدد ما تقطعه
 الشمس في كل برج من بروجها يسكون فيها عن الطعام والشراب
 من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم

من الالبان والنباتات الا ما حرم منها عندهم ويقسمون هذه الثلاثين الى ثلاثة اقسام قسم يصومون فيه اربعة عشر يوماً متتالية في فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة المشهورة قديماً وافلاكها وقسم يصومون فيه سبعة ايام في الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وقسم يصومون فيه تسعة ايام في اواخر الصيف موافقة للافلاك بضميمة فلكي الثوابت والمحيط . وتقدم الضحايا في هياكلهم ومعابدهم للسدنة والفقراء من غير ان ينال المضحى منها شيئاً . وتعظيم الكواكب بناء على انها اعظم اثر آلهي له فاعلية في الاجرام السفلية . ومنع توريث الفاسق من المستقيم . وثبوت العصمة لكل من الزوجين يفترق كل منها اذا شاء بعة الزنا او العقرا وقتل احد الارحام . والاعتراف ببعث الارواح دون الاجساد وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة واعتقاد الرسل ملهمين بعناية المجدرات لا مبعوثين عن الله تعالى . وان الخير كله من الله تعالى والشر كله من النفوس . وان الله تعالى منزّه عن الصورة فلا تقع عليه الابصار ولا تلحقه الاوهام فهو في حجاب ازلي في هذه الحياة الدنيا وفي النشئة الاخرى . وان غير الحيوانات المباح استعماله عملاً وغذاءً محترم يعد كل من تعذيبه وقتله ذنباً يكفر عليه فاعله بالضحايا بحسب ما تعينه النصوص . هذا ملخص الاصل وبانتشاره كثرت مذاهبه عدا واختلافاً كما هو الشأن في كل دين عظمت عصبيته وتعددت اوطانه فبعض هذه المذاهب يحرم بعض النبات والحيوان وبعضها يحل زواج امرأة الأب التي لم تعقب منه والبعض

يحرمها مطلقاً والبعض يحرم غسل جراحات القتيل عند دفنه والبعض يوجبها الى غير ذلك من الفروع الخلافية . ثم اشتغل الفريقان بالهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على انها كتب تعليم وارشاد ككتب الرسل على ما تصوره بحسب الشبهات التي اعتقدوها . وقد شهد اهل هذا الدين جميع الدعوات الدينية من الدعوة النوحية الى الدعوة المحمدية على جميع مظاهرها الصلاة والسلام . فكان اول داخل عليهم من المرسلين بعد نوح هود عليها السلام ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح اذ بعث في قوم عاد بن عوص بن ارم بن سام وكانوا يسكنون بالاحقاف بين اليمن وعمان اي من شحر عمان الى زمل فالج فاقام فيهم مدة يدعوهم الى عبادة الله تعالى وكانوا قد غيروا وبدلوا وعبدوا الاوثان فامتنعوا من اجابته وما آمن به الا قليل منهم فدعا عليهم وتم لهم ما اخبر به القرآن الكريم ثم رحل من بلاد العرب الى فلسطين واقام بها . ثم جاء صالح بن عبيد بن آسف بن ماشج بن عبيد بن حاذر بن ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح الى ثمود وكانوا بين الحجاز والشام بارض الحبر ووادي القري فدعاهم الى عبادة الله تعالى وهدم هياكل الشمس التي كانوا يعبدونها فلما آمن به الا قليل منهم وكان معاصراً للملك جندع بن عمرو ثم كان ما كان من امر الناقة وما قصه القرآن العزيز علينا من خبره الى ان انتهى امره بالدعاء عليهم ثم رحل الى فلسطين واقام بها . ثم دخل عليهم سيدنا ابراهيم بن تارح بن ناحور بن شاروخ بن ارغو بن فالخ

ابن قينان بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح اذ ولد معهم
 في ارض بابل ارض الكلدانيين فلما بعث اليهم دعاهم الى اتباعه
 وتكسير الاصنام وهدم الهياكل والاعتراف بوحداية الله تعالى والبعد
 عن الآثام والفجور فلم يجيبوه وتظاهر نمrod بن كنعان بن السخاريب بن
 نمrod بن كوس بن حام بن نوح بما هو مسطور بالكتب السماوية
 فهاجر بابن اخيه لوط بن هاران بن تارح ونزل لوط بارض سدوم
 وعمورة في غور اريحا على شاطئ نهر الاردن (الشريعة) ونزل سيدنا
 ابراهيم بارض كنعان امام حبرون متنعلاً من جهة الى اخرى . ثم
 دعا لوط قومه واعلمهم انه مبعوث اليهم من الله تعالى ليعبدوا الاله
 الحق ويتركوا عبادة غيره فكان ما كان من معارضتهم له وتكذيبه
 واجتماعهم لايدائه وايداء ضيفانه ثم تخريب سدوم وعمورة وخروجه
 بابنتيه . وولد لابراهيم اسمعيل واسحق وانتهى امر اسمعيل الى سكنى
 برية فاران (هي تهامة التي بها مكة الآن) وبني مع ابيه هذا البيت
 المحجوج بمكة ودعا الناس للطواف به والاعتكاف حوله والحج اليه كل
 عام فاجابه من آمن به من جرم عند ما هاجروا الى مكة وبقي دينه
 الى ان تخربت سباء وجاءت طي وما معها من القبائل وساكنوا بني
 قيذار فيما يلي مر الظهران الى ثغب الى اعلي فجد واخذ منهم من اخذ
 بما بقي من دين اسمعيل عند بني قيذار . واسحق كذلك دعا لدين
 ابيه وجاء ابنه يعقوب على اثره داعياً الى الله تعالى ودخل يوسف
 ابنة مصر بدينه على الذين الاستمسانى . ويقال انه لما حاجر على الغداء

ايام انقطاع نيلهم باعهم القوت اولاً بما لهم ثم بما شئتهم ثم بجليهم ثم بعقاربهم ثم برقابهم وقيل انه تفضل عليهم واعتقمهم فان صح العتق فبنو اسرائيل مواليهم وان لم يثبت فالمصريون عبيد بني اسرائيل ورثة يوسف الصديق . ولا ارى ذلك الا من الافاصيص والاقاويل التي لم تأخذ الصحة بيدها ولا مجال للعقل فيها

ثم جاء عليهم شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم ونزل بمملكة الحبحر المسماة قديماً مملكة نابات ودعاهم الى الله تعالى والحق عليهم وكثر بينه وبينهم الجدل والمناظرة فآمن به نفر قليل وخالفه الباقون . ثم دخل على الكلدانين في نينوي يونس بن متى فاجابوه بعد ان عصوه مدة . ثم امتد ظهور الرسل الى ان جاء الثلاثة اصحاب الاديان الباقية المنتشرة الان في القارات والجزائر وقد جاء كل من الرسل بآيات وخوارق يقيمها حجة على صدقه ودليلاً على ان الله تعالى هو الذي ارسله الى قومه فمنهم من نجا من النار ومنهم صاحب الناقة ومنهم المجتاز بالبحر ومنهم من احيا الموتى وداوى الاكه والابرس ومنهم من كلم الدواب واسرى به الى ابعد مكان من ارضه في مدة قصيرة واخبر بالغيوب في وقته وعما يليه . وهذه الخوارق نسميها نحن معاصر المتدينين معجزات اظهرها الله تعالى على ايدي رسله تصديقاً لهم فان المعجزة منزلة منزلة صدق عبدي في كل ما يبلغ عني لانه ليس في وسعه ولا امكانه ان يخلق ناقة من صخر او يخلق بحراً او ينبع ماء من حجر او يحول العصا ثعباناً او يعي الموتى بقدرته او يخلق في الدواب قوة ناطقة وفي الشجر

قوة سامعة وفي الجو قوة طاوية بل كل ما ظهر على ايديهم انه هو مستند الى
 الله تعالى خلقاً وابراراً . وغير المتدينين يعدون هذه الامور من باب
 الخوارق الظاهرة بتحريم القوى العلوية على المنفعلات السفلية بالدعوات
 والرياضات . وبعضهم يجعلها من باب الشعوذة نعوذ بالله تعالى من
 هذه المعتقدات . وبعضهم ينسب ما يقرب من العقل للحوادث الطبيعية
 كفلق البحر لمد والجزر ونزول الدم للمواد المحمولة بالريح والصفادع لما
 يجعله السحاب احيانا من جهة ويمطره في أخرى واحياء الموتى لفعل
 طبي في مصاب بسكتة مخية ومدواة الاكمة والابرص لخواص النباتات
 وينكر ما لا يقبله العقل من الخوارق . وهذه اوهام قامت عند اهل
 هذه الشبه اذ لا يمتنع ان يكون حدوثها آية في مكان وعادة في آخر
 خصوصاً اذا وقعت بعد التحدي او الخبر بانه سيحدث كذا فاتفق
 الواقعيات فيما ماثل المعجزة لا يطمئن في اصلها . وقد تكفلت الكتب
 الدينية بتفصيل ذلك واقامة حججه وبراهينه فليرجع اليها محتاج التحقيق
 ومعتقدنا في الرسل انهم صادقون في دعاويهم امناء في تبليغ شرائعهم
 لا يفترون على الله تعالى شيئاً ولا يخونون فيما ائتمهم عليه واقفون بين
 جاذبتى الوحي والالهام يكفر مكذب واحد منهم في شيء مما جاء به
 ويؤمن من صدقهم وآمن بانهم رسل الله تعالى الى خلقه . وما عرف
 الحكماء طريق الوصول الى الحكميات الا بمخالطتهم والاخذ عنهم ولاهتدوا
 للرياضات وتصفية الذوات الا بمعاشرتهم والتقليد لهم فهم اساتذة الدنيا
 وفتحة باب كل علم اشتغل به الانسان من بدء العمران الانساني الى

الآن فان التوسع في العلوم الحاصل الآن والتفنن في المبتدعات والمخترعات والاكتشافات كل ذلك نتيجة اتعابهم الحاصلة بمقدمات تأسيسهم فعلى جمعهم الشريف الصلاة والسلام

وقد وجدلدين الصابئة والكلدانيين عصبيتان فالصابئة دخلت بلاد العرب ومصر والغرب وعنها انتقل الدين الى اقطار بعيدة . والكلدانيون عمدوه في العراق وبلاد الفرس والافغان وبلاد الخزر والشام وعندهم انتقل الى اقاليم شتى . ثم كان لهذه العصبية دوران دور ديني بحت ودور ديني ملكي فالاول امتد من نوح الى سليمان والثاني ابتداء بعد سليمان حيث قام العراقيون وبددوا مملكة بني اسرائيل كلها واستولوا على فلسطين والشام وجميع سورية ونقلوا احبار بني اسرائيل وعلماءهم وأبناء انبيائهم الى بابل خشية ان يعيدوا دعوتهم ويجددوا مملكتهم التي اخذت لها دوراً عظيماً في آسيا . وفي عهد الملك اسفنديار بن كستاسف البابلي اعادهم الى الشام بعد تمكن الضعف من عصبيتهم ومع حصول الضعف بعد القوة فانهم انقسموا الى سامرية وقرايين وموسوية وهذا الآخر هو الفريق الاعظم فسكن هذا الفريق في اورشليم (ارض القدس) وسكن السامرية في سبسطية ودامت الحروب بين الفريقين مدة حيث اختلفوا في بيت القدس وصخرة الله تعالى في اي المكانين فاليهود يقولون في اورشليم فانها الارض المقدسة والسامرية يقولون ان صخرة الله تعالى المقدسة هي جبل جازيم الكائن بارض نابلس وما زالوا كذلك الى زمن خيدروس احد ملوك طوائف البابليين فقاتلهم وثل عرش ملكهم والحق فلسطين ببابل

ثانيةً الى ان عاد الملك للاحبار كما يأتي تفصيله . وكما دخلت الاديان
الالهية البعثة على هذا الدين المزجي كذلك دخلت عليه فروع العقلي
والنظري بعصبات اوصلتها الى اوطانها ومتجاوراتها بما يطول سرده فقد
حملت عنا كتب التاريخ هذا الحمل العظيم . ومن الصابئين والكلدانيين
من مزج اصله الالهى بالوثني والاستحساني عند فتور المهم عن التعليم
واقصر فلاسفتهم على تدوين الكتب وشرحها فيما بينهم وتركهم الامم في
ايدي الجهالة يقلد بعضهم بعضاً وقد كثرت المبتدعات وتفرق الناس حول
اهوائهم شيعاً وعجز الحكماء عن ارجاعهم لقصور الافهام عن الحكميات التي
صارت من خصائص العلماء . ومن الآلهي المزجي قسم من الحبشة اخذ
بالدين المسيحي ثم الاسلامي ثم مزجها وصيرها ديناً واحداً على اصول
قررها وعمل بها . وقسم منها ايضاً اخذ بالاديان الثلاثة واستخلص منها
ديناً عمل به ويوجد اذان القسمان فيما يلي هرر ومصووع من الجهات
القريبة من النقط الاسلامية . وقسم من غينا الشمالية اخذ بالدين
المسيحي عن التيسيين عند دخول البرتوغاليين في بلادهم ثم مزجه
بالاستحساني . وقسم من بزوا اخذ بالدين الاسلامي عن الادارة ملوك
الغرب ثم مزجه بالاستحساني . وقسم من بولينيزيا اخذ بالدين الاسلامي
والمسيحي ثم مزجها بالوثني وقسم من السوريين اخذ بالدين الاسلامي
ثم مزجه بالوهميات وهم الدروز والمثالة والنصيرية . وقسم عظيم بالسودان
اخذ بالدين الاسلامي ثم مزجه بالاستحساني . وقسم من مونيقيو الصينية
اخذ بالدين الاسلامي ثم مزجه بالوثني . ولهذه الاقسام عصبيات شتى

قاتلت عليها ودافعت عنها فافرج بعضهم الى بعض بالضعف وثبت قليل منهم على ما هو عليه وقد كثرت المبتدعات والمنتحلات ودعاهم الفراغ من العلوم الى عبادة ما لا يعبد مما هو مسطور بكتب الاخبار .

٣ . غ . قلت ان الصابئين والكلدانين اشتغلوا بكتب الفلسفة على انها كتب تعليم ولم تذكر ما نتج من اشتغالهم بها وهل تركوا ما كان عليه اباؤهم واتخذوا لهم ديناً آخر ام حافظوا عليه مع اشتغالهم بالحكميات ارجوك ان تتم هذا المبحث قبل ان تبعد عنا مناسبتة بذكر الاديان الباقية فيجئ معترضاً بين المطالب

ش . عندما اشتغل الناس بكتب الحكماء انقسموا اقساماً شتى فلنسم هذا الدين بالاستدلالي العقلي ونذكر اقسامه وهو ايضاً استدلالي بحت واستدلالي مزجي . فالاستدلالي البحت هو ما نتج من بحث القدماء في علل الاشياء وذلك ان الانسان شأنه البحث عن منشئه ومبدع هذه الكائنات ومبرزها لدور الافكار حول هذا المطلب في كل دور من ادوار العالم الانساني ولهذا بحث القدماء في علل الاشياء كونا وفسادا مسنديين تأسيسهم الى هرمس المثلث المدعو بالعبرانية اخنوخ والعربية ادريس عليه السلام قائلين انه اخذ البعض عن صحف شيث عن آدم وزاده بسطا- ونقريراً بالدلائل العقلية والمؤثرات الفلكية وبعد ان قرره اوحى اليه بالنبوة فعمل عشيرته على الاخذ بدينه وجمع بين النبوة والحكمة والملك فسمى المثلث كذا يقول البعض من الكلدانين والبعض يقول ان ادريس لم يسبقه سابق بهذا الاستدلال فهو واضح الحكمة

الاولى فوافقهم الصابثون على ذلك والبعض يقول انه لم يقرر من اصولها الاكليات ابتدائية حتى جاء سليمان وزادها بسطة وبسطاً وشرح معميات من تقدمه واستخدم نتائج الفلكيات والعنصریات في مظاهر اعماله في ملكه . وعلى اي حال كان اسناد التأسيس فمرجع هذا الدين النظر في المجردات الصادرة عن بعضها بجهة وجوبها بعد صدور الاول عن الذات الاقدس والصانع الحكيم جل شأنه ثم الافلاك الصادرة بجهة الامكان وانفضال الحرارة عن الفلك الرابع والبرودة عن الفلك الاول وتحركها تحريكاً ولّد اليبوسة من الحرارة والرطوبة من البرودة وانفعال هذه الاربعة للمؤثرات العلوية انفعلاً لا تكونت منه الطبيعة الحيوية من تصعيد الحرارة والرطوبة . والطبيعة العدمية والكون السفلى من هبوط اليبوسة والبرودة . وبانفعال الطبيعتين للعلويات تم ظهور العنصرية النارية من امتزاج الحرارة واليبوسة . والعنصرية النورية من امتزاج الحرارة واليبوسة والبرودة . والعنصرية الهوائية بجوهرها من امتزاج الحرارة والرطوبة . والعنصرية المائية من امتزاج الرطوبة والبرودة والعنصرية الترابية من امتزاج الرطوبة واليبوسة . ثم دارت الافلاك ادواراً فاعلة منفعة بحسب الطوائى حتى تم تكوين المعدن ثم النبات ثم الحيوان الصامت ثم الانسان على ما هو مقرر عند القدماء . وبهذا الاستدلال ثبت عندهم وجود العلتين العنصرية والغذائية وتفرع المسادة والهيولي والغاية وتواجد الكائنات وتمالكها ثم انبعاثها وصدورها عن الاركان اصالة من غير احتياج الى وسائط غير التفاعل والانفعال الحاصلين بالطوائى والتضام والتجاذب

والتنافر وتأثير البعض في الآخر بقوى الانفعالات حتى تبرز المكونات على صور معينة . ثم هي بعد صدورها اما متحركة بعلة الانفعال الكائنة في المواليد . او نامية بلا حركة بعلة البخار والتصعيد . او واقفة عند كيانها بعلة الاتصال الشعاعي والتجاذب الكهربائي . وما يبرز من الكائنات السفلية في طبقتها الارضية والجوية مركباً يكون معرضاً للفساد . فافعال المادة تجري تحت اللآ نهاية لتلازم الاركان مع الحادثات بظهور المادة منها مع الاخلاط وظهور الهيمولي منها مع المزاج . وظهور الغاية منها مع الافعال والكل مركب معرض للفساد والتكوين ما دامت المجردات بجهتيها وما صدر عنها من الافلاك وهي لا انتضاء لما دامت الفاعلية الباقية ببقاء اول الاوائل المبدع لهذا النظام البديع جلت قدرته وتقدس ذاته العلية . وما اوقعهم في هذا الخطا الا نظرهم في عال الاشياء وقولهم ان الواحد جهة واعتباراً وهو الله جل شأنه يستحيل ان تصدر الكثيرة عنه فحكموا بالعقول العشرة وسلبوا الله تعالى الاختيار والعلم بالجزئيات وانكروا بعثة الرسل وبعث الاجسام وخالفوا الشرائع الالهية في امور كثيرة بها حكم عليهم بالزيغ عن جادة الهدى وسنشرح هذا عند حلول مناسبه لعدم التطويل هنا . ثم انهم قطعوا بان الله تعالى ذاتي الوجود ابدى الخفاء ازلي الافعال يستحيل عليه صدور التكثير وحدوث التجدد عنه مع وحدة ذاته العلية وان وجوده المطلق غير مخالف لشيء من الاشياء وان الاجسام والجواهر والاعراض من لوازم الاغيار . وانه تعالى متساوي النسب النوعية فلا تخصيص لبعض اجزائها ولا دخول لها في سلسلة الممكنات فهو منزّه عن المادة والهيمولي والصور اللاحقة للامكان .

وان السعادة والشقاء خاصان بالنفس وانفعال الاعضاء بالنفسيات سعادة
وبالبهيميات شقاء وانه تعالى منزّه عن التسفل والحلول مستغن عما صدر عنه
مجرداً او مركباً . و بانتقال هذا الدين الى الطبقة الثانية بعد الطوفان قسموا
السياسة في حكوماتهم الى قسمين سماوية وارضية فانهم قالوا اذا كان القائم
بامر السياسة رجلاً ظاهراً سليم الخواس مخلص الظاهر والباطن عالي الهمة
بعيداً عن الدنيئات غير متعمق في البدنيات قد دلت على وجوده القرانات
الكبار العلوية فدولته دولة النبوة وهذا القائم بها هو النبي المفاض عليه من
قوى المجردات واتجاه الافلاك ما يخلق صورة توجهاته النفسية من الحيوانية
الى الملكية ليمتاز بالعنايات والمساعدات العلوية (الذي ندين الله تعالى به ان
هذا الفيض حاصل من الله تعالى باختياره لا من المجردات والافلاك فانها
مجمولة متأثرة بفعل الله تعالى فلا استقلال لها بالتاثير في شئ من الكائنات)
وان كان ممن دلت على وجوده القرانات الوسطى مشاركاً للافراد في
المالوفات والملاذ الهيكلية فهذه دولة الملك والقائم بها هو الملك صاحب
السياسة الأرضية . ثم انقسمت هذه الطبقة ثلاثة اقسام كل قسم صار مذهبه
اصلاً لفروع شتى . فالاول اشتغل بالنظر في العلة والوحدة واثبات الصانع
وما يجب له وما يستحيل عليه ونقسم المجردات وصادراتها (على زعمه)
واحوال النفس بعد مفارقة الهيكل وغير ذلك من الامور العامة فسمي مذهبه
بالإلهي والفلسفة الاولى . والثاني نظر فيما تجرد عن المادة في الذهن من
النقط والخطوط والمنحنيات والدوائر والمخروطات والكرات متحركة او ساكنة
وفيا موضوعه الاجرام الفلكية والعنصرية من حيث الكم والكيف واحوال

الكواكب في الابعاد والنقاط والشرف والتربيع والتسديس والمقابلة والاجتماع والحركة والسكون والخسوف والكسوف والمنازل والبروج . وفيما موضوعه العدد من حيث الزوج والفرد والتركيب من الآحاد والمئات والالوف والجمع والطرح والضرب والقسمة والتكريب والتناسب . وفيما موضوعه الصوت من حيث تركيبه مستلذاً متناسباً او مستقيماً منافراً والنقرات والايقاع فسمي هذا كله بالرياضي . والثالث اشتغل بالنظر في المواد والصور والحركة والنهاية والافلاك والعناصر وما يكون ارتباطها بالالتباس والتباس والتجاذب وما يكون عن تغيرات العناصر في نفسها وحكم ما يصعد اليها من دخان وبخار . وفيما يبحث فيه عن كون المركبات وفسادها وكيفية تخليص الاجساد وتطهيرها وتحليلها وتصعيد ما وثقظيرها وتبخيرها وتركيب جوهر من جوهرين فاكثر . وفيما يبحث فيه عن المعادن من حيث الجامد والمنظرق والسيال والشعال والفاسد المرجو صلاحه وغير المرجو والنام والناقص والصلب والهش . وفيما يبحث فيه عن العصارات النباتية من حيث ما ينبت وما يستنبت وطبيعته وخاصته بزرّاً وغصناً وورقاً وليفاً وقشراً وعصارة وزهراً وثمره . وفيما يبحث فيه عن الحيوان من حيث صورته من مستقيم ومعوج ومكبوب ومسحوب والبري منه والبحري والغذائي والدوائي والسام والاهلي والوحشي وما يتألف بعد نفوره وما لا يتألف وتركيب انواعه وعلمها وامراضها . وفيما يبحث فيه عن النفوس وتحرير القوى وكيفية بثها في الجهاد والنامي والحساس وما يتعلق بالمركب الجامد والنامي غير الحساس والنامي الحساس ناطقاً وصامتاً وغير ذلك وهذا كله يسمى بالطبيعي . وبعد انقسامهم جال رجال **كل**

مذهب جولة في مباحثه وتضاربت افكارهم وكثرت تجاربهم في مبتدعاتهم حتى اتسع نطاق علم الحكمة وتداولته الأمم ودارت الايام وهو ينقل من صورة الى أخرى يعلو في امة يعلو افكارها ويسفل في أخرى بتسفلها راجعاً الى اصوله في جميع فروعه وان شوشت بعض مطالبه بقصور الافكار حتى وصل الطبقة الثالثة المؤلفة من المسلمين والمسيحيين والموسويين فانكبوا عليه وفصلوه وشعبوه ونوعوا مواضيعه انواعاً شتى تأتي عليها بعد الفراغ من الاستدلالي المزجي وفروعه ان شاء الله تعالى

٤٠ غ

هات الكلام عليه عندما وصل الى الطبقة الثالثة والرابعة قبل ان ندخل في المزجي منه لئلا تبعد المناسبة او تغفل عنه بطول المباحث لنفرغ منه الى غيره واذكر لنا الامم التي اخذت به قبل ذلك والاقاليم التي استوطنها والاديان التي نسخته منها وما صار عليه الآن واني وان كنت اتوسع في السؤال واكتلفك الجواب المسهب مع علمي بما انت فيه من شدة الحال فاني اكتفي منك بملخص يقرب فهم المطولات ولا تترك البحث خالياً من الافادة ولو بتقرير موجز فلا تضق بكثرة السؤال فاني اريد ان اجعله موجباً لقدح افكارك كما قلت لك أولاً

ش

الطبقة الثالثة تأسست في القرن الثاني من الهجرة بعد انتشار الدين الاسلامي في الاقطار ودخول كثير من الناس فيه من العرب والقبط وبني اسرائيل والفرس والترك والكرد والحبشة والهند والافغان والروم والرومانيون

والاسبانيولين والافريقيين والسوريين والشاميين وغيرهم واخذ العرب في تعلم لغات المحكومين بحكمهم وانجر الاستطلاع الى الكتب القديمة من تاريخ وحكمة فتعلقت نفوسهم العلية بترجمتها للوقوف على العلوم المحتجبة بحجاب اللغات اليونانية والسريانية والفينيقية والعبرانية واللاطينية ودعوا لترجمتها اناسا من كل امة وافرغوا مجهودهم فيها واشتغلوا بتعلمها وتحصيلها فافترقوا فرقا شتى تضاربت افكارهم وتعارضت اقوالهم وتكثرت مباحثهم وظال الاختلاف واشتد تعصب كل فريق لدينه او فكره وكثرت المجامع الاتفاقية والخلافية وفرعوا من كل قسم من اقسام المتقدمين اقساماً وابواباً حتي هذبوا هذا العلم في وقت قريب ودونوا فيه الاسفار العظيمة كائنهم هم الذين وضعوه . وتنج من تظاهرهم العقلي علوم تسمى كل منها باسم خاص وانفرد بكتب ورجال وتوزعت وحدة العقيدة في هذه الفروع الكثيرة فصارت من قواعد الفنون وروابط التعاريف يدخلها كل مؤلف في كتبه من غير التفات لاصل وضعها الديني ناظراً لما يدعو اليه علمه لا اعتقاده وما تجره اليه المنفعة العامة لا دينه الخاص وكثير منهم من نبه على ما يخالف العقيدة الايمانية الحققة عند ما يذكر اصلاً من اصول الحكمة ويورد عليه ما يدفعه او يضعفه خوفاً على صغار الطلبة وضعفاء العقول . خصوصاً علماء الاسلام فانهم اجتهدوا في تحصين العقيدة والدفاع عنها وحاربوا عقليات يمثلها وردوا شبهة ببرهان وايدوا معتقداً بحجة وطبقوا كثيراً من اصول الحكمة على اصول العقيدة وبحثوا في شبه المتكلمين وقواعد الالهيين وجمعوا ما تشتمت من مذاهب فرق العالم وانتصبوا للنضال والجدال واجتهدوا في حل المشكلات وتبيين العضلات وابعدوا في البحث

والتدقيق حتى انقلوا من التقليد الى الاختراع والابتداع . وانتظم معهم في خدمة العقليات والحكميات كثير من المسيحيين والاسرائيليين فامتلات مؤلفات رجال الاديان الثلاثة بالعلوم النافعة وزينوا العالم الانساني بالآداب وآلات العمران ومواد المدنية وارشدوا الخلق بكتبهم الى احسان الصناعة والزراعة والملاحة والسياحة والسياسة والتجارة والتربية والتهديب . فقد فصلوا الرياضي الى الهندسة وفرعوا منها علم المساحة . وجر الاثقال . والابنية . والعقود . والحصون . ومركز الاثقال . والمنظر . والمرآيا . والكرات . واخذ المرتفعات والأبعاد . وغيرها من العلوم المفرعة من الهندسة . وفرعوا من الهيئة علم الرصد . والظلال . والمنحرفات . والزيج . والاحكام الخاصة . والمواقيت . والقبلة . وغيرها . وفرعوا علم الحساب الى التكعيب . والجبر والمثلثات والتناسب . والتخت . والافاق . وغيرها . وفرعوا الموسيقى الى تأليف الاصوات والنقرات . والايقاع . والنسبة . وتفكيك الدوائر . وتلحين الموشع والموالي والقصائد . وتقسيم النغم . وغير ذلك . وفصلوا من الطبيعي علوم الامور العامة (علم الكلام) والسماء والآثار العلوية . والكون . والفساد . والمعادن . والنبات . والحيوان . والنفس . والقوى . والخواص . وفصلوا هذا الاخير الى علوم السحر . والظلام . والسيما . والمخايل (الشعوذة) . والفلاحة . والدخن . والطب الانساني . والحيواني . والبزرة (علم تربية الطيور) . والكيمياء . والخواص النباتية والحيوانية والمعدنية . والسباحة . والملاحة . والرؤيا . ثم تصرفوا في هذه العقليات تصرفاً اوصلهم الى وضع علوم التشريح . والجراحة . والصباغة . والفراصة . وتقويم البلدان

(الجغرافيا) . وتركيب الآلات (الميخانيكي) . والاخلاق . وتدير
 المنزل . والملاعب . والجدل . والسياسة . والمناظرة . والوضع . والبحث .
 والاقتصاد . والتربية . وغير ذلك مما تفرع من الاصول الحكيمة
 بطريق اللزوم او الضرورة . فانقسمت هذه الطبقة نحو سبعين قسماً كل
 قسم يشتغل بعلم خاص غير العلوم الدينية والآلية فتغيرت اشكال العمران
 وصور الافكار وترقت العقول الى المخترعات وظهر في الجامعات العلمية
 الكثير من الفلاسفة والحكماء . من كل من المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين
 والبراهمة والمجوس والصابئة وثلمذ كل لصاحبه بحسب الحاجة مع اختلاف
 الدين والجنس والوطن سعياً خلف العلوم النافعة واشتغالاً بالمصلحة العامة
 ولم تشغلهم هذه العلوم الجليلة عن الاشتغال بعلوم دينهم والقيام بمظاهره
 والاحتفال له في الجامعات العامة واداء الواجب عليهم في خلواتهم الخاصة ولا
 حميتهم كذلك على غرس الاحقاد في قلوب معاصريهم بالمنفردات من المطاعن الدينية
 بل كانوا يجالسون بعضهم ويتناظرون فيما هم فيه من العلوم العامة فاذا انقضت
 مجالسهم قام المسلم الى مسجده والمسيحي الى كنيسته واليهودي الى بيعته . وما
 تم لهم ذلك الا بسطوة الحاكم الاكبر ونفوذه وتسويته بين المحكومين بحكمته
 في التمتع بالعادات والمعتقدات عكس ما عليه دول اوروبا الآن في الامم
 التي تحكمها مخالفة لدينها فانها تحتال لنقلها منه بطريق التعليم المجرد عن دين
 المحكومين حتى تخرج الطبقات المتولدة من المعاصرين نخالية من معرفة دين
 الآباء فيسهل تلقينها دين الحاكمة او تلقنها اياه باديء بدء رغم انف الآباء
 كما هو مشاهد الآن — ومع عدم المطابع اذ ذاك وصعوبة الانتقال والرحلة

وامتلاء الطرق بالخاوف والازعاج لم تقعد بهم همهم عن جوب الاقطار وقطع
القفار والتغلغل في الاودية والجبال وكتابة الكتب اجمالاً واثقالاً وتداولها علماً
وعملاً ونقلًا وحلاً وشرحاً وتفسيراً وترجمةً وتكميلاً وتذييلاً مع ملازمة الجد
والنشاط وتحمل اتعاب الغربة وخشونة العيش . وما انقضى دورهم حتى ظهر
في الوجود العلمي مثات الوف من افاضل واجلاء علماء بلاد العرب . والفرس
والكرد . ومصر . وسورية . والشام . والهند . والافغان . وتونس . والاندلس
(ايام عمرانه بالمسلمين اذ كان امام العالم علماً ومدنية وانتظاماً) وبلوچستان
والترك . والخزر . ولارستان . ومكران . وبذخشان . وخوارزم . ومرو
وهراة . وخوزستان . وسجستان . وجيلان . وكرمان . وطاغستان
ومازندران . وخراسان . وكوهستان . ومراكش . وغدامس . وفزان .
وشنقيط . والسوس . والجزائر . والنجاة . وزيلع وغيرهم ممن قطعوا الاعمار
في البحث والتفتيش على دقائق المعاني وغرائب المخترعات وسهروا الليالي
الطويلة في تدوين نتائج ابحاثهم حتى اشرقت شمس المدنية على رؤوس العالم
فاهتدى الى ما هو عليه الآن . فكل ما هو منبث في اقسام اوربا وافريقية
واسيا وامريكا من العلوم ومدلولاتها انما هو حسنة من حسنات هؤلاء
الشرقيين الذين كانوا حداة العالم في السير الى الحضارة وكمال العمران .
وهم وما جاؤا به نعمة من نعم الاسلام الذي جمع هذا الشتيت والف بين
الاضداد ووجد الجامعة وسعى في جمع اسفار العلوم من الاقطار ووسع نطاق
المعارف الى حد تناولها بالسنة الآخذين به والمعارضين له . وما اتفق ذلك
لجامعة من الجوامع الدينية قبل الاسلام اذ كانت الجوامع الدينية قاصرة

على اتعلم الشرعية لا تدنو من الرياضيات ولا تقرب من الطبيعيات ولا تعترف بالحكميات . فكان فريق الحكميات ضعيفاً غير منظور اليه بالعين التي ينظر بها فريق الدينيات فلما جاء الاسلام ناشر التمدن في العالم ومجيز الاشتغال بالعقليات والنقليات ومعمم ذلك في تابعيه ومجاوريه ظهرت النتيج المتقدمة . وعند ما وصلت الحكميات الى الطبقة الرابعة الحاضرة من الاور و بين خدموها خدمة جد واجتهاد ودأب دائم بنشاط وهمة وجمعوا كتب العلوم الشرقية من بلاد المسلمين شرقاً وغرباً وملاؤها بكتبياتهم العديدة ووجهوا اليها كليات افكارهم وجزئياتها وصرفوا في ترجمتها وتخصيلها الاعمار الطويلة والاموال الكثيرة وانكبوا عليها تعلماً وتعليماً وتفصيلاً وتفريعاً وشرحاً وتوضيحاً وحلاً وتركيباً وتخصيصاً وتعميماً حتى انتزعوا من كل علم علوماً . وقد اوصلتهم التجارب الى حل معميات علماء المسلمين وفك رموزهم وفهم اشاراتهم والوقوف على اسرار عقولهم التي اودعوها كتبهم برقم او اصطلاح خفي وبهذا امكنهم ان يقابلوا الخلق من الجامدات والمنطوقات والسائلات بصناعي دبروا موادهم وعرفوا تركيبه بسبب وقرفهم على مواد تركيب الخلق بالطرق والاستكشافات الكيماوية فملاوا الوجود بباهر صنعهم واستعملوا البخار والكهرباء في تسهيل الاعمال الشاقة وقطع المسافات البعيدة برّاً وبحراً وجوّاً ونقلوا تلك الاشكال الى اشكال تسهل على المتعلم اخذاً وتلقيناً وتملاً الناظر بهجة وسروراً وفتحت لاعمالهم الغربية ومخترعاتهم البديعة المعامل الكثيرة واخذ رجال الثروة بيد العلم فتشرفت المبتكرات وتمتع الناس بحلية الوجرد المدني التي هدى اليها العلم واظهرها

التعب في تحصيله فانتقل العالم الى صورة جديدة اخذ في تحسينها من عهد اشتغال هذه الطبقة بالعلوم الحكمية بعد ثقتها في الشرق بكثرة الحروب وموت العلماء في الفتن الداخلية والغارات الخارجية وما زالت تترقى من حسن الى احسن ومن غريب الى اغرب حتى انتهت الى نقل المبتدعات من مضيق المستحيل تصوراً الى مجبوحه الممكن المتداول بين الناس . وقد تنبه ملوك الشرق وابناؤه بما رأوه من غرائب اوروبا وعجائبها فرحلوا من بلادهم الشرقية الى البلاد الغربية لتحصيل هذه العلوم ونقلها الى بلادهم مقرر نشأتها الأولى فنبغ من ابناء الشرق كثير من طلبة الطبيعيات والرياضيات وانتهوا لتأليف الكتب وحل رموز اوروبا فاذا زادت رغبة الشرقيين في هذه العلوم وفتحوا لها المدارس الكثيرة وحشدوا فيها عدداً كبيراً من الطلبة ولازموا الجهد والاجتهاد واخذت حكوماتهم بعضهم فكافأتهم على اتعابهم وساعدتهم بفتح المعامل والمدارس ومدت الامم الشرقية يدها لمساعدة الحكومات واستمر هذا الاجتهاد قرناً واحداً وقف الشرق امام الغرب علماً وعملاً وربما فاقه بشدة ذكاء ابنائه وقوة تصورهم واقتدارهم على حل المشكلات . فانظر الى آثار حكمة الله تعالى كيف تمهي العالم الانساني والحيواني والنباتي والمعدني باصل كان آلة لهذه المعدات العمرانية والكمالات المدنية . وقد تحولت الافكار عن وجهة الحكميات الدينية الى وجهتها العلمية فاشتغل بها الناس على اختلاف اديانهم كما كان في صدر الاسلام فكأن الناس فطروا على تقليد اللاحق للسابق وتسمية ما فهمه المتأخر من علوم المتقدم مبتكراً وذلك بتقلبات الامم بين ايدي العمران والخراب فيتعب هذا في وضع ابتكار تخيله

في كتاب ووطنه في دورة العمران فيقلده الحاضر والمعاصر فإذا آل امر وطنه الى الخراب ووقعت كتيبه في ايدي اصحاب الدور العمراني الثاني كانت كنزاً مطاسماً وغلقاً محكماً فاذا اهتدى بعض الافراد الى ما فيها من مواد العمران وبواعث المدنية عد مبتكراً لها بالنسبة لمعاصريه وما هو الا مقلد لسابقه ولكن له الفضل في حل ما اشكل على غيره وتفصيل ما اجمله سابقه واستعمال اصوله حتى فرع عنها ما يساويها قدراً واختراعاً . واذا اعتبرنا هذا امراً دورياً بين العالم الانساني كما هو مبسوط في التاريخ وشهدت به حالة الممالك الآن ايقنا ان الشرق سيكون له الحظ الاوفر من هذه العلوم بتربيته تحت احضان من تربوا تحت احضان مكانه القدام.

اما عصبية هذا الدين الاستدلالي ايام كان معتقداً معمولاً به فقد وجدت له عصبية في العراق اوصلته الى الفرس فانتقل الى الهند والافغان وبلوچستان وسورية ثم سار به الفينيقيون حتى ادخلوه جزائر الروم وشبه جزيرة اليونان وسيسيليا (صقلية) وقبرس وشاموس وسواحل افريقية ثم تناقلته طوائف الامم بالآخذ عن بعضهم البعض حتى انتشر في معظم آسيا وافريقية وبعض جهات اوروبا وقلعة كتيبه وعلماته اذ ذاك تصرف فيه الامم بافكارهم وادخلوا فيه ما دعته اليه الشبه الوهمية والمستحسنات الخيالية فانتقل في اكثر اقاليمه من البحتية الى المزجية وتفرع عنه فروع مزجية مختلفة المواضيع والاصول والفروع كما سنبينها ان شاء الله تعالى . وقد دخل عليه الدينان اليهودي والصالح في بلاد العرب والمجوسي في بلاد الفرس والبرهمي في الهند وافغانستان والبوذي في الهند واطراف الصين والابراهيمي الخليلي

في بابل وفلسطين واللوطي في سدوم وعمورة واليوني في نينوى والشعبي في اطراف بلاد العرب والشام والموسوي في مصر والشام وسورية وبعض بلاد العرب الى ان اوصله سيدنا سليمان الى العراق واطراف فارس والمسيحي في مصر والشام واوروبا وبعض بلاد العرب والاسلامي في جميع بلاد العرب والعراق وفارس والعجم والافغان والهند ومصر والسودان والغرب والاناضول والتركمان وجزائر البحر الابيض . وغيرها مما حل فيه من بلاد آسيا وافريقية واطراف اوروبا . وكما دخلت عليه الاديان الالهية في اقطاره كذلك دخلت على فروعه المزجية بعد ان دخلت هي عليه . ولم يشغل احد من المرسلين عليهم الصلاة والسلام بالحكميات مثل ما اشتغل بها سيدنا سليمان فانه اشتغل بها اشتغالا عظيماً ورخص في الطب منها ودون كتباً في النباتات والعقاقير وتصدي لتعليم الطب بنفسه وعنه اخذ الفيلسوف سقراط وغيره فهو ثاني اثنين اشتغلا بالحكميات ادريس وسليمان . وقال بعض العلماء ان هودا اشتغل بالعلوم الحرفية والوفقية وان صالحا اشتغل بها ايضاً وان بعض انبياء بني اسرائيل اشتغلوا بالطلاسم والزيارج ولكن هذه الدعوى تحتاج الدليل الذي يثبتها وليس في وسعه اثباتها من طريق الظاهر والاثبات بالكشوفات الفتحية غير مقبول عند من لم يعتقدها وذلك كثير في الناس . فاكثف الآن بهذا الملخص الموجز ولعلنا نوسع الكلام فيه عند مناسبة أخرى .

هـ . غ .

ارح افكارك الآن حتى آتيك فاني متوجه الى طنطا لاستحضار بعض ضروريات المنزل واعود بعد غد فاشتغل بكتابة ما دار بيننا ودونه في كتاب

لئلا يذهب عنك بعض المطالب بطول العهد بها وهل يلزمك شيء
غير الدخان

ش

يازمني نصف اوقية لودنم واربع اواق من ماء الورد لأصنع منها قطرة
عين وزجاجة مغنيسيا (مانيزيا) مكلسة وقدر خمسين جراما من مسحوق
الراوند لأصنع منها مركباً معدياً فإن عندي ضعفاً في المعدة ولا بأس من
استحضار زجاجة مداد وجانب ورق واقلام فني اصنع الحبر من هباب
الفرن واضيف اليه بعض قرظ السنط وليس عندي من الاقلام غير اقلام
الحجناه القريية الحفاء والورق الموجود عندي رقيق جداً لا ينفع في كتابة
الكتب واذا اشتريت لنا بعض الجرائد العربية كنت متفضلاً فاني
مشارك في جريدة الوطن باسم غير اسمي ولكنني احب الوقوف على الاخبار
اليومية بذلك

٦ غ .

الجرائد المحلية ليس فيها شيء الآن غير الخط على الثائرين واغراء
الحكومة على الانتقام وتشديد العقاب فليس فيها شيء يسرك ولا يمكنها أن
تتكلم في الامور السياسية باللسان الذي تتكلم به جرائد اوروبا فانا اترجم لك
التمس والدا نيوز والدالي تلغراف الانكليزية والديبا والريبيليك فرانسز
والفيجارو الفرنسية فني مشترك فيها ويكفيك ان تقف على حقائق
السياسة من هذه الجرائد اما الوطنية فني لا احب ان تكدر فكرك بها فيها
ومع ذلك فاني استحضر لك عددًا او عددين من الاهرام فان استحسننت ما

فيه اشتركت فيه باسمي وجئت بك به كل يوم

ش

لا بأس من استحضاره فاني احب ان اقف على الاخبار المحلية كائنة ما كانت ولا تظن اني اتكدر بما في الجرائد مما لا احبه فاني اعلم ان الحوادث تقضى على المحررين بصرف الانكار فيها

محادثة

غ . كيف حالك اليوم وكيف حال معدتك لعلك بخير . ش . الحمد لله على كل حال بعد قيامك امس وجدت الاعراض المخية انحلت في الزيادة واحسست بالآلام في قسم البطن فعلمت ان هذا من تعاصي الطبيعة عن البراز فقلت للصديق اطلب لنا جانباً من مش الحصى (مصل اللبن) وان كنت اعلم انه رديء الكيموس (الخلط) وقد يضر بالمعدة ولكن لعدم وجود منهل او ملين عندي استعملته فقاد الطبيعة بعد الاستعصاء وخفت الاعراض العصبية وفي الصباح تازات قدحاً من اللبن البقري ولم اتبعه بشي . فاجدني الآن معتدل الحالة متقدماً للصحة . غ . حضرة الست تسأل عن صحتك وتكدرت كثيراً عند ما قلت لها انك معتل الجسد الآن لعدم الرياضة البدنية وتوالي الهموم والمكدرات وكانت همت بالحضور معي لزيارتك ولكن جاءها تلغراف من عائلة الخواجا بمصر يعلنها انهم قادمون بوابور اليوم لتغيير الهواء عندنا اياماً فتأخرت لتجهز البيت وترتبه وتتهيأ ما يلزم للطعام والشراب وكلفتني ان ابري لك تأثرها من صعوبة حالتك وتكدرها بما ألم بك من الضعف . ش . اشكر لك صنعك الجميل

وعنايتك بمن فقد الثقة من كل انسان وخاف كل صديق وظن ان
الاحباب صاروا اعداء بل هم كذلك الآن حقيقة او تظاهراً بما يخلصهم من
النسبة اليها ولو علمت اني لم اخبر والذي الرحيم واخي الشقيق الشفيق
بمكاني ولا علم لهم بوجودي لعدم ارسالي اليهم لا للخوف منهم بل للخوف عليهم
لعمت قدر ثقتي بك التي لم اخطئ فيها غ. ولم لم ترسل خبراً لاهلك
ليطمئنوا واي شيء تخفه عليهم ش. هم الآن مخاطون بالجواسيس والعيون
ما ينطقون بكلمة الا كتبت عنهم ولا يخطون خطوة الا عدت عليهم ولا
يتحركون حركة الا سئلوا عنها وما طرق بابهم طارق الا سئل عن سبب
وجوده على هذا الباب ومن اين اتى ومن يعرفه فاذا تحايل رسولي ووصل
اليهم واخبرهم خبري سكن روعهم واطمأن خاطرهم وذهبت عنهم حالة الملح
والخوف التي هم بها الآن. فتتفرس الناس فيهم انهم وقفوا على حقيقة ولدهم
ومكانه وربما انجر الحديث مع بعض من يدعى المحبة والالتصاق بهم فيعثر
اللسان بكلمة تدل على وجودي وينتشر هذا الخبر عنهم فيؤخذون الى السجن
والاهانة ويقعون فيما هو شر من وجدهم على حال جهلهم بمكاني. وهناك
داع آخر وهو اني اعتقد اعتقاداً جازماً ان الله تعالى حق لا شك في وجوده
وتصرفه في خلقه بما يشاء ويختار وان الرسل صادقون وشريعتنا حقة لا مربة
فيها وقد اخبرتنا ان دعاء الوالدين يجاب عند الله تعالى فما دمت مجهول الحالة
عند الاهل فانهم يدعون من صميم افئدتهم ويبتهلون الليل والنهار لا يفترون
ويكون الدعاء مصحوباً بمبرات وحسرات وتواصل زفرات وهذه حالة تحرك
سلسلة الاجابة ونزول الرحمة على ولدهم الذي منهم مصابه النوم والطعام

والشراب فاذا ارسلت اليهم خبراً بوجودي واطمأنوا فترت همهم وسكن
غليان قلوبهم ونجذت نار الخوف وكفوا عن الداء او يدعون بهمة ضعيفة
لغلبة الاطمئنان عليهم فلم تين العاتين لم ابعث اليهم احداً وعسى ان تخف
حالة البعث وتنصرف الافكار عنا بطول العهد فابعث اليهم من يدخل عليهم
السرور والفرح بما يخبرهم به من وجودي حياً آمناً مطمئناً لا يغيب عني
شيء سواهم . غ . عند ما كنت في طنطا امس سمعت عنك اخباراً كثيرة
من الناس فمنهم من يقول انك ركبت مع العرب وخرجت الى الصحراء
لتسافر منها الى الغرب الأقصى . ومنهم من يقول انك مت في التل الكبير
ومنهم من يقول انك بطرف احد قناصل الدول فكنت اسمع واضحك واتعجب
من جرأة الناس على الكذب . ش . ونحن ايضاً سمعنا اول امس اكذوبة
غريبة وهي ان رجلاً دخل المضيضة وقعد مع صديقة كانت مزدحمة بالضيوف
ثم قال ان عبد الله نديم عند السلطان الآن فقيل له من اين اذك فقل
انه توجه من دمياط الى الشام بمراكب البرنقل ثم سافر من يافا الى اسلامبول
فلما صار فيها صعد على مأذنة بالقرب من سراي السلطان بين العصر والمغرب
ونادى بالآذان فلما سمعه السلطان استحضره وسأله عن هذا الآذان فقال
له انما اذنت لسمع مولانا السلطان ويدعوني اليه انا عبدكم عبد الله نديم
المصري فقام السلطان واخذه بالحضن وقال له الحمد لله على سلامتك يا ابني
ما اصل حكايتكم وكيف انكسرت العساكر المصرية فقص عليه الخبر من
طهطق لسلامه عليكم ففرح السلطان به واكرمه وامر ان يخدموه في خدمة
عظيمة فلم يقبل الخدمة وقال انا احب ان السلطان يبعث معي عسكر كركر لاصر

ومراكب ليخلص لنا البلاد من ايدي الانكليز . فضحكت عند ما اخبرني صديقي بهذه العبارة ورايت ان الانسان لا يتصور غير ما علمه وما يجر اليه علمه بطريق القياس فان مثل هذا القائل اذا لقي صاحباً له عزيزاً اخذه بالحضن وسلم عليه وقال له الحمد لله على سلامتك يا ابني فقام ما يحصل من الملوك العظام على ما يحصل منه وتصور ان السلطان الاعظم قال لي تلك العبارة . ثم لعدم وقوفه على الاحوال السياسية تصور ان السلطان لا علم له بالمسئلة المصرية وانه سألني عما جرى ولو علم ان المخبرات السياسية ممتدة بين السلطان ومصر من بدء الخلاف الى الحرب وماجرياتهما وان درويش باشا كان نائباً عن الحضرة السلطانية في مصر وكان يكتب الكمليات والجزئيات لما حكم بما حكم او لو كان ممن يقرؤون ويكتبون ورأى المنشور الصادر من الدولة بعصيان العرايين لتحقق ان كلامه محض كذب وافتراء ولكن جهله حمله على تجهيل من لا يجوز تجهيله وتصور ما لا يمكن وقوعه . وجاءنا رجل آخر فقال انهم ضبطوا عبدالله نديم من بيت رياض باشا فتأمل الغلو في الكذب اذ تصور اني ادخل بيت دولة رياض باشا في هذه الحالة الخطرة مع اصداره منشوراً بالبحث عني ومع وجوده في الحكومة . فانه ان سلم عاقل ان دولته ربما اخذته الحمية عندما اذهب اليه مستجيراً به فيغض عني الطرف فلا يسلم انه يبقيني بمنزلة عرضة للناظرين ولا يسلم كذلك اني اذهب اليه في هذه الحالة محنمياً به لوقوف الهواجس السيئة بين الانسان وبين الثقة بالرجال في وقت المصائب . وكل يوم نسمع اخباراً غريبة لو بسطتها لك لسمعت عجباً . وهذه عادة الناس في كل وقت حصلت فيه امور خفية عن العامة

فتكثر الهواجس والظنون تصوراً وافترافاً. ولذا ترى التواريخ الشرقية والغربية
ممتلئة بالاخبار الكاذبة عن الحوادث والوقائع لتلقف المؤلفين تلك الاخبار
من افواه الناس حتى لو تلمى المؤرخ الاخبار عن مصادرهما الاصلية فانه لا
يسمع منهم الا ما ارتضوه لانفسهم وما يحبون ان ينشر عنهم. اللهم الا ان يكون
حضر امرا او وقف على حقيقته بنفسه فانه يكتبه على ما هو عليه ولذا قال
بعض علمائنا

وليعلم الطالب ان السيرا تجمع ما صح وما قد أنكرا

غ ٧

قد فرغنا من الدين الاستدلالي العقلي الاصيل وعلمنا الآخذين به
والاقطار التي دخلها والاديان التي دخلت عليه وتنقله بين الطبقات الاربع
حتى تحول من الاصل الاعتقادي الى الصورة العلمية ووقفنا على تصرف العلماء
فيه وتقسيمه. فهل عدت عصبية بارة او بقي لها اثر في العالم واين يوجد
هذا الاثر وهل هناك من يتظاهر به ويعلم اصوله في مكان خاص ويتكلم بعقيدته
بين الناس سواء كانوا من اهل ملته او من غيرهم

ش

كنت احب ان توخر هذا السؤال حتى اقدم لك فروع المراجعة فاننا
بصدد تقرير الاديان على ما كانت عليه قبل هذه العصور الاخيرة وهذا الذي
تطلبه هو ما عليه رجال هذه العلوم الآن من بقاء البعض على عقيدته الشرعية
وعدول البعض عنها بالوهميات او الظنون او المشاهدات ووقوف هذا الاخير
عند المحسوسات وانكاره كل ما لا يصل اليه حسه فان رايت تأخير الجواب

حتى نصل اليه حفظاً لنظام العبارة فاعدل عن هذا السؤال الى غيره

غ

لا بأس من التأخير فإن انتظام سير المطلب ابعد عن تشتيت فروع
واوقع في النفس فهات الآن فروع المزجية وعصبياتها واقطارها والاديان
التي دخلت عليها وما ذهب منها وما بقي لنفرغ من باب التأصيل الى العصبية
الحاضرة وثقلب المسئلتين الشرقية والغربية وانقلاب الاحوال بهذا الثقلب
الدائم والتزم الاختصار فاني اكتفي بذلك كما يعلم منها ما تناوله اهل العصور
الأولى من الاديان تتمياً للباب

ش

قدمنا ان الطبقة الثانية افتقرت بادى بدء ثلاث فرق وكل فرقة
وضعت اصولها على قواعد ثابتة في زعمها حقيقة في وهمها واحكمت الادلة
والبراهين فجاء على اثر كل فريق كثير من الامم واخذوا بمذاهبهم ودانوا
بها ثم افترقوا فرقاً شتى بحسب الابحاث العلمية او الفراغ منها فمن الذين
انشقوا بالبحث العلمي قدما علماء النجوم فانهم نظروا في الكون السفلي من
حيث تأثير الكواكب فيه بتسوية المعادن وحفظ الاجسام الحية وتصعيد
البخار وتبديد الدخان ونقطيته وانفصال العناصر عنها واطالوا البحث والتدقيق
بقدر قواهم العلمية اذ ذاك فأدام البحث الى اعتقاد ان الكرة الارضية تسخن بالشمس
وتبرد بالقمر وتبيض وتحمض موادها بزحل وتحمض وتلمح بالمريخ وتحمض وتبيض
بالمشتري وتصفو من اخلاطها بالزهرة وتمتزج ببعضها بعطارد وتخلع صورها
الهيولانية بالشوايت وتدخل الكون الظهوري بالمحيط وان هذه الافلاك قامت

بافعالها حال اشراق الكواكب على العالم الاوسط فتعارضت طوارئه وانفعلت لهذه
المؤثرات انفعالا تخلصت به الاغوار تخلصا نفذت منه الاشعة والاهواء في
الطبقات الارضية وتصعدت منه الابخرة الصاعدة من الحرارة المركزية لبطن
الارض فطردت الأشعة البرودة الى الاغوار وصعدت الرطوبة في محيط الكرة
وسقوف الكهوف والمغارات فحفت الجبال وتراكمت الابخرة تراكما كَوْن الحر واليبس
فتجاذبا اطراف المواد الكروية تجاذب اخصاص وانفعال بالتفاعل الحاصل بينها
فحدث الكبريت والزئبق والاملاح من الانفعال لهذه المؤثرات وتجاذب
الوالدين الكبريت والزئبق وزيادة الأول عن الثاني في موضوع والثاني عن
الآخر بحسب الطوارئ وانفعال المواد لها بمساعدة محلول الأملاح تم تكوين
المعادن مختلفة باختلاف مراتب اجتماع هذين الاصلين . وبالسقي المزجي
والاستمداد الطبيعي والتأثير الفلكي تخلصت النفس الكلية السارية في
الكائنات واثرت في العناصر تأثيرا اوجد فيها قوى التدافع التي امدت
العالم الارضي بالمجاورة والمقابلة والتماس حتى قويت بالتطابق
على التفاعل وانقادت للانفعال وتم تكوين النباتات البحرية ثم
الاسماك ثم الحشرات الذرية ثم الطيور ثم النباتات البرية ثم ذوات الابدان
من الحيوان ثم بقية الحيوان ثم الانسان . وعلى هذا الحد وقفوا وجعلوا
الموجودات الارضية اثرا للكوكب العلوي (الشمس) عند قوم والكواكب
بتوزيع التأثير عليها عند آخرين وغفلوا عن قول الحكماء الآخذين عنهم
(ان المطلق في البساطة لا يتصف بصفات المركبات فتفاعل الفلك وانفعال
المركبات راجعان الى المجردات وهي الى الآله الصانع فلا طبع في المركبات

استقلالاً ولا علة في الأفلاك استناداً فان المركبات مخترعة الصور قبل مادتها التكوينية والفلك دال على الحدوث بما اودع فيه من جانب المجردات المؤثرة بالفعل الالهي لا ان الفلك محدث بالذات فاعل بالاستقلال) وبهذا حكمت هذه الطائفة بان الكواكب هي المدبرة لهذا العالم البديع المثال وعنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوس وغيرها من لوازم الاغيار . ثم انقسم الصابئون والكلدانيون في هذا الاصل ثلاث فرق ايضاً فرقة تقول ان الكواكب واجبة الوجود لذاتها غير محتاجة الى مخصص (وهو لا، خالفوا الالهيين في قولهم ان تحرك الافلاك يقضي بحرك ووجود الكواكب في مداراتها يقضي بمخصص يخصص كلاً منها بما هو عليه وما ذاك الا الفاعل المنشئ والصانع الحكيم جل شأنه) وفرقة تقول ان الكواكب هي الآلهة ولكل عمل قائم به في هذا العالم لا يقدر عليه غيره وانها ابدية الوجود ازلية الاولية تجري احكامها لا لغاية (وهذه قصرت فيما اخذته من اصول الحكماء، وبقصور افكارها عن مداركهم العالية وقفت عند الحدس والتخمين والظنون الفاسدة فاعتقدوا إلهية مقسورة بفعل مبدعه متحرك بمراد غيره شأن الفراغ من المعدات العلمية والدور مع الخيالات الوهمية) وفرقة تقول ان لهذه الافلاك والكواكب الها مبدعاً فعلاً اعطاها قوة عالية وإرادة ذاتية نافذة في هذا العالم السفلي وفوض اليها تدبيره فهي تفعل في العوالم الارضية ما اوجدها الله تعالى لأجله . وان الانسان تبلغ روحه بالتصفية والرياضة الشاقة ومصاهرة الجوع والعطش وتلطيف الغذاء وعدم تناول الروحانيات وما خرج منها الى حيث يقدر على الإيجاد والاعدام والأحياء.

والآيـماتـة وتغيـير البنية والشكل وتسيـير السحب وانزال الصواعق وغير ذلك من الاعمال التي يفعلها الروحانيون بتحريج القوى العلوية بالقوى الأرضية (وهذه اوهام لا حقائق لها اذ لم نر في الوجود فرداً ينطبق عليه هذا الظن الفاسد وان عدوا معجزات الانبياء من هذا القبيل كذبتهم اختلاطهم بالامم واتفاقهم معهم في المآكل والمشرب والمجامع ولم يعتكف اجدهم بصومعة ينفرد بها عن الناس ولا ارتاض رياضة كوكبية او خلوة شجرية بل كانوا كأَنهم من اقراد الناس في تناول ضروريات الحياة ومنع ذلك كانت تصدر الخوارق على ايديهم في ملاء من الاعداء والمعارضين من اخير ابداء اي فعل او قول يوم حدوث المعجزة به ولو صدر عنهم فعل بتحريج القوى كما تزعم هذه الفرقة اكان ذلك كافياً في تكذيب معاصريهم لهم واقامة الحججة عليهم ولم يسمع عن رسول منهم انه فعل ذلك فما تصورته هذه الفرقة مجرد وهم غير مستند لشيء من الصحة) وعلى هذا فان هذه الفرقة نقول ايضاً ان الانبياء من قبيل خواص الحكماء البالغين مبلغ خلع توجه النفس من الحيوانية الى الصورة الملكية وبمناية الطوالع السعيدة يقتدرون على تهذيب الانسان بدوال ترشدكم اليها توجهاتهم العلية فتوءخذ عنهم التعاليم الادبية لتخليص النفوس من شوائب الأغيار لا على ان تلك التعاليم المختلطة من الذات الاقدس او خطاب منه محتجين بان الانسان اذا كانت غاية افعاله موقوفة على فرد او افراد منه كان صدوره عن الله تعالى فيما دون درجة الكمال فيكون مكمله حائزاً لعناية فوق عناية المبدع وهذا غير مسلم عقلاً واذا انتفى هذا وثبت وجود الانسان كامل الحواس قابلاً لترقي الكمالات فيه لذاته بتجرده

وارتياضه بطل ارسال الرسل عن الله تعالى وثبت كمال الداعين في ذاتهم اذ ما بينهم وبين مغايرتهم الا البصوارف الطبيعية (وفاتهم في هذا الزعم ان افراد الانسان لا تتفق في طبائعها واخلاقها فان الله تعالى خلق اهل كل اقليم في طبائع واخلاق تغاير طبائع واخلاق غيرهم وميز الافكار والعقول فاوجد الضعيف منها والقوي والذكي والبليد والنشيط والكسلان وفرق بين اهوائهم واميالهم فمنهم من يميل الى العلوم ومنهم من يميل الى الصنائع ومنهم من يميل الى الزراعة ومنهم من يميل الى الملاحة وكل فريق مختلف في ميله الى فن مخصوص او فنون متعددة وهذا التباين يقضي باستحالة قيام فرد بعمل لم يتفق فيه مع قومه الا بفاعلية فاعل آخر . ومن اين اتى للمرتض منهم ان الرياضة موصلة لاحداث الخوارق من غير ان يقلد غيره فيها او يبلغه عن الغير كيفية العمل وبهذا نعلم صدق الرسل واستحالة الكذب عليهم وان الانسان قابل لترقي الكمالات فيه بالتأقن والتعليم لا بالذات فانه فارغاً عن التعاليم حيوان اقل درجة من البهيم الساري في اعماله خلف الالهام الالهي) وعلى هذا نرى ان المذاهب الحكمية الاصلية تفرع عنها ثلاثة مزجية استدلالية تصوري وهو القائل بقديم الكواكب ولزمه القول بقديم العالم تبعاً لها . واستدلالي وهمي وهو القائل بالهيتها . واستنتاجي اجتهادي وهو القائل بثبوت الفاعل جل شأنه وتفويض التدبير الى الكواكب وكمال الانبياء في ذاتهم والكل ممزوج بالاصل الحكمي . ناشي عن دور الافكار في كل امة وزمن على مبدع هذه الكائنات ومخترع هذه الصور العظيمة واقوف العقل عما وراء مداركه من الافعال الالهية يعثر كثيراً في هذا الطريق ويصدر عنه تصورات وهمية وكلها

ترقى الانسان في النظر العقلي كلما ترقى معه الهواجس والظنون وهذا الذي سار بكثير من الناس قديماً وحديثاً في طريق الشكوك والالوهام فهلك من هلك ونجا من نجا

وهذه الفرق وجدت لها عصبية في بلاد العرب والفرس والكلدانين فاجتهد العرب في بناء الهياكل العظيمة للشمس وحجوا اليها وقربوا فيها القرابين وذبحوا لها الذبائح واعتكفوا حولها متعبدين وكانت سلطنة هذا الاعتقاد في قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت سدودهم وسالت عليهم السيول تفرقوا في اقطار متباعدة ومعهم اصول دينهم فبشوها في القبائل التي نزلوا بأوديتها والطوائف المساكنين لهم وعندهم انتشر في معظم بلاد العرب وانتقل الى اطراف بلاد الحبشة واخذ عنهم الكنعانيون عند نزولهم باراضيهم وامتد من سورية الى جزائر الروم على ايدي الفينيقيين وعن الفرس اخذ الافغانيون وعندهم انتقل الى الاقطار الهندية وبنيت له كذلك هياكل عديدة في سورية والشام والهند وبقي ظاهراً معولاً به الى ان دخل عليه الدين الموسوي في سورية والشام والمسيحي فيها وفي بعض بلاد العرب والاسلامي في جميع اقطاره ثم انتهى امره بانتقاله الى الصورة العلمية وبقيت المسئلة الاعتقادية منطقية تحت مؤدي عباراته وقواعده يعتقدونها قوم وينكرها آخرون ، وقد نقضت الطبقة الاخيرة كل ما اسسته الطبقة الاولى واثبتت من السيارة وسيارة السيارة ما لم يكن في حساب المتقدمين فانخرمت قواعدهم وانهدمت اصول عقائدهم وبقي العلم آخذاً في التقدم والترقي غير واقف عند حد فكما تعددت المراصد وكبرت المعظمت البلورية وتعدد الراصدون في اقطار

متباينة تقدم الفلك تقدماً عظيماً وظهرت خفايا العالم العلوي بالنظارات العظيمة وانكشف للفلكيين من الكواكب وغرائبها ما لو ظهر للمتقدمين لبهزم وزادهم حيرة . ولو انصف المتقدمون والمتأخرون انفسهم لقطعوا بان وجود هذه الاجرام العظيمة : بالعوالم الجديدة والاسرار البديعة والافعال الغريبة مع اختلاف الاجناس وتنوع الصور والأشكال لا يكون الا اثراً لمؤثر . وليس المؤثر مجموعها بعد ثبوت احتياجها الى بعضها ولا جواهرها الفردة فان كل جوهر محتاج لمخصص يخصصه مع احتياجه الى المكان والزمان وجواهر المكان كذلك محتاجة الى مبدع مخصص وليس ذلك الا الله تعالى . والقول بوجود الكون صدفة بعيد عن التصور العقلي فان اختلاف العناصر وتنوع الاجناس والصور مبطل له مثبت للفاعل المختار والقول بالطبع كذلك منقوض بالخوارق المسماة في عرف اهلها بفلتات الطبيعة لعدم سريان الطبيعة على نسق يقضي بمرور الاشياء محفوظة الصور ولا يخلصنا من هذا قولهم ان الطبيعة بلهاء تصدر عنها فلتات لا تحتاج التكوين الى فاعل مختار عليم قادر حكيم لا يصدر عنه العبث ولا تشوش عليه المطالب ولا تغالبه الطبيعيات وما لم اذا رجعوا بالموجودات عند انتهاء سلسلة الممكنات الى واجب الوجود سموه طبيعة ولم يسموه الهاً والعقول لا تأبى ذلك ولا تراه بعيداً عن التصور بعد اقامة البرهان عليه . ومن فروع الاستدلالي العقلي فرع العقلي التنزيهي وهو مذهب الناظرين في إلهيات الحكماء مقتصرين على البحث في الموجودات علوية وسفلية من حيث افتقارها الى افرادها بسائط ومركبات وعدم قيام فرد منها بنفسه فضلاً عن غيره سواء كان فلكاً او كوكباً او عنصراً او حيواناً او نباتاً

او جماداً فقطعوا به الحكماء من احتياجهما الى صانع حكيم مبدع لموادها
 مخترع لصورها موجود لا جناحها مغاير لما خارج عن سلسلتها الامكانية مدير
 انظمتها مؤثر في تفاعلها وانفعالها مدير لحركتي الاليجاد والاعدام غني عن الشريك
 والمعين منزله عن العجز والاكراه والغفلة والذهول والاغراض والحاول والاتصال
 والانفصال . ثم حكموا باستحقاق هذا المبدع العظيم والصانع الحكيم للعبادة
 والخضوع والرجوع اليه استغاثة واستعانة وتضرعاً واستغفاراً ومن هذا
 الفرع فرع البراهمة ولكنهم عند ما رجعوا الى قول الحكماء في السياستين
 النبوية والملكية نظروا الى الانسان من حيث تساويه في الخلق وفطرته على
 قابلية الادراك واستعداده الى التوجهات العلية ووصوله الى مدارك النفوس
 العلوية ومخاطبة الجمادات والافلاك والحيوان وقلب الحقائق قلباً صورياً
 بالرياضة الطويلة والمجاهدات الشاقة والبعد عن الحيوانيات النازلة به الى
 حجب الموانع السفلية واشتغاله بالنفسيات الواصلة به الى التجرد ومشاكله
 الاجرام العلوية واستخدامها في اغراضه ووسائله وانه متحد في هذا التناسب لا
 يختلف فيه فرد من الافراد فجعلوه محتاجاً في جميع احواله الى الالهامات الالهية
 من غير تفاضل ولا اختصاص سماوي في افراده لاستحالة الاختصاص والغرض
 على الصانع المبدع بتنزيهه عن الاستعانة ببعض افراد خلقهم من غير احتياج
 اليهم لهداية خلق عظيم يقوم الهامه فيهم مقام الهادي والمبلغ فوافقوا بعض
 الصابئين والكلدانيين في بطلان ارسال الرسل عن الله تعالى . وقد تقدم
 نقض هذا القول واثبت احتياج الانسان الى رسول يختاره الفاعل المختار
 ولكنهم خالفوا الصابئين والكلدانيين في جعل الكائنات اثراً لله تعالى من

غير اشتراك منها في ايجاد او اعدام . وجعلوا الانبياء عليهم الصلاة والسلام من قبيل الحكماء البالغين مقامات الكمال بالرياضة مما هو في قابلية كل فرد من افراد الانسان فطرة وجبلة لو ارتاض مثلهم وان من ساعدته القرانات العلوية مولداً وظهوراً كان مقبول الحجة واسع الملك ومن لم تساعده وقف عند حد الدعوة والمجاداة والاستعانة باستخدام رياح او صواعق دون ان يبلغ الانتشار فهم عندهم خواص ينظر اليهم بعين الاعتبار لا الاتباع ويؤخذ ما يلقونه من التعاليم من قبيل التهذيب والارشاد لا من قبيل اعتقاده وحياتاً سماوياً منزلاً من الله تعالى . وعند ما نظروا في قول الحكماء في علمي الاخلاق وتدير المنزل « ان الانسان لا يميل الى الاقتران بانسانه الا بدافعة طبيعية وادوار الطبيعة غير مضبوطة في الانسان بما تدعو اليه متاولاته البدنية فيستحيل عليه ان يسوي بين انسانين في مياله الطبيعي ويجب ان يقتصر في الاقتران على واحدة دفعاً لرذيلة الظلم عن نفسه وسلب حقوق المغضى عنها منهن وتحصيلاً لفضيلة الائتناس وتأليف الذرية بتوحيد الاصلاب والارحام » قالوا اذا كانت ادوار الطبيعة لعدم امكان ضبطها واختلافها باختلاف متاولات الذات كماً وكيفاً نقضي على الانسان بعدم العدل في زوجتين سامعتين لامره فحكمها عليه بتوزيع امياله في الخارج انساناً كان او انسانة آمن باب أولى . واذا ثبت توزيع امياله فيمن يراهم خارجاً عن حوزته فالزامه بتركها مع اندفاع طبيعته بها اظلم وحكموا بجواز التعدد وحل المباشرة باتفاق المقترنين على اي دين كانا وبأية صورة شاء وبهذا انتقل دينهم من الاصل الاستدلالي البحت الى المزجي التنزيهي . وفاتهم ان الرجوع الى الطبيعة في

استرسال الانسان خلفها مفوت لفضيلة العقل فيلحق الانسان بالبهيم على ان من البهيم ما يلزم قرينة ويغار عليها ويقاتل دونها ويقتلها اذا باضعت غيره ويقتل الغير اذا دنا منها فيكون الانسان في هذا الباب احط درجات من البهيم ولا يرضى بهذا الا من نزلت مداركه العقلية عن درجات الكمال وكيف يسترسل الانسان خلف طبيعته الحيوانية ولا يرى قبح مباضته لقرينة غيره وهو يرى قبح مباضعة الغير لقرينته ام كيف تسترسل انسانة خلف طبيعتها وترضى باقتراش غير قرينها لها وهي ترى قبح اقتراش قرينها لغيرها وتكاد تأكله غيره منها عليه . ولا يقال ان الاقتران بشتين او ثلاث من هذا القبيل فانا نقول ان الوجهة التي بها اقترن بالزوائد معلومة للقرينة الاولى من طريق ما لوف بين عشيرتها وليس ما يفعله استرسالاً خلف الطبيعة وانما لكون القرينة قد تكون على غير صورة القابلية للمباضعة حال احتياج القرين الى صرف المادة المحدودة من الفضلات الضار تأخيرها اذا كانت في حيض او نفاس جاز له الاقتران بما فوق الواحدة الى الرابعة عندنا والى ما فوقها عند غيرنا فراراً من العيث في الاعراض وخط الانساب وضياع الابناء في الارحام المستعارة ولكون الرجل لا تعتريه هذه الموانع لم يرخص للقرينة في الزيادة عن واحد وبالجملة فان هذه اوهام جروا فيها على افكار واضع المذهب ايام الفراغ من المواد العلمية

ومن فروع الاستدلالي الاشرافي وهو دين الباحثين في كتب الحكماء مقتصرين على مبعثي التكوين والخير والشر فالاول اقتصروا فيه على النظر في انفصال الحرارة التكوينية من ممكن الصادر الاول ثم تدرجها الى

الحرارة المركزية بالنسبة الى بطن الارض ومحيط سطحها وعدم إمكان استقلال الارض بذاتها وظهورها ربوات وجزائر وجبالاً وهضاباً وصحارى في وسط البحار السائلة من غير مساعدة الحرارة وارتباطها بها وانجذابها اليها باتصال الاشعة ثم نظروا الى الانسان من حيث تركيبه وما اشتمل عليه هيكله من الاجزاء الارضية وتسلطها عليه مع العلويات قبضاً وبسطاً وحركة وسكوناً وتوزيعاً في اصوله المواليد حتى استوى بشراً وقام انساناً نامياً حساساً درأكاً فعلاً بالارادة فجعلوه ابن الارض وهي بنت الحرارة المقابلة للقدرة الالهية فاتخذوا النار التي هي اثر الاله وفيها صفته التكوينية دالاً على معبود واحد بتقادم الزمن وكثرة تصرف الرؤساء في هذا الاصل افرقوا فيه فرقاً واختالفوا قولاً حتى قالت فئة ان النار معبود قائم بذاته . وعند ما نظر قدمائهم في قول الحكماء « ان الله تعالى بتوحيد ذاته جهة واعتباراً يستحيل صدور التكثر عنه » قالوا ان حدوث الخير والشر عنه هو عين التكثر في امكانه واذا بطل التكثر عن واحد جهة واعتباراً لزم الحكم بوجود فاعلين يصدر عن احدهما الخير كله وعن الثاني الشر كله وانتهى بالتأخيرين الامر الى ان صوروا صورة زعموا انها صورة الاله وعلى كتفها صورتا الخير والشر وبنوا لها الهياكل العظيمة والمعابد المشيدة ثم توسعوا في الفروع الى ان صار على ما هو عليه الآن . اما عصبياته فسنذكرها عند ما نفرغ من الفرع الاستدلالي المركب ان شاء الله تعالى

٩ غ

أخيراً الآن هذا الفرع حتى ينتهي مجلس صديقنا فقد جاء ليقعد معنا

ويحدثنا ولكني أسألك عن امر بدا لي في كلامك قلت في صدر العبارة عند ذكر رياض باشا لوقوف المواجهين بين الانسان وثقته بالرجال ففهمت من كلامك ان لك اعتقاداً في هذا الرجل غير الذي اعتقده فيه فاكشف لي عن باطنك فيه وقل ماشئت فاننا في مكان لا تنقل عنا فيه اخبار ولا نخشى له سطوة اعداء علمه بنا ولست جاهلاً بالرجل وما هو عليه ولكني احب ان اعرف اعتقادك فيه

ش

يا حضرة الخواجه تعلم قدر شدتي وكربي وشدّة تضيقه عليّ بالاوامر الصعبة حتى يتخيل للواقف على الحال اني لا اذكره الا بسوء في هذه الحالة ولست الرجل الذي تحوله العوارض عن قول الحق ان (دولة) رياض باشا احد الرجال المدربين على الاعمال السياسية والادارية بل هو الرجل الصبور على الشدائد الذي لا يقابله مصري في اعماله فانه عند ما تحال عليه ادارة تراه يكتب بيده قدر خمسة كتاب من عماله ولا يترك من الاعمال دقيقاً او عظيماً الا يعمل فكره فيه بحيث لا يكون لعامل من العمال الذين دونه ادنى تصرف في شيء وهذا امر يستدعي صرف الوقت في مراجعة اوراق وسماع مخبرات فاذا انصرف الى بيته اخذ في استدعاء الرؤساء وكثير من العمال للمفاوضة او السؤال منهم عن امور تعرض له فتراه مشغولاً بما نيظ به الليل والنهار وربما ادركه النوم وهو في محل الاستقبال فينام وهو قاعد ويكتفي بذلك ولقوة جاشه كان يعارض افندينا اسمعيل باشا في كثير من الامور حتى قال بعض النوات العظام اننا عند ما شكل المجلس الخصوصي

كنا ندخل والاختام بأيدينا فما يستطيع احد ان يفتح فمه بكلمة معارضة فيما يراه ضاراً بالبلاد أو العباد إلا رياض باشا وهذه صفة لازمة له وفيه عفة ونزاهة نفس فانه ينزل نفسه منزلاً رفيعاً عن منازل الذوات والاعيان فلا يرضى ان يدنس مجده بما ينزله عن تلك الخطة التي اختطها لنفسه فتراه يحيط مظهره بتغلبه على شهواته وله تاريخ طويل وسعي عظيم في البلاد واخص اعماله تصفية الديون وترتيب قلم المراقبة الذي كان حجاباً بيننا وبين اطماع اوروبا واشتهر بحجب الأثرة في الرأي ولا ارى ذلك الا من عدم اطلاع الناس على همة الرجل فانه كثيراً ما يخفي مقاصده عن العمال ليتوصل اليها بقطع العقبات التي يحدتها القبل والقال فاذا عورض في وسيلة من الوسائل ابي التحول عنها لعلها بما وراءها ولستره الحقيقة عن المعارض يرميه بصلابة الرأي فلو قالوا ان ذلك من شدة الحزم لصدقوا وسأتيك بتاريخه عندما نفرغ من التأصيل ونصل المسألة المصرية

غ

كلما طالت المذاكرة معك كلما زدت ثقة بك فان هذا الباشا الآن من اكبر الناقمين عليك وانت تقرأ الاوامر الصادرة وتطالع الاعلان الموجود في الوقائع المصرية ومع ذلك لم تتحول عن قول الحق فيه وهذا مما يزيدني حياءً فيك

ش

يا خواجه انه ان نقم علي فاني اعذره لامور منها انه ساعدني في الجمعية الخيرية الاسلامية وقدمت اليه قانونها فقرره ونشره في الوقائع وبعث بصورته

الى المديرين والمحافظين والضباط فانصرفت عنها الشبه ودخلها الناس افواجا
ورتب للمدرسة مائتين وخمسين جنيهاً سنوياً مساعدة من ديوان المعارف
وقرر ان خدمة الجمعية والمدرسة تحسب لهم مدة خدمتهم من مدة المعاش
لأنهم تمكن من استخدام معلمين من افاضل رجال المعارف وعدة نفسه عضواً في
الجمعية متبرعين بخمسة وعشرين جنيهاً سنوياً فلقد تمت المدرسة وارتفع صيت
الجمعية ارتفاعاً عظيماً بعنايته بي وبها ثم تقلبت الاحوال ورآني في طريق لا
يرضاه فله حق الحق علي الآن

١٠ غ

وكيف تمولت عن افكارك التي كنت تعمل بمقتضاها ايام اقباله عليك

ش

هذا امر يطول شرحه ومغصه اني كنت احب تعميم مدارس الجمعيات
الوطنية لتخلص البلاد من ضيق الامية ودعوت فريقاً من الاقباط وعقدت
بهم جمعية قبطية على قواعد الجمعية الاسلامية ليتوحد سير الوطنيين لعلمي ان
الحقوق الوطنية لا تعرف الا من طريق العلم ولا تحفظ الا بتوحيد الكلمة
ولكن حال بيني وبين الغاية ما لا احب ذكره الآن فنقلبت الاجوال حتى
انتهت الى ما ترى وفضل الرجل محفوظ عندي ولا استطيع اخفائه وقد
تكفلت بنشره صفحات التاريخ — وبالله عليك لا تجرنا الى المسألة المصرية
ونحن في باب التاريخ وتأصيل العصبية وخذ بيان ما بقي من فروع الدين
الاستدلالي لنفرغ منه الى النظري والاستعصاني المسي عند الاوروبيين
بالفتيشي — هذا الفرع هو الشهير بالبدي او البوذي وهو الآخذ قواعده من

اصول قدماء الحكماء والآلهيين بالنظر في المركبات والبسائط من العالمين العلوي والسفلي واحتياج هذا التكوين البديع والصنع العجيب الى صانع حكيم مخالف لما ابدعه من العوالم قادر على ضبط اضداده المتنافرة وانواعه المتغايرة واقتصروا في البحث على مطلب من هو الصانع لهذه الكائنات . وتوزيع هذا الدين في اقطار واسعة وعصبيات كبيرة تضاربت فيه الافكار وكثر القياس والتأويل بين الآخذين به بقدر ما وصلت اليه عقول رؤسهم وساسة افكارهم حتى تركب من الحكمة والخيالات الوهمية وانقسم اخيراً الى ثمانية مذاهب فيما يعلم وقد تفرع من كل مذهب فروع شتى يطول بنا الأمر لو تتبعناها وسردناها والاشارة الى الاصول توصل الى معرفة الفروع بوجه التقريب . الاول منها مذهب غودمة . واهله يقولون ان الله تعالى واحد في ذاته والخلق صور تدل عليه وقد اوجد الارواح بادئ بدء عدداً محصوراً لا يقبل الزيادة والنقص وترك الانشاء والابداع بما وضعه في العوالم من القوانين الانهائية السيروجعل الارواح مرسلة في نوعي الانسان والحيوان فهي متناسخة في جميع الكائنات بلا اختصاص نوع منها بنوع من المركبات ووجودها في العالم العلوي قبل تسفلها اكسبها علماً بالضرورات الحيوية فهي في غناء عن مرشد او هاد باستوائها في الدرجة واستعداد كل فرد للترقي الى الكمال . واستدلوا على التناسخ في الانسان والحيوان بان الحيوان توجد فيه قابلية التعليم ومعرفة ضروريات حياته واشتغاله بصنائع محكمة يصنعها في مأواه من غير معلم يرشده . وما كان خلقه مساعداً على مماثلة اعمال الانسان شاركه في معظمها فطرة وجبلة وحاكاه في كل ما يصدر عنه من الاعمال

البدنية . وعنده علم بالتوالد بطريق المباضة ومعرفة بتربية الوليد وتعليمه اخلاق ابويه وعادات جنسه . وفيه حنوءات تناس بالانسان اذا تألفه واستماله اليه بالرفق وحسن المعاملة . ومنه ما يعقل عن الانسان ما يقوله فيقف عند ما يقول له قف ويقدم عند ما يستدعيه اليه من بعد ويفهم منه الاشارات اليدوية فيذهب هاهنا وهاهنا وينام ويقوم ويمشي ويقف بحسب الاشارات التي يشار بها اليه الى غير ذلك وما ذاك الا بواسطة الروح المنتقل اليه عن انسان عامل فيرد على الجسم الذي يحل فيه ما علمه حال ما كان في جسم انساني . ويوجد في الانسان من يميل الى النفرة والعزلة والافتراس والاغتيال وكراهة اصناف من الحيوان او النبات او المعدن مما يكرهه بعض اجناس الحيوان . ومن يميل الى الشجاعة او الجبن او الكرم او الشح او السكون او الطيش او النفع او الضراو الخمول او الظهور او اللين او القسوة او غير ذلك مما هو من خصائص الحيوان وما ذاك الا بواسطة الروح الآتي اليه عن حيوان عدم هيكله . وبطلان هذا لا يحتاج الى دليل فان الانسان كثيراً ما اخذ صنائع عن الحيوان فلا يقال ان روح الانسان يعودتها الى مقرها الاول جهلت ما علمته وهي في الجسم المعار الذي لا قابلية فيه للمدارك بشعاع العلم الانساني . على ان قولهم ان وجود الارواح في العالم العلوي قبل تسفلها اكسبها علماً بالضروريات مبطل لهذا التعليل الذي عللوا به وجود بعض صفات الانسان في الحيوان وبالعكس وعللنا نأتي على شيء من الادلة بعد ذلك عندما نرى مناسبة لبسطها ان شاء الله تعالى - الثاني مذهب الفو - واهله يقولون بوحدة الاله وجواز تصويره في صورة حسنة مخترعها من غير حلول فيها او في غيرها من الهياكل وانما يقرب

للعقول انه بالغ من الحسن والمهابة مبلغ هذه الصورة وان كان بعيداً عن الادراك في حد ذاته لخروجه عن سلسلة الممكنات وقد ترك الانشاء والابداع وجعل الارواح متناسخة الانسانية في الانسان والحيوانية في الحيوان وهو غني عن الرسل بادراك الارواح للملائم والمنافي قبل ان تحمل في هياكلها وبمجرد الاحتكاك في المثل تنصقل مرآة ذاتها وتعود اليها علومها الفطرية . وهذا مذهب دخله التصور الاستحساني فصار مركباً تركيباً غريباً انسلخ به عما قبله كما فارقه في تخصيص الارواح بانواعها - الثالث مذهب الكنفورة - واهله يقولون ان الله تعالى واحد في ذاته منزّه عن الصورة والمهيولي والمادة والحلول وقد خلق الارواح على صور دبرها واخترعها وجعلها متناسخة بصورة لا تصل العقول الي كنهها وهو غني عن الرسل والمعلمين بما في فطرة المخلوقات من العلم بضرورياتها - الرابع مذهب الولىمائي - واهله يقولون بوحداية الامر له وتنزيهه عن الصورة والمادة والحلول . ويحكمون بتناسخ الارواح ايضاً فيما يوافق مظهر هيكليها القاني فروح العالم تحمل في عالم غيره وروح الملك تحمل في ملك خلافة وروح الصانع تحمل في صانع غيره وهكذا فالظاهر العالمية ملكاً وعلماً وصناعة وزراعة وشقاء وسعادة على ما هي عليه في الدور الاول الروحي . ثم يقولون ان الله تعالى يفرغ الكمالات الانسانية في كل زمن على انسان متجرد لعبادته منقطع عن الحيوانيات لينوب منابه في اظهار الغضب والرضا على افراد خلقه بحسب ما ياتونه من الاعمال وليثبت وينسخ ويحل ويحرم من الاحكام ما يناسب الطوارئ الزمانية والمقتضيات الاجتماعية فيتخذون عابداً في كل زمن نائباً في الارض عن إله لا يموت ويعملون بكل ما

يسنه من الاحكام اقر سابقه على ما كان عليه او خالفه في بعض الفروع
وكلمة مات عابد اقاموا غيره من الموهلين لهذا المقام مقامه — الخامس
مذهب السنتوم — وهو يوافق مذهب غودمه في اصل العقيدة ويخالفه
في تجديد الارواح فيقول ان باب الانشاء لم يقفل على الله تعالى فهو
يزيد في خلقه ما يشاء ومع هذه الزيادة فان الارواح تناسخ في نوعي
الانسان والحيوان قديمة وحديثة — السادس مذهب الشمال — وهو يوافق
بمذهب الكنفورة في اصول عقائده ويقول برجعة الاجسام بطريق
المواليد ان اتفقت الادوار فلكية ومن صادفه هذا الاتفاق عاد الى
الوجود بصورته التي كان عليها في الدور الاول وجذبه طبيعته الاولى
لتعلم ما كان من خصائص الهيكل الاول فلا يحسن غيره او حاوله
وبصل الى معلوماته الاولى في مدة قصيرة اذ تعلم الثاني عبارة عن
دراسة ماض نسي بعوارض لا تمور رسومه من خيال الروح — السابع
مذهب فرع — وهو يوافق مذهب الفوفي اصوله ويخالفه في اختراع
الاله صورة حسنة يقرب بها للعقول انه بالغ من الحسن مبلغها ويقول
انه يحل في اية صورة ارادها من صور الكائنات الانسانية حاول تطهير
وتكميل لا حاول اسقرار وبواقفه في تناسخ الارواح على تلك الصورة
— الثامن مذهب السييك — وهو يوافق الوليائي في عقائده ويخالفه
في اطلاق النسخ والاثبات وتفويضها الى العابد المتخذ فيقول ان هذا
العابد لا يجوز له ان ينسخ ما لم يمض عليه قرن من الاحكام : فهذه جملة
فروعه وملخص عقائدها والدين البدي (البوذي) الاصلي يوافق الجميع في القول

بوجود الله تعالى ووحديته وتنازع الارواح وبخالفها في الحلول والصور
واتخاذ العابد وعودة الاجسام بطريق الادوار الفلكية فلا يقول بشيء من
هذه الاقوال . وكلها تنكر البعث جسمانياً وروحانياً وتحكم بان السعادة
والشقاء في هذه الدار ليس الا وتنكر الرسل ونزول الكتب السماوية على
اسم فرد من افراد الانسان وتحرم تعداد الازواج غير فرع من فروع
غودمة فانه يبيحه بحسب الطاقة محجاً بان الحجر داعية الزنا وغير
الدين البدي الاصلي فانه يميز للملوك ما لا يدخل تحت حصر .
وليس في مذهب من هذه المذاهب رؤساء دينيون ما عدا الوليائي
معللين المنع بان النفوس ادرى بمصالحها واعلم بعقبها فهي تفعل ما تشاء بناءً
على علمها الاولي قبل ان تسفل في هيكلها وبانكار هذا الدين وفروعه البعث
وما فيه ماتت الحماسة بين رجاله واستولى عليهم الجبن والسكون وصاروا عرضة
لمغالبة الضعفاء ومن هم اقل منهم عدداً وعدداً فلا يكادون يدافعون عن
اوطانهم الا اذا اكرهوا على الدفاع فان من ينكر البعث يعلم ان السعادة هي
هذه الحياة الدنيوية فيشع بها ولا يعرضها للزوال بمزاولة الحروب والتعرض
للعوارض ويميل الى ما فيه السلامة من الدم على اية صورة كان بخلاف
من يعتقد البعث والجنة والنار فانه لا يبالي بهذه الحياة الدنيا ولا يعتقدونها
دار سعادة فيقدم على الموت طامعاً في الحياة الابدية والنعيم المقيم او الظفر
بالعدو والغنيمة منه فتري المؤمن بالآخرة يعرض نفسه للموت في الحروب ولولم
يكن من الصالحين لها عالماً بانها طريق السعادة ومرضاة الاله اذا كان يقاتل عن
دين او لاجله كما هو مشاهد معلوم . ولا تزال جموع السائحين والقاتحين

تكشف من مستور هذه الاديان في العالم الشرقي ما لم يكن معلوماً لنا قبل ذلك ومن تتبع رسائلهم وكتبهم الحديثة العهد وقف على غير ما ذكرناه بزيادة ايضاح وتبيين فابحث في كتب قسيسى البروتستانت والسائحين هناك ان اردت الوقوف على جملة الاديان الشرقية اصولاً وفروعاً لا اعتنائهم بمعرفتها من دانوا بها في امكتتها ويكفيك هذا الملخص

١١ غ

هات الآن بقية الاديان وعصبيات الاشراكي والمركب وغيرها لنفرغ من هذا الباب ونخلص الى التأسيس الشرقي
ش

✽ الدين النظري التصوري وفروعه ✽

وهو دين الوثن وذو الروح وداعيته ان الطبقة الاولى من الحكماء والالهيين عندما وضعوا قواعدهم الحكمية ودعوا الخلق اليها والاخذ بها وقعوا من قلوب الامم ونفوسهم موقعاً عظيماً ادبى البعض الى القول بحلول الاله في هياكل هولاء الحكماء . والبعض لا اتخاذ صورهم تذكيراً لهياكلهم الشريفة وتداول الايام وكثرة الامم مع قلة التعليم اتخذ المتأخرون تلك الصور معبودات تقربهم الى الله متوسلين اليه باهل هذه الهياكل من المشرعين وعند ما جاءت الطبقة النوحية انتشرت فيها تلك الصور المسماة بالاصنام والاثوان وبنيت لها الهياكل العظيمة واجتمع عليها الناس في كل الاقاليم المسكونة ثم ضعف الادراك بفقد المعلمين والمرشدين وانتشار الامية في العالم وفراغ الناس من العلوم والدوال على الاصول فآل بالامر الى اتخاذ تلك

الاصنام آلهة فعالة مقصودة بالعبادة لذاتها وقربوا اليها القرابين وتفتنوا في صور العبادة وهيئاتها بحسب ما تدعوا اليه الاوهام والخيالات الفاسدة . وقال البعض بالبعث والنعيم والعذاب وانكر معظم الناس ذلك ثم باتساع نطاقه وانتشاره في امم متعددة متباعدة متباينة اللغات توسعوا فيه وتنقلوا من صور الحكماء الى صور الملوك العادلين والعباد المتكهنين ثم زادوه بسطة فوضع كل جنس او كل قوم او كل انسان صنماً على صورة ما يقع عليه استحسانه كوكباً او انساناً او حيواناً او نباتاً او معدناً وانتقلت فروعه من النظري التصوري الى الاستحساني

✽ الدين الاستحساني ✽

هذا الدين لا تدخل معبوداته تحت حصر فانها تختلف باختلاف النظر والاستحسان . وداعيته ان النفوس من لوازمها البحث على موجد او مؤثر في الموجودات وهذا البحث لازم لكل امة مهما كانت هياكلها الانسانية فارغة من الآداب خالية من التعاليم خصوصاً ايام انقطاع المواصلات الاجتماعية واستقلال كل امة بارضها وجهلها من عداها من الناس وتمكن النفرة والوحشة وقطع الطرق وجهل الملاحة والسياسة وبحسب المدارك وقفت كل امة عند ما وقفت عليه مداركها فكما ان ارباب العقليات اوصلهم البحث الى الاديان المتقدمة كذلك ارباب الاستحساني وقفوا عند حدود اوصلهم اليها تصور النفع او الضرر في حيوان او نبات او معدن او كوكب فافترقوا فيه أفرقاً شتى فمنهم من عبد الاثوار ومنهم من عبد الشعابين ومنهم من عبد القطط ومنهم من عبد شجر الزيتون ومنهم من عبد الخرنوب ومنهم من عبد الثوم

ومنهم من عبد جزءاً من انسان ومنهم من عبد الانسان ومنهم من عبد
الاحجار التي توجد على صورة هيكل انساني او حيواني ومنهم من عبد
الشمس ومنهم من عبد القمر الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر . ومن
فروعه من الزعم الملوک بعبادتهم والسجود اليهم في مجتمعاتهم . فهذا ملخص
الدين الاتسافي وفروعه باعتبار الاصول الكبار والمباني القديمة ولو تتبعنا
الظاهرين بالدعوات والمنتحلات الداعين اليها كثيراً من الامم في السابقين
واللاحقين لخرجنا عن حد الایجاز الملتزم ودخلنا باب الاسهاب — اما
عصبيات هذه الاديان فقد وجدت للاستدلالي التنزيهي عصبية البراهمة
في كتك من مدن كملكوطا فادخلته في دهلي وبينارس ومدرس وكوشين
وسرنغبتمان وبمباي واجمير وكمبايه وكولومبو (عاصمة سيلان) وسورات
ثم تنقل الى ممالك واقسام لاهور وسندي ونبول واودة ونغبور وغيكاور
ونظام وميسور وترونكورة وجزائر ملديوه واندامار ونيكوبار وغيرها من
الاقطار الهندية . ثم ادخلته في اقطار افغانستان واسام وبقي سائداً حتى
دخل عليه الدين المجوسي ثم الاسلامي ثم خضعت عصبته الى المملكة
الانكليزية اخيراً ولم يزل قائماً على اصوله معمولاً به يبلغ الآخذون به في
الاقطار الهندية وحدها نحو مائة وعشرين مليوناً من النفوس وله الهياكل
العظيمة والبيوت المعجوجة في بينارس وكتك واودجان وكتمندو وغيرها .
والدين الاشراكي المجوسي وجدت له عصبية في هذه الاقطار ايضاً سارت
به الى الفرس والافغان وتركستان وكوهستان والعراق واطراف بلاد العرب
وارمينية والخطا والداكن وبيض قطع من افريقية ثم خضعت عصبياته الى

عصبية الدين الاسلامي بدخوله عليه في بلاد الفرس والافغان وتركستان وبلاد العراق والعرب وخضعت عصبته الهندية اخيراً الى المملاكة الانكليزية مع بقاءها على اصول دينها - والدين المركب البدي (البوذي) وجدت له عصبية في نكنغ (نكن) ادخلته في بكين (بكنغ) وكيلين وكتون ومكاو وصيصيكار واونلين ومكدن وابلي وكنكيتاو ويركند ولسا وتاسيسودون وغيرها من البلاد الصينية ثم سارت به في جزائر فرموزة وهينات وليوكيو وجوكا ثم ترحلت به الى جزائر نيفون وسيكوكف وكترين ويزو وكوريلة وغيرها من بلاد اليابان ثم الى البرمان وانام وسيام وملقا (ملقة) وسير وبلاد التار . وبدخول الاديان على غيره في كل جهاتها لم يدخل عليه الا الدين الاسلامي في التار وشمال هندستان وملقة والدين المسيحي في سير ولبعد عصبياته لم تقع في اطاع الممالك المتدنية بغيره الا في هذا القرن الثالث عشر الهجري حيث امتدت اليها اطاع فرنسا وانكلترا والروسية فهي الان بين جاذبة الاستتباع ودافعة الاستقلال والظفر للآلات والحكم للقوة ولا قوة لهذه العصبيات مع كثرتها وجودة اراضيها واتساعها فهي لا شك واقعة في اشراك الدول بالقوة او بالحيلة ان لم يكن العام فالقابل او هذا القرن فالآتي خصوصاً وقد ارسل اليهم الوف من رجال الجمعيات الدينية لافساد ما هم عليه وايقاع النفرة بين تلك الجموع الكثيرة بالمطاع الدينية ليسهل على الدول التداخل الحربي باسم حماية المرسلين والدفاع عن الدين المسيحي كما هي القاعدة المتبعة بين ممالك اوروبا الطامعة في اقطار الشرق - والدين النظري التصوري والاستعسائي كانا منتشرين في

جميع اقسام الكرة الارضية وبقيها على سيادتها حتى دخل عليها الدين الموسوي في فلسطين وبعض العراق وبعض بلاد العرب ثم الدين المسيحي في الشام وايطاليا واسبانيا وفرنسا وانكلترا والمانيا والنمسا والروسية واسنوخ والبرازيل وسويسره والفامنك والبرتوغال وايتازونيا (امريكا المتحدة) وجزائر البحر الابيض وشبه جزيرة اليونان وارمينية ومصر وبعض بلاد العرب والحبشة ثم جاء الدين الاسلامي فدخل عليها في بلاد العرب والفرس وتركستان وكوهستان وكردستان وافغانستان وبلوچستان وخوزستان وهندستان والشام ومصر والسودان وتونس والجزائر ومراكش وشنقيط والاندلس والاناطول وجورجستان وطاغستان وفزان وعادل وزنجبار والنوبة وبرنو ونوتازيا وتمبكتو وسقطو وسنغمبيا وبعض بلاد الحبشة وكثير من جزائر البحر الابيض والهرسك وبوسنه والباغار وارمينية وبعض البلاد الصينية وبانفراد الدين الاسلامي والمسيحي بالمساجلة والمباراة اباداهما من معظم المعمور ولم يبق منها الا عصبية ضعيفة في موزمبيق وغينا الشمالية والجنوبية والبيرو العليا والشيلي ولكن رجال الدين المسيحي يحاولون نقلهم اليه بواسطة القسيسين والرهبان المرسلين اليهم للتغريب بالوسائل المألوفة والتعليم الديني في المدارس لينقلوا الاطفال طبقة بعد طبقة حتى اذا انقرضت الطبقة الكبيرة انقرض الدين معهم وخرج الصغار على الدين المسيحي وهذه الطريقة التي التزمها اوروبا في نقل الشرقيين من اديانهم الى الدين المسيحي بواسطة التعليم المدرسي اسهل لهم من طريقة الفتح بالسيف فان الدعوة بالسيف ينفر منها المدعو اول الامر وهذه لا يشعر بها احد الا بعد تمام تربيته وقد نجحوا في هذه الطريقة في

الجزائر وتونس وبعض اطفال مصر والشام والهند والصين فربوا الكثير على هذه الطريقة وهم وان فاتهم تظاهر المتعالمين عليهم بدينهم الآن فقد صيروهم من مشاربهم وسقوهم شراب محبتهم واستخدموهم في الحصول على مآربهم الشرقية ولنجاحهم في هذه الطريقة فتحوا الوفاً من الجمعيات وحبسوا عليها الاوقاف العظيمة ورتبوا لرجال الدين الرواتب الكثيرة وساعدتهم الحكومات على نفوذهم في الممالك الشرقية فهم الآن يحاربون كل امة شرقية بهذه الحرب الادبية صابرين على الاتعاب والمشاق باسطين ايديهم بال المساعدة والاعانة قائمين بوظائفهم جيلاً بعد جيل بلا ملل ولا سامة راجين الظفر بالمقصود العام بعد العام والقرن بعد القرن والشرقيون في غفلة الاوهام معجبون عن معرفة هذه الحروب بحجاب دعوى حرية التدين ومنع التعصب الديني وهما كلمتان لم تسمعا الا في الشرق فان اعمال اوروبا تنكر سماعها فيها وليس بعد عمل البروتستانت والفرير والجزويت دليل يطلب على شدة تعصب اوروبا للدين نعم ان المدارس المدنية في اوروبا ليس فيها دروس دينية ولكن هذه لا يدخلها التلميذ الا بعد اتمام دروسه الدينية في المدارس الابتدائية وبالجملة فان سعى رؤساء الدين المسيحي في العالم الشرقي عموماً والصين خصوصاً يجعل للمستقبل حكماً غير ما عليه الناس الآن ما دامت اهواء الشرقيين موزعة حول شقاشق اوروبا واوهام دهاتها : فهذه مقارن الاديان الانسانية وعصبياتها المنتشرة في اقسام الكرة الارضية قديماً وحديثاً وهذه الاديان الداخلة عليها في ازمان مختلفة بدعوات متغايرة الى عصرنا هذا — ومنها تعلم عدم خلو الامم من دين يدينون به في عصر من العصور واقليم

من الاقاليم وترى ان كلاً منها لم ينفذ برسائل المحبة ولا بجوابات الوداد وما انفذها الا ذاك المعوج المسمى بالسيف فان الانسان حريص على مآلوفه ومحبوب والديه ولا ينتقل عنه الى غيره الا بقوة قاهرة او مجادلة عامية والمجادلة لا تكون الا لافراد لا يستطيعون ان يتظاهروا بغير دين قومهم خوفاً على حياتهم فلم تبق الا القوة . ودعوى ان ديناً نفذ في العالم بسلم وامان دعوى لا دليل عليها فان التاريخ حفظ لكل دين طريق تنفيذه خصوصاً الاديان الثلاثة الموسوية والمسيحية والاسلامية وسياًتي تفصيل عصبياتها وكيفية نفوذها في العالم في ادوارها الاولى

وقد وجد في الاديان الآلية والانسانية رجال يحابون الملوك والامراء واناس يحافظون على الاصل المتعبد به من غير تغيير ولا تحريف ولا زيادة ولا نقص ولا تاويل يغيرون حقائقه المقررة عند متقدمي علمائهم ومحققهم . فمن القسم الاول رجال من قبضة الازمة الدينية داروا مع الملوك والامراء حيثما داروا تحليلاً وتحريماً بشبهات عقلية او قضايا قياسية او تاويل بعيد او برجوع الى اقوال ضعيفة تنفيذاً لآراء الملوك والامراء في الامم المحكومين فان رجال الدين في كل امة قابضون على الارواح والملوك قابضون على الاشباح فهولاء يحكمون بالصحة والفساد اولئك ينفذون والامم في ايديهم آلات يديرونها كيف شاؤوا والسوط بداية التأديب والسيف غاية التهذيب ولا مجال لأمناء الاديان في هذه الميادين لاشتغالهم بالمحافظة على الاصول وهم في خلواتهم بين التمسكين بعقائدهم . ومن هذا القسم الدائر مع الملوك والامراء حيثما داروا بعض المؤرخين من الموسويين والمسيحيين والمسلمين ممن خدموا

الملوك واخذوا بمجالسهم فانك ترى الرجل منهم اذا رأى من يوافق ملكه في دينه ويخالفه في مذهب من مذاهب فروعها قد علم باحكام تغاير مذهبه فاستفزته حمية الانتصار الى الحق او امامه الآخذ بمذهبه بالنصوص القوية الصحيحة برزله هذا المجلس وطعن في مذهبه وخطاه وضوب ما عليه الملك واتباعه محتجاً بمسائل ضعيفة يتصيد بها من كتب امثاله وان يرى المؤرخ منهم يمدح ويحسن ويذم الغير ويقيح حتى اذا انقضت ادولارهم وهلكت اجسامهم كانت كتبهم اغراس احقاد تتبخارى اليها الاتباع متهاككين ويمجنون ثمرتها متاوتين فتري رجال كل مذهب متجاذبين اطراف مذاهبهم يزخرف ما صورته المتملقون من هذا القسم فيتشائمون وهم اهل بيت ويتقاتلون وهم رجال وطن وبتقاطعون وهم ابنا جنس متصل الارحام فاذا نظروا الى المذاهب من حيث تباينها فحك الموسوي لما يراه في كتب السامري وسخر الكاثوليكي برأي البروتستانت وحط السني على الخارجي فاذا القى كل منهم ذاك الكتاب وخرج الى المجامع الاختلاطية نسي الالفاظ الصحيحة وحفظ الاغلاط والاوهام وقابل جاره المغاير له او شريكه او ابن جنسه بقلب مظلم وصدر ملتهب بالاحقاد والضغائن ينافقه بالسلام ويوافقه بالمصافحة ويحييه بشعر يبتسم ابتسام الورد فوق الغصن الشائك خصوصاً ما يقع بين المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين فانهم لولا ضرورة الاختلاط وقوة الدول لا كل بعضهم بعضاً . والحقائق في حد ذاتها لا تلبس بالاوهام الزائفة ولكن من اللام بالتحقيق والاجتماع على كلمة واحدة هي الحق المبين وهم سكارى بكاس الوعاظ ودردي المتعصبين — ومن القسم الثاني افاضل يحافظون على

الاصول الدينية خالصة من شوائب الافكار والاقوال المتضاربة والشبه الوهمية يقضون حياتهم الطيبة في تدريسها وتعليمها ورد المعارضين لها واذا كتبوا تاريخاً دونوا سير المعاصرين على ما هي عليه وخدموا العالم خدمة انسانية محضة يخفون لهذا العمل المبرور في زوايا بيوتهم يكتبون ويبيّنون ما يكاد ان يلتبس بالحقائق من الدعاوي الباطلة واذا تم لاحدهم مؤلف جليله طليماً لا يتهدي اليه الا بعد وفاته ولا ينشر الا بعد ذهاب معاصريه . وفي حياته يتظاهر بموافقة عامة قومه في اطراء معاصريهم من الرؤساء خوفاً من البطش به او تشديد النكير عليه . دعنا من المحابة حتى في رجال اوربا المتظاهرة بالحرية فقد اطلعني احد افاضلهم على مؤلف له غريب يذكر فيه الاصل المسيحي وما دخل فيه ويعلم الله تعالى انه لو اظهره واطلع عليه المسيحيون لأغضب الزائع قبل المتمسك ولا تمضي الايام حتى يموت ويظهر كتابه في تركته ويتعصب له بعض من هم على شاكلته فينشره سرّاً او جهراً ليتحصل على الغاية المقصودة منه وهي ايقاع العداوة والشحناء بين قومه بالاختلاف الديني الذي دس لاجله الاكاذيب والمفتريات . فرحم الله تعالى من مضى من رجال الفضل وحفظ من بقي وأيد من يأتي منهم قلولاهم ما عرفنا فضل المتقدمين من اكابر المؤلفين ولا ميزنا رذائل السابقين من رجال البهيميات بل لولاهم ازار الناس قبور الظالمين والزائعين متوسلين بهم الى الله تعالى في قضاء مصالحهم غروراً بما في التواريخ من المدائح والوصاف التي لا توجد الا في لفيف الاولياء - والى هنا تعلم انه لم يبق في العالم اديان يتنافس فيها الا ستة ثلاثة ذهبت قوى تحريكها وبقيت قوى تأسيسها في

ام قنعت بالحياة راضية بالخضوع لاية قوة حكمت ارض بعثها ومقر نشأتها وهي الموسوي والبرهمي والمجوسي وربما كان في طي الاقدار ما يبعث فيها روح الحياة الملكية فتتحرك على المتغلبين عليها وتستقل كما كانت في اول نشأتها فان تربية الام تحت احضان بعضها تولد هيئة المحاكاة وتبث روح التخلص من ذل التبعية الى عز الاستقلال - ودين تطرفت عصبية في سكنائها وبقيت تحت تحويل الانظار اليها وقد تحولت بالفعل كما قدمنا وهو دين البدة (البوذي) . ودينان حملا سلاح المبارزة والدفاع وتشعبا في جميع الاقطار وهما الاسلامي والمسيحي فهما يتبادلان الحركة والسكون بقوى تبعثها الاعتقادات الدينية مستترة بثوب السياسة الشفاف حاملة كتب اليهود الدولية على صدرها واضعة يمينها على جبهة الحدود والتخوم قابضة يسراها على عضد التجارة والمواصلات شاغلة فكرها باسم راحة دينيها في بلاد مغايره فقد اتخذت اوروبا هذه العلل وسائل للفوز بالاطماع اذا سكنت حركات الدفاع العدواني ومقصداً للاعدام اذا تمكنت الوصلة بين الام والمحكومون يجنون من تلك الاغراس حنظل المعيشة وعلقم الموت في سبيل حصرت ثمراته في افراد اذا اضرمو نار حرب لاغراضهم الذاتية وقربوا اليها الارواح العزيزة ترحموا على الميت وحبذوا للحي وانه لثمن لا تشرى به قلامة ظفر فضلاً عن حياة ملايين من الاناسى . ولولا اطماع الملوك في ممالك بعضهم لعاش الناس في كل ارض اخوانا فقد مضت ازمان الفتوحات الدينية ورضي كل بما هو عليه من الاعتقاد وهيئات ان سكنت حركة الحروب الاعدامية بعد ان كتب على كل لقمة يتناولها الملوك الذين والسياسة

غ

ارى الوقت قرب بالنسبة لحضور الوابور وقد حضر لي تلغراف بانتظار
بعض الاحباب فاشتغل بكتابة ما دار بيننا اليوم حتى لا تزامك المطالب
بكثرتها . وقد استأذنت صديقنا صاحب البيت في حضور الست معي
لتشاركنا فيما نحن فيه فأذن على شرط ان تأتي في لباس امرأة فلاحه

ش

احسنت في استئذائك وعسى ان ترزق تمام الشفاء وتحضر فاني احب
مشاغبتي ومبادلتي البحث ولو انها شديدة الخصام كثيرة الجدال اذا فتحت
باباً ولم يقفل على ما تريد مع حديثها في القول وصعوبتها في المطاعن وطالما
ضايقتني في اسكندرية فيما نحن فيه باعتراضات ومطاعن لا يقوى عليها
غيرها خصوصاً اذا تكلمت في سياسة الدول واخلاق الامم وتواريخ الملوك
شرقيين وغربيين فانها تشدد حنقاً وتمتلي غيظاً كأنها ام العالم اجمع لما عندها
من الشفقة والحنو والتألم من التخاذل والاختلاف الحاصلين في العالم والمسئول
الله تعالى في رزقها السلامة والعافية

غ ١٢

مالي اراك اليوم متغيراً كأنك تشكو شيئاً

ش

الحمد لله على السراء والضراء بعد ذهابك امس اخذت اكتب ما دار
بيننا وبيننا انا على وشك الفراغ اعترتني حمى خفيفة فاستعملت ماء مغلي الكينا
بعد ذهاب الدور وطلبت من اهل البيت عمل جانب من ماء الشعير وقد

علمتهم كيفية عمله فقلت لهم اغلوا الشعير أولاً ثم اريقوا ماءه فإنه يذهب
بما فيه من الزهومة والغضاضة ثم اغلوه ثانية حتى يصير كحب البليلة وصفوه
وأتوني بمائه لأشرب منه وفي نصف الليل رأيت الاعراض قد خفت
فصنعت حمأاً قديماً بالخردل (هو حب النبات الشهير عند الفلاحين
بالكبر) وقد أصبحت والله الحمد في مهالة احسن من حالة امس فتناولت
نصف درهم من مسحوق الراوند وقد عزمت على اخذ مسهل ولكن لما رأيت
الدور انقطع بعد المرة الاولى جزعت نفسي من تناوله فكأن النفس لا تقبل
الدواء الا مكرهه بحكم الضرورة . وكيف حال الست لعلها أصبحت معتدلة المزاج

غ

الحمد لله أصبحت بخير وقد ائتمست بضيوفها فتسأت بهم عن مرضها
ولا يخفك ان نصف الامراض اوهاام فلما ذهب عنها الفكر في المرض بمسامرة
الستات أصبحت معتدلة الصحة وهي تسلم عليك كثيراً ونقول عند ما يذهب
الضيوف تحضر معي ان شاء الله تعالى . وحيث انك معتل المزاج الآن فأذن
لي بالقيام لادرك الوابور فاني متوجه اليوم الى مصر واحضر غداً اهل يلزمك شي

ش

ارجوك ان تتوجه الى صديقي الفاضل الشيخ المعلوم وتسأله عن اهلي
وحالتهم وأين يكون شقيقي الآن وماذا يصنع وهل وجد أبي شيئاً من
كتبي التي فقدت منه في كفر الزيات وخذ هذا الكيس معك علامة
فاني اخذته منه يوم خرجت من مصر للاختفاء وقلن له صاحبك بخير

غ

عند ما توجهت اول امس الى مصر سألت عن صاحبك حتى وصلت
اليه فبمجرد ما اعطيته الكيس تغير واخذ يتفرس في وكلمنا اخبرته بمعرفتي
بك وصداقتنا وما بيننا من المودة انكرني وانكر معرفتك فلما يئست منه قلت
له كيف حال ابيه واخيه ووالدته فقال انا لا اعرفهم وانما سمعت من الناس
انهم بخير وانهم كانوا اقاموا مدة ببولاقي ثم سافروا الى اسكندرية من قريب
اما اخوه فيقال انه لا خدمة له ولما سمعت منه ذلك اطمأن قلبي وودعته
وقد جعل الكلام في صورة مسموعة وهو خبر منه في الواقع فالحمد لله
على سلامتهم

ش

بشرك الله تعالى بكل خير فقد ملأني سروراً بهذه العبارة وصديقنا
لكثرة الخواسيس حوله احتاط معكم فلا يؤخذ بما صنع وانما يعد ذلك
من حزمه

غ ١٣

هات اليوم عصيتي الدينين الموسوي والمسيحي وأخر عصبية الدين
الاسلامي حتى تحضر الست فانها قالت انك قادر على سبك مقاصدك في
قوالب تعجب الخصم ويراها حجباً قاطعة فهي تحب ان لا ندخل في التمهيد
الشرقي الا وهي حاضرة معنا فانها ادرى بطرق محاجتك مني لكثرة ما دار
بينكما من المباحث في الايام الخالية

ش

لما الله تعالى من حريصة على افكارها في الشرق واهله . واجابة لمقترحها
اذكرم بان بني اسرائيل بانتقالهم من فلسطين الى مصر ايام سيدنا يوسف
عليه السلام عظمت منزلتهم فيها وارتفعوا عزاً وثروةً ومجداً الى حيث صاروا
سادات الامة المصرية ووجهاءها وارتفع الكثير منهم الى المناصب العالية
والادارات الملكية الجليلة كما هو الشأن في كل طارئ على الامة المصرية
في جميع ادوارها العمرانية حيث يتقدم فيها الغريب ويتأخر اهلها الى ان
ينفذ الفقر فيهم وبعد انقضاء دور الصديق قضوا سنين في هذه المنعة حتى
بدا التخاذل فيهم وكثر التخالف بينهم وبين المصريين فضعفت عصبيتهم
وتوزعت اهوائهم في مقاصد الاحزاب وقام الملك وقعد بهم وبالمصريين حتى
هاجمهم العماقة واستولوا على البلاد وتأسست دولة الفراعنة الاخيرة فنزل
بنو اسرائيل من اوج المالكية الى حضيض الاستعباد واستعملهم العماقة
والمصريون في صغير الاعمال ودنيء الصنائع تحاملاً عليهم وخوفاً من ظهور
دعاة منهم يغالبونهم على ما بأيديهم او يكوّنون احزاباً وعصبيات بدعواتهم
فتبددت الوحدة وفترت الهمم وامتلات القلوب بالخوف ومضت على هذه
الحال قرون وهم يقاسون اشد العذاب تحت سيطرة الفراعنة وبينهم في غفلة
الضعف ونومة الخوف طلعت عليهم الانوار الموسوية مشرقة من صلب عمران
ابن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة
والسلام فلما شب وبلغ مبلغ الرجال اخذ يؤلف العصبية بتذكير مجد الابرار
وعز الاجداد وشرف الانساب والتنفير من الذلة والاستضعاف لمن هم تحتهم

قدراً وشرفاً والتبكي بالخضوع والاستكانة مع الكثرة والقوة وهم ينظرون
إلى ما يقول بعين البصر والاعتبار ويعترضونه بقسوة الحاكم وعداوة الأمة
وفراغهم من المعدات والحجر عليهم والتصديق بما يمنع اجتماعهم وتأليف
العصية وهو يحرك دماءهم بتسفيه أحلامهم وتقيح جنبهم ويذكركم أن القوة
الحاكمة كانت أفراداً مثلهم وما مكنها من القوة والسلطة إلا جمع الكلمة
وتأسيس العصية على وحدة قامت عليها دعائم الملك واستمر على تعريضهم
وتشجيعهم وهم خائفون من سوء العاقبة حتى كانت التظاهر الأولى حيث
استصرخه أحد بني إسرائيل على مصري يضاربه فوكزه سيدنا موسى فقضى
عليه ثم شاع الخبر ووصل فرعون وجنوده فحقدوا عليه وعزموا على الانتقام
منه خصوصاً وأنه تربى في بيت الملك وبين عائلته وقد ظهرت مبادئه وعلمت
مساغيه وخيف على الملك من حياة العصية الإسرائيلية فلما جاء أحد أتباعه
وقال له إن الملاء يأترون بك ليقتلوك فأخرجني لك من الناصحين فخرج
كما قال الله تعالى خائفاً يترقب وهاجر إلى وادي الشيوخ من أرض سيناء فنزل
في بني مدين بن إبراهيم على شعيب بن ميكائيل فأكرم نزله وزوجه بأحدى
ابنتيه وأخذ يقص عليه خبر آبائه وأسلافه ويؤيد رأيه في جمع العصية
الإسرائيلية للتخلص من قيد الاستعباد بالتظاهر الأدبي أو بالقوة وعنه تلقى
سيدنا موسى علوماً كثيرة موروثة للشيخ الكبير عن أخوانه الأنبياء عليهم الصلاة
والسلام وما زال عنده يأخذ عنه علوم الأنبياء وأخبار الدعاة وأحوال الأمم
حتى قضى عشرين سنة معاً عند العقد على زوجته فلما انتهى الأجل
سار بأهله إلى مصر وفي طريقه أخذ زوجته الغاض وكانت ليلة باردة فمشى

بين الجبال يتحسس خبر قوم حالين هناك لعله يجد عندهم ناراً يدفيء بها زوجته فنادته العناية الالهية بان هذه الليلة هي ليلة مجدك ورفعته قدره وكلمه ربه انك بالوادي المقدس طوى وانا اخترتك فاستمع يا يوحى انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري . اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك . قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من اهلي هارون اخي اشدد به أزرى واشركه في امري كي نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً انك كنت بنا بصيراً . قال قد أوتيت سؤالك يا موسى . اذهب الى فرعون انه طغى فقلوا له قولاً ليناً لعله يتذكر او يخشى . فأتياه فقلوا انا رسولا ربك فارسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بآية من ربك والسلام على من اتبع الهدى . فرجع موسى الى اهله وقد نبأه الله تعالى وارسله وشرفه بالتكليم فसार بهم الى مصر وقد قوى عزمه على جمع العصبية ومقاومة عدوه ان لم يؤمن به ويتبعه فيما جاء به من الدين القويم فلما دخل مصر اجتمع بأخيه هارون وقص عليه خبره وما كان من ارسال الله تعالى لهما وعزمه على التظاهر بالدعوة الى الله تعالى اعتماداً على تأييد الله ونصره فذهب الى فرعون وحيداً وهويين قومه محاط بجنده نافذ الكلمة قوي السلطان فدعاه الى الله تعالى والايمان به فاخذته عزّة الملك وابته عليه نفسه الانقياد الى من يراه دونه صورة بل الى من تربي في بيته على نفقته وقال له ألم نربك فينا وليداً امتنّ عليه بنعمة نقوم بها ارملة وهو ملك يزعم انه آله المصريين وهذا لا يليق بمقام الملوكية فضلاً عن الربوبية ولكنه اراد ان يموه على قومه ويوهمهم استضعاف سيدنا موسى

واختطاره بالنسبة الى مقام الملوكية ومن كانت هذه صفته لا يكون متبوعاً .
ثم كر عليه بقضية أخرى فقال وفعلت فعلتك التي فعلت وانت من الكافرين
بتعمتي يريد قتله المصري الذي قتله عندما استصرخه الاسرائيلي متظالماً من قسوته
التي حملته على الفتك به لولا تدارك سيدنا موسى ولعله كان من شريعة يعقوب
ان المصر على القتل الذي لا يدفع الا بالموث يقتل فلما رآه سيدنا موسى
مصرّاً على قتل الاسرائيلي ولا يدفع عنه الا بقتله قتله فهو منفذ حكماً من
احكام الشريعة الاسرائيلية اوان الوكر كان للتأديب لا للقتل وهو الحق ولكن
فرعون عده كافراً نظراً لظاهر الحال وليوقع في قلوب المصريين انه ظالم فاتك
لا يصلح لرعاية امة عظيمة . وهي سياسة عرفها فرعون في المصريين يستميلهم اليه
باوهام وخيالات يصورها اليهم في صور الحقائق اعلمه انهم يأخذون كلما خرج
من بين شفثيه على انه حق في ذاته لا يقبل التأويل والنظر اذ قد نجرب نفسه
معهم في وقائع كثيرة من مثل هذه الاوهام ووجد نفسه ناجحاً قولاً وعملاً حتى
في دعواه الربوبية فينشى ان يستميلهم سيدنا موسى بدعوة ثقلها العقول هي
اولى بالتسليم من دعواه الباطلة فموه عليهم القول وظهر عظمتهم امامهم فقال له
سيدنا موسى فعلتها اذاً وانا من الضالين الغافلين عن احكامك العاملين بشريعة
آبائي او عن ان الوكر يقتل وعند ما بلغك خبر هذه الواقعة رأيتكم تبحثون عني
لتقتلوني ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين .
فتعالى عليه سيدنا موسى بمقام الرسالة الذي انطوى فيه الاقرار بان هناك
إله آخر هو الإله الحق المعبود وانك عبيد يرسل اليك مثلي ليدعوك الى
ربك ويردك عن غوايتك وضلالك واني وان كنت مستضعفاً كما تزعم

فقد أكرمني ربي وفضلني عليك وعلى غيرك بالرسالة وعلمني من علم اليقين ما لا تعلمه وقوي عزيمتي قوة جنتك بها وحيداً وانت في اعلى مقامات سلطانك اسفه رأيك واحلام قومك في ادعائك الربوبية وتصديقهم اياك مع علمهم بانك مصنوع مثلهم تأكل وتشرب وتحدث وتنام وتمرض ويتتابك ما يتتاب العبيد ومع علمهم بهذا كله صدقوا دعوتك الباطلة وآمنوا بمقاتلتك الكاذبة وانقادوا لك انقياد الاعمى لمن أخذ بيده افترى برهاناً على صدق دعواي اكبر من اختراق صفوف جندك لا احمل الا عصاي وقولي اني رسول الله اليكم وقد غل الله تعالى يدك فلم تصل الي بسوء وعقل لسانك فلا ينطق بحجة . ثم انك مع عظمتك التي تدعيها تنازلت الى مقام انسان حقير وضع بين معروفه لفقد مرواته وانحطاط همته وقلت ألم نربك فينا وليداً وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل واتخذتهم خدماً وصناعاً ونزعت ما بأيديهم من الملك والملك وانزلتهم من صياصي عزهم ومجدهم الى حضيض استعبادك لهم واستخدمهم في المن الحقيرة وانت تعلم من شرف انسابهم ومجد آبائهم ما لا يعلمه غيرك من هؤلاء الذين استخففت عقولهم فقدتهم اليك بجمال الاوهام وقد نسوا كما نسيت نعم بني اسرائيل واحياء يوسف الصديق لبلادهم وانفسهم بتديرة وحسن تصرفه واجتهاده في اصلاح البلاد وتوفيره موارد الثروة عليهم ولم تقصر الاحبار والعظماء منا من بعده حيث جزوا على نسقه وخدمواكم خدمة جد واخلاص فكان عاقبة سعيهم الجميل ان اتخذت ابناهم عبيداً وجئت الآن نقول ألم نربك فينا وليداً ولم تذكر اننا ربيناكم وليداً وقتي وشيخاً وهرماً فلنا في كل ذي روح منكم نعمة لا تنكر فهل تقوم نعمتك الصغرى القاصرة

على انسان واحد بنعم بني اسرائيل العديدة التي عمت كل مصري او لعل مراد سيدنا موسى انك عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيداً وهم ملء بيتك وساحتك فهم الذين ربوني فلا منة لك عليّ او انا من بني اسرائيل الذين تعبدتهم ولا يليق بمن يدعي السيادة ان يمتنّ بلقمة خبز علي من يزعم انه من عبيده وفي هذا من التبيكيت ما لا يخفى . الا ان قول سيدنا موسى وتلك نعمة تمنها عليّ علمنا لزوم شكر المنعم وان كان كافراً كفرعون فان كفره لم يبطل نعمته ولا منته بدليل الآية واذ لم تبطل النعمة لزوم الشكر . ويحتمل ان يكون الكلام من طريق الاستفهام اي او تلك نعمة تمنها عليّ فيكون انكاراً لما يدعيه من نعمة البرية لان سبب وقوع سيدنا موسى في يده انه كان يجمع ابناء بني اسرائيل ليزجهم لا ليربيهم وهذا الذي الجأ ام سيدنا موسى للاقائه في اليم فوقع في يد فرعون صدفة لا انه استحضره من امه ورباه شفقة منه على ان التي ربه هي امه لا فرعون فانه لم يرضع غيرها فلا وجه لامتنانه عليه وبالجملة فان سيدنا موسى تصلب مع فرعون ووقف وقفة من يدعو سلطاناً للتنازل عن ملكه مع انه فرد لا عون له وليس معه قوة جنديّة تؤيد حجته وتدفع عنه عدوه وما معه الا عناية من ارسله وهو الله القادر القوي . ومع كل ما ابداه فرعون من الابرار والارعاد والتهديد والتهويل لم يرجع سيدنا موسى عن قوله اني ادعوك الى الله تعالى لتعبده على انك فرد من افراد عبيده وقد تقدم لفرعون انه قال لقومه انا ربكم الاعلى وقال مرة اخرى ما علمت لكم من اله غيري فكيف ينزل عن دعواه بعد استمراره عليها سنين ولذا اخذ بموّه على المصريين بروغانه في

في المجادلة مع سيدنا موسى فانه لما رآه ثابت القلب غير مبال بسطوته وقوة سلطانه انتقل من مقام الامتنان الى مقام انكار الاله ظاهراً ليدفع عن قومه دواعي العلم بوجود اله غيره فقال لسيدنا موسى . وما رب العالمين . عند ما قال له اني رسول رب العالمين اليكم ومن هذا الاستفهام يرى ان فرعون كان من الحلولية القائلين بان الاله يتدرع بجسد انسان معين فيكون له بمنزلة الروح بالنسبة الى كل جسد . او من الفلاسفة فيقول بالعلة الموجبة لا بالفاعل المختار وقد اعتقد انه بالنسبة لاستعباده قومه صار بمنزلة اله لهم . او انه كان دهرياً يقول ان الافلاك واجبة الوجود في ذاتها ومتحركة لنواتها وان حوادث العالم مسببة عن حركاتها ولهذا كان يسمي نفسه الهماً . والا فان العاقل اذا علم انه وجد بعد ان لم يكن موجوداً ثم علم ان كل ما كان كذلك فلا بد له من موجد مؤثر تولد من هذين العالمين علم بافتقاره في تركيب بنيته وحفظ حياته وكونه عاقلاً ذاكراً الى مؤثر موجود واذا وصل الى هذا الحد تحقق انه عبد مخلوق وفقير مرزوق . وقد تكلم العلماء في مجادلة فرعون بكلام يحتاجه الانسان فلا بأس من ايراد بعضه خصوصاً ونحن نعلم ان مناظرتنا ستعرض على غيرنا من كبير وصغير سيما وان الكلام في جانب الحق سبحانه وتعالى والنفس ميالة الى كل بحث يختص به تعالى — قالوا ان السؤال بما انما يكون لطالب تعريف حقيقة الشيء وهذا التعريف اما ان يكون بنفس الحقيقة وذلك محال لاننا اذا عرفنا الشيء بنفسه لزم ان يكون معلوماً قبل ان يكون معلوماً وهو محال واما ان يكون بشيء من اجزاء تلك الحقيقة وهذا في حق الله تعالى محال

لان التعريف بالاجزاء لا يكون الا للمركب والله تعالى يستحيل تركيبه لان كل مركب محتاج الى كل جزء من اجزائه وكل بجزء منه فهو غيره فكل مركب محتاج الى غيره وكل محتاج الى غيره فهو ممكن لذاته وكل مركب فهو ممكن فما ليس بممكن يستحيل ان يكون مركباً فواجب الوجود سبحانه وتعالى ليس بمركب واذا لم يكن مركباً استحال تعريفه باجزائه . واما ان يكون بامر خارج عن الحقيقة كما هنا فانه لما استحال تعريف حقيقة الله تعالى بنفس الحقيقة وانتفى عنها التركيب تحققنا انه لا يمكن تعريف ماهيته تعالى الا بلوازمه وآثاره واللوازم قد تكون خفية وقد تكون جليلة ولا يصح تعريفها بالحقية بل لا بد من تعريفها بالجليلة وأجل آثار الله تعالى هذه العوالم المحسوسة فلذا قال له سيدنا موسى . رب السموات والارض وما بينهما . اذ لا جواب له الا هذا الذي افحمه وكذبه في دعواه فانه اعلمه بهذا الجواب انه مركب محدود يمكن تعريفه باجزائه والاله لا يكون كذلك واخبره ان الاله هو النافذ الامر في السموات والارض وما بينهما وانت قد انحصرت سلطتك في مصر التي هي قطعة صغيرة من الارض وتعلم ان حولك ممالك يحكمها ملوك مثلك وان لا سلطة لك على شيء من السموات وما فيها فالخالق لهذه السموات والارض وما فيها هو رب العالمين . فان كنتم توقنون بان هذه المحسوسات مستندة الى موجود واجب الوجود غير مركب ولا محصور فاعلموا اني ادعوكم لمعرفة الله تعالى المستحق للعبادة . فلما علم ان سيدنا موسى حجه وقهره ونجاة من طريق لا يمكنه ان يدعيه رجع الى قومه بالخداع والنفاق فقال . ألا تسمعون . ارجع اليهم الكلام

ليستهم اليه كأنه يقول تعجبوا من موسى فاني اطلب منه بيان الماهية ونفس الحقيقة وهو يجيبني بالفاعلية والمؤثرية والاشكال الذي طواه فرعون في تعجبه بقوله الا تسمعون هو ان سيدنا موسى عرف ماهية الاله بلوازمها وتعريف الماهية بلوازمها لا يفيد الوقوف على نفس الماهية لانا اذا قلنا في شي انه الذي يلزمه لازم كذا فهذا المذكور اما ان يكون معرفاً لمجرد كونه امراً ما يلزمه ذلك اللازم او لخصوصية تلك الماهية التي عرضت لها هذه الملزومية والاول محال لان كونه امراً يلزمه ذلك اللازم جعلناه كاشفاً فلو كان المكشوف هو هذا القدر لزم كون الشيء معرفاً لنفسه وتقدم انه محال . والثاني محال ايضاً لان العلم بانه امر ما يلزمه لازم كذا لا يفيد العلم بخصوصية تلك الماهية الملزومة لانه لا يمتنع عقلاً اشتراك الماهيات المختلفة في لوازم متساوية فثبت ان التعريف بالوصف الخارج عن الحقيقة لا يفيد معرفة نفس الحقيقة فكونه رب السموات والارض ليس بجواب عن قوله ما رب العالمين المقصود به الاستفهام عن نفس حقيقة الاله . على ان هناك من يعتقد ان السموات والارض واجبة لذواتها فهي غنية عن الخالق والمؤثر عنده فالجواب بان رب العالمين هو رب السموات والارض لا يعتقد الا من يعتقد حدوث العوالم العلوية والسفلية . فلما علم سيدنا موسى تمويهه جاءه من طريق آخر فقال ربكم ورب آبائكم الاولين . فان كلاً منكم يعلم انه وجد بعد عدم وان آباءه واجدادهم عدموا بعد وجودهم ومن كانت هذه صفته لا يكون واجب الوجود لذاته بل يكون ممكناً وكل ممكن مفقود الى موجد مؤثر ولا مؤثر الا الله تعالى الذي هو رب العالمين . فكان

هذا الكلام حجة في فم فرعون ولكنه علم من قومه ضيف الادراك فعاد الى التمويه وقال . ان رسواكم الذي ارسل اليكم لمجنون . اضافهم اليهم تهكماً به وبهم واوهمهم انه يسأله عن الماهية وهو يجيبه بالآثار الخارجة عنها فلما رآه سيدنا موسى قد التزم المكابرة مع انقطاعه عن الدليل قال له . رب المشرق والمغرب وما بينهما . اي ان هذه الحركات الفلكية القاضية بالشروق والغروب وسير الكواكب على نظام بديع نقضي بان هناك محركاً مؤثراً فيها وليس ذلك نفس الافلاك فان الشيء لا يوجد نفسه واذا بطل ذلك علمنا ان ترتيب الشروق والغروب على الحركات الفلكية لا يقدر عليه الا موجد المؤثر فيه وهو الله تعالى ثم لما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وفحش في القول اغلظ له سيدنا موسى الجواب فقال . ان كنتم تعقلون . فان معرفة الاله بآثاره انما هي طريقة العقلاء والبحث عن ماهية لا تصل اليها الظنون والافكار هو عين الجنون فكأنه قال له المجنون انت لا انا فاني ماش على طريقة العقلاء . وانت تريد طريق المجانين ولو نظرت الى نفسك لرأيت بدنك مؤلفاً من الطبائع وهي متنافرة متباغضة متباعدة عن بعضها بالطبع فاجتماعها على نظام يحفظها من التنافر والافتراق لا بد وان يكون به قاسر وليس القاسر النفس الانسانية لان تعلق النفس بالبدن انما يكون بعد حصول المزاج واعتدال الاخلاط . والقاسر للطباع المؤلف لما في الاجتماع سابق على الاجتماع والسابق على حصول هذا الاجتماع مغاير للتأخر عنه فثبت ان مؤلف هذه الطبائع مغاير لما وهو الله تعالى الذي ادعوك لعبادته واقول لك عنه انه رب العالمين فلو كنتم تعقلون لمشيتم معي في طريق

الاستدلال بالأثر على المؤثر ورجعتم عن الدعاوي الباطلة . فلما عجز فرعون عن معارضة سيدنا موسى بالدلائل العقلية ورأى انه غلبه وربما تمكن من استمالة قومه بهذه البراهين القوية قال . لئن اتخذت الهاً غيري لاجعلنك من المسجونين . وهذا كلام العاجز الضعيف الذي ضاقت عليه طرق الحاجة الانسانية فضلاً عن التصرفات الالهية فانه بعد ما رآه من تصلب سيدنا موسى في دعوته وتصديه له بتسفيه رأيه ورده عن دعاويه الكاذبة والحاحه عليه بالرجوع عما هو فيه والاعتراف بالله رب السموات والارض رب العالمين يقول له لئن اتخذت الهاً غيري وما قصد بذلك الا نزع ما ثبت في مخيلة قومه من براهين سيدنا موسى بايهامه انه يخبر عن نفسه بالالهية في حضرة من يقول بارله غيره ليبقوا على ما عندهم من اعتقاد إلهيته فلما سمع منه سيدنا موسى هذا الوعيد لم يلتفت اليه ولا اخذته منه رهبة بل اراد ان يظهر كذبه وجبنه وعجزه عن مقاومة الرسول فضلاً عن الإله فقال . أو لو جئت بك بشيء مبین . اي ولو جئت بك بشيء مبین تسجنني . قال فأنت به ان كنت من الصادقين . وهذا من الدلالة على جهل فرعون وضعف قواه العاقلة فانه بعد تهديده سيدنا موسى بالسجن ان لم يعبد ما كان ينبغي له ان يتنازل لطلب اشياء يريد الخصم ان يسفه رأيه بها ويجعلها حجة على بطلان دعواه وعجزه عن ضبط امور نفسه ولكن نفس الانسان ميالة الى استطلاع الامر الغريب فحكمت عليه الانسانية بظهورها على لسانه وفي حركاته فطلب ان يظهر سيدنا موسى ما عنده وقوله ان كنت من الصادقين تعليل يدفع به وهم صدقه من افكار قومه فجعله مقدمة

لتكذيبه عند وضوح برهانه وهذا احتراس غريب من فرعون . فالقى عصاه
فاذا هي ثعبان مبن . ودلالة هذه الآية على الإله تعالى ان العصا جسم
ميت لا حركة فيه وهي مرئية لفرعون بصورتها الشجرية لا عضوها ولا
روح فيها فانقلابها حية تسعى بين القوم هاهنا وهاهنا ليس من فعل سيدنا
موسى لانه ممكن لذاته والممكن لا يوجد غيره لا فنقاره الى ممكن بل هو
من فعل الله تعالى وقد عجز فرعون عن الاتيان بمثل هذه بل عن منع
حركة الحية عند انسياها بين يديه واذا ثبت عجز سيدنا موسى عن هذا
الاقلاب وعجز فرعون عن ردها ومنعها ثبت ان المحرك لها بعد قلبه صورتها
هو الله تعالى الذي يدعو اليه سيدنا موسى فهذا دليل نظري من جهة
عقلي من جهة أخرى . ثم تناول العصا وهي حية تسعى فعادت عصا كما
كانت وقد تحير فرعون وذهل من هذه الآية الغريبة ثم اراه سيدنا موسى
آية أخرى حيث اخرج يده التي يعرفها فرعون فاذا هي بيضاء للناظرين
لها شعاع كشعاع الشمس ولم يكن بها برص ولا معه طلاء ثم اعادها الى
جيبه واخرجها فاذا هي على حالتها الاولى فرأى فرعون قومه قد يهرم
الامر واخذ بعقولهم وظهرت عليهم مخايل التصديق والاعتراف بما جاء به
فقال لنزع ذلك من افكارهم بثلاثة امور الاول قوله : ان هذا الساحر
عليم . اي عليم باساليب السحر متفنن فيه يأتي بكل عجيبة فلا يقصد قوه
فانه ساحر وهذا الذي اظهره لكم انما هو من ضروب السحر لا من ضروب المعجزة التي
يدعيها ليجعلها دليلاً على وجوده له غيري . الثاني : قوله يريد ان يخرجكم من
ارضكم بسحره . او همهم انه يريد ان يتغلب على عقولهم حتى يستميلهم اليه

فاذا صاروا في قبضته طوع امره ابعدهم عن الوظائف والمرتبات وفرض امر
 البلاد الى بني اسرائيل وجعلهم سادتهم فاذا تمكن من ذلك القى النفرة
 بينكم واستعمل القسوة فيكم حتي تخرجوا من بلادكم الى غيرها وهذا اصعب
 ما يكون على اهل الوطن فاراد ان يحرك حميتهم بهذا التمويه . الثالث
 قوله . فماذا تأمرون . استمالهم اليه برد القول اليهم من طريق الشورى
 فاستعطفهم بتنازله الى حد ان يشاؤهم في اهم الامور واوقات الكروب
 والنوازل . ومن تأمل في هذه العبارة علم حقارة فرعون حيث نزل من
 مقام دعوى الالهية الى مقام رجل مغلوب، مقهور ليس له نصير دفعته
 الضرورة الى الاستعانة بمن يزعم انهم عبيده المحتاجون اليه المخلوقون بصنعه
 وليس بعد هذا ذل . وهل يليق بمن يقول لقومه ما علمت اكم من إله
 غيري ان يرجع اليهم بقوله فماذا تأمرون فانه نزل الى حد التبعية حيث
 صير نفسه مأموراً وصيرهم آمريين وهذا دليل على انه ذهل وذهبت عنه
 فطنته ودهاؤه عندما حجه سيدنا موسى ورأى انه قد استمال النفوس بصدق
 عبارته وحقيقته ما جاء به حتى ما يمنهم من تصديقه الا الخوف من بطش
 فرعون بدليل قوله . أَرْجِهْ وَاخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَا تُوَكُّ بِكُلِّ
 سَحَّارٍ عَلِيمٍ . ولم يقولوا قتله واخاه واسترح منها فانهم لما رأوا غرابته ما جاء به
 سيدنا موسى وبعده عن ضروب السحر التي يعرفونها ورأوا فرعون يريد
 صرفهم عن تصديقه بقوله ان هذا لساحر عليم فقالوا عندك كل ساحر عليم
 فاحشروهم اليك ودعهم يناظرونه بسحرهم ليتبين ان كان ساحراً مثلهم او انه جاء
 بحق كما يقول فبجح فرعون لمشورتهم وبعث البعوث في جميع البلاد المصرية

يدعون اليه السحرة وكان السحر متسلطاً في ذلك الوقت والسحرة منتشرون في البلاد وقد خرج سيدنا موسى من حضرة فرعون وذهب الى بيته منتظراً يوم الزينة الذي جعل ميعاتاً لاجتماع السحرة واعيان الاهالي ولم يقدر فرعون على حجزه وسجنه كما كان يتهدده بذلك وفي هذا من الدلائل على صدق رسالة سيدنا موسى وتأيدته بقوة ربانية وصيانه بحفظ إلهي ما لا يخفى فانه رجل دخل على ملك يزعم انه إله وكذبه في دعواه الإلهية ونسبه الى الجنون واذهل عقله بما ابداه من المعجزات بين يديه في حضرة قومه ثم خرج كأن لم يكن يصنع شيئاً وما تعرض له احد وقد تقوت العصبية الاسرائيلية بهذه الحاجة واجتمع اشرافهم على سيدنا موسى وحشوا الاصاغر على اتباعه والأخذ بما جاء به . ثم اجتمع السحرة والناس في اليوم المعلوم وجرى بينهم وبين سيدنا موسى ما جرى من ابطال سحرهم وظهور معجزته الحقة وفوزه بالغلبة والظفر وانتهى الامر بإيمان السحرة بما جاء به سيدنا موسى عند ما تبين لهم انه الحق اذ هم احق الناس بالترقية بين السحر والمعجزة لعلمهم بضروب السحر واشتغالهم به الازمان الطويلة وقد رأوا ان الذي جاء به ليس من قبيل السحر الذي يعرفونه ولذلك وقعوا في الحال ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين وقد كانوا القوة الكبرى التي اراد فرعون ان يدفع بها سيدنا موسى ويؤيد بها قوله ان هذا لساحر عليم فلما رأى سعيه خاب وازداد سيدنا موسى قوةً وتأيداً بإيمان السحرة الاعتبارين عند الناس قال . آمنتُم له قبل أن أذن لكم . يوم انه عبد من عبيده اذا أذن باتباعه اتبعه الناس وانه لا يجوز لاحد ان يتبعه بغير اذنه وفي هذا من المذيان ما لا يخفى

ولما رأى ان إيمان السحرة يحول افكار قومه الى تصديق سيدنا موسى اخذ
يؤهم الناس انه ساحر وان ما حصل من إيمان السحرة كان باتفاق معه فقال
يخاطب السحرة انه لكبيركم الذي علمكم السحر . اي انكم قادرون على الاتيان
بمثل ما جاء به موسى ولكنكم تواطأتم معه لتستميلوا الناس اليكم باعمالكم
مع علم فرعون ان سيدنا موسى تربى في بيته بين حاشيته وبطانته ولم
يجتمع بالسحرة ثم هاجر وحده وعاد كما هاجر ولم يجتمع باحد منهم دلي ان
طرو سيدنا موسى على السحرة مما يقضي عليهم بمنافرتهم وبذل الجهد في الظهور عليه
حرصاً على مركزهم بين قومهم فدعواه انه كبيرهم دعوى باطلة ولكنه تعود
من قومه سماع كل ما قاله من غير بحث فيه ولا نظر . ثم عطف على السحرة
مظهراً عظمتهم وقوة سلطانه ليسترجع من افكار قومه ما ذهبت به هذه
الآيات فقال . لا قطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ولا صلبنكم اجمعين .
توعدهم باشد العذاب حيث يريد ان يقطع يد الواحد منهم اليمنى ثم رجله
اليسرى ثم يده اليسرى ثم رجله اليمنى ثم يصلبه مبالغة في التنكيل والعقاب
ولكن السحرة لم يرهيبهم توعدده ولا اخافهم تهديده بل قالوا . لا خير انا
الى ربنا منقلبون . اي انا آمنة بالله لا رغبة في ذات موسى ولا رهبة منك
وانما كان ايماننا لله تعالى الذي اظهر هذه الآيات البيّنات والمعجزات الباهرات
على يد هذا الرسول وانك ان قتلتنا كما نقول فلا ضرر علينا فاننا ننقل
من هذه الدار الفانية الى الدار الباقية وفيها نلقى الله تعالى الذي آمنة به
وعرفنا انه الاله الحق المستحق للعبادة دون غيره وانك . انما تقضي هذه
الحياة الدنيا . التي تعبدت فيها الناس وادعيت الالهية فيها بامهال الله

تعالى لك وارحاك الى اليوم الآخر . انا آمنة بربنا لئلا نفر لنا خطايانا وما
اكرهتنا عليه من السحر . اظهروا ما كان بينهم وبين فرعون من اكرامهم
على تعلم السحر ليشعبد بهم بين قومه ويوهمهم انه هو الذي يظهر هذه
الآيات على ايديهم فكانوا آلة يجذب بها الافكار اليه فلما ظهر لهم الحق
قالوا . لن نؤثرك على ما جاءنا من اليناث . ثم لم يعباوا بوعيده وتهديده
لعلمهم انه عبد ضعيف لا يقدر على شيء وغاية ما عنده ان يتصف بصفة
صائل يسطو على حياة غيره بقوته . ثم انفض الجمع وقد قويت شوكة
سيدنا موسى وعرف الناس عجز فرعون عن مقاومته ورده فاستخف به السحرة
وسجدوا لله تعالى بين يديه وقالوا له انك عبد فان . والله خير وابقى . ولم
يبالوا به وهو في اقوى ما يكون من سلطانه وكأن الناس كانوا يعلمون
كذبه وانه ليس بربه وانما يعبدونه مرغين وهو كذلك كان يعلم ذلك منهم
ولذلك لم يستع من استشارتهم والاستعانة بالسحرة في جموع قومه فانه لا
يعقل ان فرعون ملك المصريين وهو مجنون وانما ملكهم وهو في اعلى مراتب
التعقل فهو يعلم انه ليس بمخالف للسموات والارض ولا شيء من الكائنات
فان اقرب الاشياء اليه ذاته وهو لا يمكنه تغيير ذرة منها ولا استبدال
شعرة بغيرها ولعله كان دهرياً كما قدمنا يعتقد ان الكواكب هي المدبرة
لهذا العالم وانه ربي المصريين باحكامه فجاز عنده ان يقول لهم انا ربكم الاعلى
اي مربيكم وما علمت لكم من إله غيري اي معبود يستحق ان تعبدوه فان
نعمي عليكم نقضي ذلك لانه إله خالق لهذه الكائنات مدبر لهذه
العوالم العظيمة كما يتبادر للذهن عند سماع دعواه الإلهية . ولم يرجع سيدنا

موسى عن دعوته الى الله تعالى خوفاً من فرعون وملائه بل عاد اليه مع اخيه هارون وقالاه . انا رسولا ربك . فرأى فرعون انه لو بدأه بالابدية لنسبه الناس الى السفه والجهل ولذلك استنكف من البطش والعنف ورجع الى المناظرة فقال . فمن ربكما يا موسى . انا الذي رببتك وليداً أتعرف رباً اي مربيا غيري وقصد هنا الاستفهام عن كيفية الاله بعدما استفهم عن ماهيته بقوله ما رب العالمين وعجز عن الوصول اليها وعلم انه لا يعرف حقيقة الله الا الله فقال سيدنا موسى . ربنا الذي اعطى كل شي خلقه ثم هدى . اي الاله الذي نعبد وندعو اليه وهو الرب الحقيقي هو الذي خلق صور الكائنات ودبر موادها واحسن تركيبها وبعد ابداعه الشي هداها بابداع القوى المدركة والحركة كما ترى من نفسك فان الله تعالى سوى صورتك وركب بدلك من اخلاط العناصر ثم نفخ فيك من روحه اي من الاجسام النورانية اللطيفة الجوهر التي لا تقبل التحال والتبدل ولا التفريق ولا التمزق فانقذها في بدلك . فقاذا بالنار في الفحم والدهن في البزر فتحركت بهدايته لك وما دامت هذه الاجسام الشريفة نافذة في بدلك سارية في اعضائك فانت حي فاذا فرغ اجلك تولدت في البدن اخلاط غليظة تمنع سريان تلك الاجسام النورانية فيه فانفصلت عن البدن فيعرض لك الموت وكذلك اذا طراً على البدن طارىء فجائي يمنع سريانها مات البدن عند انتهاء اجله المحدود وانظر الى هذه السموات كيف رفعها وصيرها في هذا الجو العظيم بفعله وتديره لا أنها صارت كذلك لاعيانها وذواتها كما تزعم فان الاجسام متساوية في تمام الماهية ولو وجب حصول جسم في حيز معين لوجب

حصول كل جسم في ذلك الحيز . وكذلك الاحياز المعترضة في الخلاء
 الصرف غير متناهية ولكنها متساوية فلو وجب حصول جسم في حيز
 معين لوجب حصوله في جميع الاحياز ضرورة ان الاحياز باسرها متشابهة
 وبهذا تعلم ان حصول الاجرام الفلكية في احيازها وجهاتها ليس امراً واجباً
 لذاته بل لا بد له من مخصص ومرجح ولا مخصص الا الله تعالى الذي خلقها
 وابدعها . وحكمك حكم هذه الاجرام لانك جسم حاصل في حيز فيمتنع
 ان يكون حصولك في هذا الحيز لذاتك او لعينك بل ذلك حاصل بتخصيص
 الله تعالى الذي خالقك وهداك لتناول ضروريات حياتك وكل ما كان
 جسماً يمتنع ان يكون إلهاً . ثم انك ترى ان خلق المعادن والنبات والحيوان
 انما يكون بواسطة تركيب طبائع هذا العالم البديع وعند تركيبها لا بد وان
 يحصل من الارض والماء والهواء قدر مخصوص ومن تأثير الشمس والكواكب
 في الحر والبرد مقدار مخصوص فلو قدرنا حصول زيادة على ذلك المقدار
 او نقص فيه لم يتولد معدن ولا نبات ولا حيوان فخصص هذه المقادير
 هو الذي اعطى كل شيء خلقه وانت احد افراد الحيوان المخلوق بهذه
 الطريقة فانت عبد مفلطح لا تملك لنفسك نفعا ولا ضراً . ولا تنكر انك
 خلقت من نطفة وهذه النطفة ان كانت جسماً متشابهة الاجزاء لم يكن المقتضى
 لتولد البدن منها هو الطبيعة الحاصلة في جوهر النطفة ودم الطمث لان
 تأثير الطبيعة بالذات والايجاب لا بالتدبير والاختيار . والقوة الطبيعية اذا
 عملت في مادة متشابهة الاجزاء وجب ان يكون فعلها هو الكرة فلو كان
 المقتضى لتولد الحيوان من النطفة هو الطبيعة لوجب ان يكون شكلها

الكرة والحاصل خلافه فالفاعل غير الطبيعة وهو الله تعالى . وان كانت النطفة جسماً مركباً من اجزاء مختلفة في الطبيعة والماهية يجب ان يكون تولد البدن منها بفاعل مختار لان النطفة سريعة الاستمالة فالاجزاء الموجودة فيها لا تحفظ الوضع والنسبة فالجزء الذي هو مادة الدماغ لا يمتنع حصوله في اسفل البدن كما لا يمتنع حصول الجزء الذي هو مادة القلب في الرأس فيلزم ان يكون ترتيب الاعضاء على هذا الشكل المعين امراً دائماً او اكثرثياً والحاصل خلافه فالفاعل غير الطبيعة ومع ذلك فان النطفة لو كانت مركبة من اجزاء مختلفة الطبائع فان تحليل تركيبها ينتهي الى اجزاء كل واحد منها في نفسه جزء بسيط فلو كان المدبر لها قوة طبيعية لكان شكل كل جزء منها هو الكرة فيكون الحيوان كرات مضموم بعضها الى بعض وعلى فرض ثبوت ذلك فكل كرة محتاجة الى مخصص يخصصها بقدرها وحيزها وثبت ان الطبيعة لا تقدر على التخصيص والتميين فالمخصص لا بد ان يكون مختاراً وهو الله تعالى لان الطبائع ولا تأثير الكواكب والافلاك واذا امتنع ذلك على الطبائع والكواكب مع مشاهدة تأثيرها في الاشياء فلا ن يمتنع بالنسبة اليك من باب أولى فالذي اعطى كل شيء خلقه وهداه لما خلق لاجله هو الله تعالى الفاعل المختار : وايضاً فانك جسم وكل جسم متصف بالتركيب والقوة والهداية وليس هذا الاتصاف واجباً فانا نشاهد الاجسام منفكة عن تراكيبها بعد الموت وهذا دليل على انه جائز والجائز لا بد له من مرجع وال ترجيح يستدعي قدرة عليه وعلماً بما فيه من المصالح والمفاسد وهذان مستحيلان على الانسان لانه لا يقدر على شيء من

تغيير جسمه بعد تركيبه فعبزه عن انشائه من باب اولى وكما استحال ذلك على الانسان يستحيل ان يكون المرجح جسمًا له مؤثرية لان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص بعضها بالمؤثرية يكون جائزًا فيفتقر الى سبب آخر والدور والتسلسل محالان فلا بد من انتهاء سلسلة الاحتياج الى موجود مؤثر ليس بجسم ولا جسماني . وتأثيره لا يكون بالذات لان الموجب لا يميز مثلاً عن مثل والاجسام مع كونها متساوية في الجسمية فقد اختص بعضها بصورة الفلكية والبعض بالعنصرية والبعض بالنباتية والبعض بالحيوانية فاختلفا ثبت ان المؤثر فاعل بالاختيار مدبر قادر على كل مقدور عالم بكل معلوم يستند العالم بأسره الى خلقه وتدبيره وذلك هو الله تعالى — ثم اراد ان يتم سيدنا موسى برهانه على مخالفة الاله للعالم وخلق كل شيء فخشى فرعون من ظهور حجته وقوة برهانه الذين يصرفان قومه عن عبادته واتباعه الى الايمان بالله تعالى واتباع رسوله فاعترض الكلام بالسؤال عن القصص والحكايات وقال . فما بال القرون الأولى . اي ما حالها وكيف كانت فلم ياتت سيدنا موسى الى مغالطته حتى لا ينقطع طريق الاستدلال على الصانع الحكيم جل شأنه وقال له . علمها عند ربي في كتاب . اي ان احوالها ثابتة في علم الله تعالى ثبوت النقش في الكتاب . لا يضل ربي . اي لا يجهل شيئاً من الاشياء بل هو عالم بكل المعلومات ولا ينسى شيئاً مما علمه فان علمه ابدى لا يتغير ثم كر على الاستدلال بالاثار على المؤثر لزيادة تعجيز فرعون وافحامه وتكذيبه في دعواه بين قومه فقال . الذي جعل لكم الارض مهدياً وسلك لكم فيها سبلاً وانزل من السماء ماء . وفرعون يعلم انه عاجز عن هذا كله وهذا الذي اذله

وحجيره حتى استشار قومه فادرهم الوهن والخور العقليان وقالوا له . اتذر
 موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك . اي اتركه يتماذى في
 دعواه التي اخذت بالالباب وقد عظمت شيعته وثقوت عصيته بحيث
 يمكنهم ان يشعروا عليك ويفسدوا دينك وملكك ويتركك موسى ولا ضمام
 التي نصبتها لتقرب الناس اليك فلا تجد من يعبدك فقال لهم ان موسى لا يمكنه
 ان يخرج من اسرنا واستعبادنا هو وقومه الا بعصية يتحرك بها ويعتمد
 عليها وانا سنقتل ابناءهم ونستعبي نساءهم . فانا ان فعلنا ذلك منعنا
 العصية من النمو وكلما مات رجل منهم لا يقوم غيره مقامه لاستئصالنا
 الأبناء وبهذا تنقطع عصيتهم شيئاً فشيئاً . وإنا فوقهم قهرون . الآن
 فهم في قبضتنا وتحت تصرفنا فنضيق عليهم في كل شيء . قبل ان يخرجوا
 علينا . فلما سمع بنو اسرائيل ذلك هالم الامر وكدرهم فقال لهم سيدنا
 موسى . استمعوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده
 والعاقبة للمتقين . امرهم بامرين وبشرهم ببشارتين في عبارة واحدة فالامر ان
 في قوله استمعوا بالله واصبروا . والبشارتان في قوله ان الارض لله يورثها
 من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ومراده ان فرعون عبد ضعيف
 لا يملك لنفسه نفعا ولا خرا فضلاً عن غيره فاستمعوا بالله عليه ومن
 استعان بالله هان عليه وقع البلاء لرضاء بالقضاء والقدر واصبروا على هذا
 الوعيد والتهديد حتى يمكثنا الله من الخروج من ذل العبودية فعاقبة
 المصبر محمودة ثم اعلما ان الارض لله الذي خلقها وخلق من عليها لا
 لفرعون . واذا كانت لله فهو يورثها من يشاء من عباده اطاعهم سيدنا

موسى في ميراث الارض للقوى عزائمهم وتجتمع كلمتهم فن الانسان المستعبد
 الدليل اذا قيل له ان فعلت كذا نجوت خاطر بنفسه في فعل ذلك
 الشيء فما بالك اذا قيل له انك ستبث ملك مستعبدك لا شك انه
 يستسهل كل صعب من الوسائل حتى يصل الى هذا المقصود العالي .
 والعجب ان بني اسرائيل عندما سمعوا ذلك من سيدنا موسى قالوا .
 اوذينا من قبل ان تاتينا ومن بعدما جئتنا . فلان المنجمين عندما اخبروا
 فرعون ان مولودا من بني اسرائيل يقتله ويتهي ملكه على يديه اخذ
 يقتل ابناؤنا مدة ثم تحقق ان هذا المولود هو انت وقد جئته الآن تدعوه
 لعبادة الله تعالى وقومه حذروه منا وخافوا ان يفسد عليهم دينهم فاغروه
 بنا وها انت تسمع وعيمده . بذبح ابنائنا فقال سيدنا موسى . عسى ربكم
 ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض . فاطمأنت قلوبهم وسكنت حركة
 خواطرهم وايد الله تعالى نبيه موسى بالآيات فتوالت على فرعون وقومه
 ونصر الله رسوله نصرا مبينا ومع ذلك يقول فرعون وقومه . مهما تاتنا
 به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بومنين . وذلك لعزة الملك وحب
 الاستبداد فان النفس ميالة لما يرفعها على الغير وان كان باطلا في
 الواقع ولا تحب ما ينزل بها من اوج الرفعة ولو كان حقا في نفس الامر
 الا من رحم ربك وقليل ما هم . ومع ما صار اليه فرعون من الغيظ والميل
 الى الظلم والعدوان لم يرجع سيدنا موسى عن دعوته الى الله تعالى لانه
 مامور بذلك فجاءه وقال له . يا فرعون اني رسول رب العالمين حقيق على ان لا
 اقول على الله الا الحق . ناداه بلقبه تحقيرا له واستخفافا به لظهوره عليه في وقائه معه

فلما رأى فرعون قوة جاش سيدنا موسى وعدم رجوعه عن دعوته ورأى ان تهديده ووعيده لم يؤثر فيه شيئاً وان قومه تعلقوا به واجتمعوا عليه حتى صار له عصبية اسرائيلية عظيمة يمكنه ان يقاوم بها عصبية المصرية التفت الى قومه وقال : « يا ايها الملاة ما علمت لكم من إله غيري » . وليس في عبارة الرجل ما يدل على انه يدعي خلق السموات والارض فانه لم يقل ليس هناك إله غيري وانما قال ما علمت اي لا ارى من يستحق منكم الطاعة والانقياد اليه غيري . وتقدم له انه قال فمن ربكما يا موسى فهو يعلم ان هناك رباً غيره وانه عبد ولكنه يحتال على الاغرار بدعوي باطلة حرصاً على ملكه وتأبيداً لدعوته التي ادعاها قبل ظهور سيدنا موسى فقد كان عصره مع قومه كعصر الحشونة والجهالة وعصر سيدنا موسى معه عصر التنوير والارشاد وهذا الذي دعا فرعون للاحتيال على قومه بقضية اخرى نهكية اذ قال : « فاوقد لي يا هامان على الطين فاجعل لي صرحاً لعلني اطلع الى إله موسى » . وهو يعلم ان الانسان لو وقف على اعلى جبل ونظر الى السماء لكان كمنظره لها وهو في اخفض بقعة من الارض فلو بنى له ارفع بناء ما رأى شيئاً غير ما يراه وهو في فراشه وانما ساق هذه العبارة تهكماً فان سيدنا موسى لم يقل ان إلهي في السماء حتى يكون قول فرعون حقيقة وانما قال له رب السموات على ان قوله لعلني اطلع يفيد انه لم يكن قاطعاً بان إله موسى في السماء فقد استفهم منه عن ماهيته فاقام له الدليل على وجوده بآثاره ولم يذكر له عن حقيقته شيئاً حتى يتوهم انه في السماء

غ

من عبارتك يفهم ان هامن ما بنى الصرح مع ان بعض المؤلفين
منكم يقول ان هامن جمع من البنائين خمسين الفا ومن الفعلة ما لا
يحصون وطبخ الآجر والجص وصنع السامير وقطع الاخشاب وبنى بناء ضخماً
لم يبنه احد من العالمين ويجعله في اعلى ما يكون من الارتفاع ثم جاء فرعون
فارتقى فوقه ورعى السماء بنشابة فعادت ملطخة بالدم فقال قتلت إله موسى
وان ذلك كان ابتلاء من الله تعالى لفرعون وقومه فجاء جبريل وضرب
هذا البناء فقطعه ثلاث قطع وقعت على عسكر فرعون فقتلت
منهم الف الف وقطعة وقعت في المغرب وقطعة وقعت في البحر وقد
تناقل مؤلفوكم هذه العبارة ودونوها حتى في بعض كتب التفسير وانت تشير
لعدم وقوعها فما هي الحقيقة التي يعول عليها علماءكم في هذه القصة

ش

يا خواجه انك لست من الطائرين الخول كتب القصص
ولا من المتهاوتين على كتب الحكايات وقد درست كتبنا وعرفت طريقتنا
التي نأخذ بها في مثل هذه الحكاية فاننا لا نأخذ بنجر من الاخبار الا اذا
استند لاحد الاصلين العظيمين الكتاب والسنة او لاحدهما . اما الكتاب
فانه لم ينص على انه بنى او فعل شيئاً من ذلك وانما حكى عبارة فرعون
التهكمية الازيهامية . والسنة ليس فيها شيء من هذه القصة التي ذكرتها فلم
ينق الا انها حكائية قصاص او خبر مؤرخ وكل منها غير معول عليه عندنا
في مثل هذا الموضوع وكونها في كتبنا لا يفيد صحتها فان المؤلف قد ينقل

الشيء بطريق السماع من القصاص أو اعتماداً على نقل غيره ولم يخرج في الطريقين عن حد الحكاية إذ لا يمكنه القطع بشيء لم ينص عليه كتابه ولا أخبر عنه نبيه ولا أجمع عليه أهل ملته . والإنسان ببديهة العقل يحكم بعدم صحة هذه القصة فإن البنائين الذين بنوا الصرح وقفوا في الموقف الذي ارتقى إليه فرعون ولم يروا أن الأبعاد التي كانت بينهم وبين السماء وهم تحت البناء قد انتهت وانقطعت ولا راوا جرم السماء معسوساً لهم حتى يلزم اعتقادهم وصول فرعون إلى إله موسى أو إلى رؤيته . وفرعون لم يكن من المجانين حتى يعتقد وصوله السماء بمثل هذا البناء . والما صبح إرسال سيدنا موسى إليه فهو عاقل يعلم من بعد السماء وعدم الوصول إليها ما يعلمه كل عاقل ودعوى رمي النشابة وعودتها ملطخة بالدم غير مسلّمة عقلاً فإنه لو حصل ذلك لأخبر القرآن عنه لكونه أهم ما في القصة ولرجع كثير من بني إسرائيل عن متابعة سيدنا موسى ولقويت حجة فرعون ودعواه ولبكت سيدنا موسى بقتله إلهه ولكان لذلك اثرماً في القصة ومع تعرض القرآن لها في كثير من السور لم نر في سورة منها ما يشير لذلك فلذا رددنا كل هذه المفتريات وقلنا إن فرعون كان دهر ياً فقال ما علمت لكم من إله غيري يدرك بالحس فإن حركات الأفلاك والكواكب وتأثيرها كافٍ في تغيير العوالم وإظهار الحوادث . والإله الذي لا يحس لا يدل عليه دليل والحس للإله العلوي لا يكون إلا بصعود السماء وإن كان هذا ممكناً فاجعل لي يا هامان صرحاً . وايضاً إن بناء كهذا الذي يذكرونه وبالعون فيه لا يتم إلا في سنين طويلة ولا يعقل أن سيدنا موسى ترك الدعوة انتظاراً الفراغهم من البناء أو أن فرعون سكّت عن

سيدنا موسى مع تظاهره بتكذيبه ودعوة الناس الى متابعتة ولو حصل شيء من هذا لذكر وعلم على ان المدة التي بين حضور سيدنا موسى من ارض سيناء وبين خروجه ببني اسرائيل من مصر لا تسع بناء هذا المصرح فيها وبالجملة فان جلاله القرآن وعزة الدين لا يقبلان هذه المفتريات ولعلها من وضع غير المسلمين وسرت اليهم بالدمس او بالمخالطة الا ترى قول فرعون بعد ذلك لقومه : « ذروني اقتل موسى وليدع ربه اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض الفساد » . او هم قومه انه قادر على قتل موسى ولكن هناك من يمنعهم فقال ذروني اي دعوني وخلوا بيني وبينه مع انه توعد به بقتل ابناه بني اسرائيل ولم يفعل وتهده بالسجن ولم يفعل وما ذلك الا بصرف الله له عن رسوله . وقوله وليدع ربه تهكم آخراي انا اقتله ودعوه يدعو ربه ليخلصه مني وهذا ايضا من تلاعبه بافكار قومه فانه لو كان قادرا ما استهاج قومه على سيدنا موسى بقوله اني اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر في الارض اي ارض مصر الفساد فرجل يخاف من رجل وهو تحت قهره وسلطته وقومه في استعباده رجل ضعيف عالم بما هو عليه من ادعاء ما ليس له باهل فلو كان بني المصرح ورمى النشابة ولطخت بالدم ما اقر بالخوف وطلب تمكثه من قتل موسى لئلا يفسد على قومه دينهم ودنياهم . وقد سرت دعوة سيدنا موسى فعمت بني اسرائيل قاطبة واخذ بها بعض من قوم فرعون بل من اقاربه وآله فقام رجل منهم وقال : « انقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم » . وهذا الذي اذهل فرعون واخفاه حيث يسمع اقرار آله بحقيقة ما جاء به خصمه في جموع قومه وانكار إلهيته

بالمرّة والاعتراف بوجود إله آخر . ولما رأى هذا المؤمن ان ذلك ربما
 اغرى فرعون به اخذ يواربهم في الكلام فقال . « فان يك كاذباً فعليه
 كذبه وان يكن صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم » . اي يكفيكم ان
 تعرضوا عنه او تردوه عن دعوته وتكفوا الناس عنه وهناك ان يك كاذباً
 فيكون كذبه عليه لا يضر احداً بعد صرف الناس عنه وان يك صادقاً
 في دعوته واخباره بان إله يهلك من خالفه ويعذب من كفر به يصبكم
 بعض هذا الوعيد ومراده الكل ولكنه تلطف في العبارة لصرف شرهم
 عنه ثم قال « ان الله لا يهدي من هم مسرف كذاب » . اوهم انه يدعو
 على سيدنا موسى وهو في الحقيقة يدعو على فرعون وقومه فان من تأمل
 قوله يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم يتحقق انه كفر بفرعون
 وآمن بالله موسى واخبر قومه بان لهم رباً غير الذي يزعمون انه ربهم وهو
 لا يستحي من قوله انا ربكم الأعلى ومن كانت هذه صفته فهو المسرف
 على نفسه باتباع الباطل بعد وضوح برهان الحق الكاذب فيما يدعيه من
 دعوى الالهية او بطلان دعوة موسى بعد ان جاء بالبينات واظهر الله
 تعالى على يديه المعجزات الباهرة التي نطق بها القرآن والتوراة مفصلة
 آية آية . ثم لشدة تمكن الايمان من هذا الرجل حذرهم من بطش الله
 تعالى فقال . « يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا
 من بأس الله ان جاءنا » . اي انتم اليوم ملوك مصر وهذا الرجل وقومه
 في قبضتكم وتحت تصرفكم فان اراد الله تعالى عكس القضية وجعلهم ملوكاً
 وجعلنا عبيداً فمن ينصرنا من بأس الله ان اراد هلاكنا او اذلنا لهؤلاء

ويظهر أن هذا المؤمن كان من أوجه آل فرعون فإنه بعد تظاهرة بهذا الكلام ودعوته الناس لا اتباع موسى في حضرة فرعون لم يستطع فرعون رده ولا بالكلام ولا عارضه بحجة يبطل بها اعتقاده بل نزل إلى درجة احقر الناس المتفاوضين في أمر فقال : « ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد » . أي ما أشير عليكم برأي احسن من قتل موسى سدا للباب الفتنة وحفظاً للملك من الضياع وما أريد بذلك إلا هدايتكم إلى سبيل الرشاد في العمل وهذه عبارة رجل مغلوب لا سلطان قاهر . وعند ما قتل ذلك خاف المؤمن من آله أن يستحسن الناس قتل موسى فأخذ يدفعهم عن هذا الرأي بقوله . « يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الأحزاب » . أي انكم تقرؤون في كتبكم اخبار قوم نوح وعاد وهود وما حل بهم عند تكذيبهم رسلهم وهذا رسول مثل رسلهم فاخاف انكم ان اصررتم على تكذيبه او صمتم على قتله ان يستأصلكم الله تعالى كما فعل بأولئك الهالكين . ثم جاءهم من طريق آخر فقال . « يا قوم اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما نلكم من الله من عاصم » . أي ان الذي جاء به موسى هو الحق وقد اخبرنا ان هؤلاء الهاء فاءلاً مختاراً يثيب الطائع ويعذب العاصي يوم ينذ الناس فراراً من بعضهم وينادي الظالم بالويل والثبور وهو يوم القيامة وقد صدق موسى في خبره فاختشى عابكم من هول هذا اليوم يوم تولون مدبرين تظنون الفرار من الله وانتم انما تقرون من نعمته إلى عذابه حيث لا عاصم لكم في ذلك اليوم من امر الله ومن لم يعتبر بذلك فهو في حيرة الضلال . « ومن يضلل الله فما له من هاد » . وهذا اجلي مقام في التظاهر

بالحق فإنه صار الخصم الألد لقوة إيمانه وقد سرت إليه حمية سيدنا موسى
 فاخذ يرد على قومه ويسفه عقولهم ويصرّح بضلالهم ويشتمهم غير مبال بجموعهم
 وقوة سلطانهم . ثم لما رأهم مصرّين على تكذيب سيدنا موسى جاءهم من
 طريق آخر بيكّتهم به . ويخبرهم ان طريقه هو طريق الانبياء قبله فقال
 اتكروا عليه . « واتد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما
 جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا » . اي انكم
 تعلمون وجود إله حق خالق لهذه الكائنات وقد اخبركم عنه يوسف الصديق
 قبل ذلك ودعاكم لعبادته واطهر لكم من الآيات الدالة على صدقه ما لا تنكرونه
 ومع ذلك كنتم في شك مما جاءكم به وبقينتم على نفاقكم معه مدة حياته حتى
 اذا انقضى دوره ومات قلتم ما بقي رسول يبعثه الله بعد ذلك وان يبعث
 احدا تهكمّا منكم بمقام الرسالة وهذا الذي دعاكم لتكذيب موسى ايضا وهذا
 هو ضلال المسرف المرتاب الذي اخذته الحيرة فلم يدري الطريقين يسلك
 طريق ما هو عليه وقد ظهر بطلانه ام طريق الهدى وهو قاض بالانقياد الى
 الداعي الذي يراه دونه . وكأنه كان طريقاً مسلوكة لقدماء المصريين من جاءهم
 بالحق كذبوه فان قهرهم نفاقهم ومن جاءهم بالباطل صدقوه واتبعوه
 بدليل قول هذا الموء من ولا شيء ادل على ان صاحب الحق يرى في
 نفسه من القوة والشجاعة ما يتصور به قدرته على رد الامم العظيمة
 من وقوف هذا الموء من امام ملكه المتعظم على ربه كبراً وامام عظماء
 ممالكه وهو يعلم قوتهم وسطوتهم وغلظتهم التي الجاءتهم اللهم بقتل رسول
 عظيم يكذبهم ويردهم عن بهتانهم وضلالهم ويكّتهم بسابق قبائحهم وسي

اعمالهم وينادي عليهم بالتوكل والثبور وما ينطق واحد منهم بكلمة يدفع
 بها هذا الذي وقف موقف الرسول يأمرهم وينهاهم . وفي تذكيرهم بشأنهم
 مع سيدنا يوسف تعريض بان الامر سيصير الى موسى وقومه كما صار الى
 يوسف بعد ان جاء في صورة عبد ضعيف ونبي بين ايديهم وانتهى
 امره بان صار حاكمهم الاكبر ومدبرهم الاعظم فهو يقول ارجعوا عما انتم فيه وادخلوا
 في دعوة موسى وابقوا في ملككم وسلطانكم فانه ليس مقصودا له قبل ان
 يجعل بكم غضب ربكم فيسلبكم الملك ويجعله في بني اسرائيل وفي هذا من
 المبالغة في النصيحة ما لا يخفى . والعجب من فرعون كيف تناهى في الدعوة
 الباطلة ورفع انفه على كل مصري واسرائيلي واخذ يهدد سيدنا موسى بما
 هو من لوازم الملك وعزة السلطان ثم انحط الى اقل الدرجات وصار بحيث
 يبكته من هو من قومه وينبئه على خطائه ويخوفه من سوء عاقبة نهته
 وافترائه وهو لا يحرك شفته بكلمة يرد بها على هذا المؤمن او يدفع بها حجه
 وهذه عاقبة البغي ونتيجة الدعاوى الباطلة حيث يرجع صاحبها الى الذلة
 والحيرة لضعف برهانه . والله هذا المؤمن فقد علم الناس طريق التكلم بالحق بين
 يدي الملوك في قالب المواربة والشفقة على الملك والا شفاق عليه من تعاضم
 قوة خصمه وتقويته على نزع الملك منه وهو طريق كله ادب وحكمة فلو
 تهور في حضرة الملك وواجهه بتسفيه رأيه او تكذيبه في دعواه لفتك به
 وعاقبه العقاب الشديد ولكنه تلطف واخذ يخاطب القوم الذين منهم الملك
 ويحذرهم ضياع ملكهم الذي هو سلطان الملك وعرش عزه وسطوته فلو تمعنا
 هذه العبارة وما تحتها من اساليب السياسة وفنون الآداب العالية لرأينا هذا

المؤمن كالواضع لقانون اداري او وزاري، يترشح به ارباب المناصب العالية الى التلطف في مخاطبة الملوك والتحايل على إقامة حجة الحق باحسن صورة . وقد زادت قوة سيدنا موسى بتعضيد هذا المؤمن الذي هو من وجهاء آل فرعون فاشتد تعلق بني اسرائيل به واتسعت آمالهم في نجاح سيدنا موسى وفوزه بتخلصهم من أسر فرعون وجنوده وتجمعوا حوله بعد ان كانوا يفرون منه خوفاً من اعوان فرعون كما قال تعالى «فيا آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم» ان يصرفهم عن دينهم بالتعذيب والتنكيل . ثم انه لما اشتدت عصبية سيدنا موسى امره الله تعالى بالتظاهر الادبي اظهار الدينه وعملاً بشعائره فاوحى اليه واخيه «ان تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتركم قبلة واقيموا الصلوة وبشر المؤمنين» والمراد بالبيوت المساجد او المساكن وجعلها متقابلة لتكون العصبية مجموعة في مكان واحد يدفع بعضهم عن بعض ويسمعون ما تدعو اليه وهم حولك كاهل بيت فاشتد غيظ فرعون من هذا التظاهر والنداء بالالهية لغيره او لغير ما يعبد من الاوثان وعزم على استئصال بني اسرائيل دفعاً لشركهم الذي يذهب بملكه فاوحى الله الى موسى «ان اسر بعبادي انكم متبعون» فجمع سيدنا موسى من آمن به وامرهم باخذ اهبه الارتحال عن مصر فتجهز القوم وخرج بهم ليلاً وهم جموع كثيرة فلما احس بهم قوم فرعون واخبروه امتلاً غيظاً وارسل رسله في المدائن يجمعون له جنداً يقاتل به بني اسرائيل ويردهم الى مصر او يستأصلهم قتلاً وقال لقومه «ان هؤلاء شرمة قليلون» اي طائفة قليلة ونحن امة عظيمة وقد كانوا عبيداً لنا فخرجوا عن طاعتنا ونادوا بغير ديننا وهم

الآن خارجون من بلادنا « وانهم لنا لغائظون » بهذه الاعمال التي تكسبهم العزة وتوقعنا في الذلة وكيف يفعلون ذلك برأى منا « وانا لجميعاً حاذرون » ما كان عهدنا ان نخذر من شيء الا في هذا العصر الذي ظهر فيه موسى وصبرنا نخذره ونخذر غيره اوانا حذرون شأننا الحذر والتيقظ للامور والاخذ بالحزم في كل شيء فكيف يفوتنا موسى وقومه ويتخلصون منا ومراده ان يبعث الحمية في قومه بهذه المحركات فقد سهل عليهم الامر بقوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون اي لا تخافوا منهم او كيف لتأخرون عن قتالهم وردهم عما هم فيه وهم فئة قليلة بالنسبة اليكم ولا ينبغي ان تبعبنوا الى حدان يخرج عبيدكم او مستعبدوكم من بلادكم وانتم تنظرون ثم زادهم زجراً وحشاً على تتبعهم بقوله وانهم لنا لغائظون بهذا الخروج الذي جمعوا فيه ابناؤهم وبناتهم ونساءهم واوانيتهم وماشيتهم ومشوا بهذا كله كأنهم كانوا في ساحة لا ساكن فيها او في امة لا راعي لها ومن يرضي بهذه الالهانة الكبرى . وبهذه العبارات انبعثت روح الحمية في قومه فتجمعوا ألوفاً وحملوا السلاح واستعدوا للقتال ورتبوا انفسهم جيوشاً وفصائل وسرايا وخرجوا متأثري بني اسرائيل وقد تركوا بيوتهم وزروعهم كما قال تعالى « فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم » اي اخرجهم الله تعالى من بساينهم الجميلة وعيون مياههم التي بها قوام زروعهم من سواقي وآبار تستعمل ايام انخفاض النيل او هي نفس النيل باعتبار منابعه الاصلية وكنوز اي اموال مجموعة عندهم مكنوزة في بيوتهم او اراضيهم التي هي كنوز الاموال بخصبها وحسن تربتها وفيضان نيلها وهو وصف بديع لارض مصر التي ترحل اليها الناس من جميع الاجناس وتجارى

عليها الملوك قديماً وحديثاً طمعه في هذه الكنوز الدائمة التي لا تفنى مادامت يد الفلاح
تعمل فيها ومقام كريم وهو وصف لمصر وليوتهم فيها وقد كانت على احسن ما
تدعو اليه المدنية اذ ذاك فقد كانت مصر في اعلى طبقات العمران وصنائعها
في تقدم لا يجاريها فيه غيرها وكانت مرجعاً للراجلين في طلب الصناعة
والتجارة . وهذه الجنود التي سار بها فرعون جمعت صناديد قومها واشراف
البلاد ووجهاءها اذ من المعلوم انه لا يتخلف عظيم في البلاد بعد ركوب
الملك بنفسه وما اخرجهم الله تعالى بهذه الصورة الا ليشتا صلهم ويجعل
مصر غنيمة لبني اسرائيل بدليل قوله «واورثناها بني اسرائيل» وهو تدير الهي
وصنع حكيم لا تشوش عليه المطالب ولا يعجزه شيء في الارض ولا في السماء .
فلما تلاحقوا ببني اسرائيل وتراى الجمعان بحيث صار ينظر بعضهم بعضاً
على بعد مد البصر « قال اصحاب موسى انا لمدركون » اي ان فرعون
لمدركننا بمنوده ولئن ادركنا يستاصلنا لكثرة جنوده وقتلنا فضلاً عما معنا
من النساء والاولاد والماشية التي تدعو بعضنا للمحافظة عليها والدفاع
عنها فيكون العدد المقاتل في وجه العدو قليلاً فيحصل الخذلان ونقع في
اسوء مما كنا فيه من الاستعباد والاهانة فلما سمع سيدنا موسى عبارتهم
« قال كلاً » اي انهم لا يدركوننا ولا يتمكنون منا « ان معي ربي »
بعلمه وقدرته فهو يدفعهم عنا ويهدينا الطريق الموصل للنجاة فانه هو الذي
امرني ان اسرى بكم ووعدني النصر على اعدائنا ووعدده حق لا يتخلف
فلا تخافوا ولا تهربوا فاطمأنت قلوبهم وجدوا في السير حتى وصلوا البحر
الاحمر فكان كما قال الله تعالى « وجاوزنا بني اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون

وجنوده بغياً وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذي
آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين « فدلّت هذه الآية على ان الله
تعالى جعل لبني اسرائيل طريقاً في البحر يبساً حتى جاوزوه ثم جاء فرعون
وقومه فطمى عليهم الماء فاغرقهم وقد تكلم في هذه المعجزة الكبرى اناس من
الطبيعيين وغيرهم ممن لا يؤمنون بالكتب السماوية وانكروا فلق البحر بقدره
الله تعالى وجعلوه من باب المد والجزر الطبيعي المعناد وهو لا يؤخذ
بقولهم فيما يختص بالآيات الدينية والمعجزات النبوية فقد بنوا كل اصولهم
على المشاهدات الكونية وعللوها بعلم واسباب محسوسة وانكروا ما وراء
الحس . والمؤمنون الآخذون بكتب الأنبياء يعتقدون ان الله تعالى فاعل
مختار وانه انشأ هذه الاكوان بقدرته وابرزها على هذه الصور والاجناس
والاشكال البديعة على ما علمه واراده واذا كان قادراً على احداث وابداع
هذا الصنع الغريب فهو قادر على فلق البحر وانجاء قوم واغراق آخرين . على
انه حيث انتهت نسبة خلق السماوات والأرض اليه فالمد والجزر من خلقه وابداعه
وتأثير بعض الحوادث فيه خلق له ايضاً فكل ما في الاكوان العلوية والسفلية
صنعه المنفعل بفعله ولا غرابة في احداث الله تعالى هذه الآية العظمى
عند ضرب سيدنا موسى البحر بعصاه التي لا تؤثر شيئاً في البحر ليظهر الله
تعالى لبني اسرائيل كمال قدرته وصدق رسوله فيزداد ايمانهم قوة ويعظم
يقينهم بنجاتهم على يد هذا الداعي الى الله تعالى فالخلق حاصل بضرب العصا
في رأى العين وهو حاصل بفعل الله تعالى في الحقيقة

١٥ غ

هذه الآية تدل على ان فرعون مات مؤمناً فانه قال آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين افتقولون بذلك وان منعتم فما تقولون فيها وقد آمن الرجل ثلاث مرات الاولى قوله آمنت والثانية قوله لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل والثالثة قوله وانا من المسلمين وكل واحدة منها كافية في القول بايمانه

ش

العلماء متفقون على عدم ايمانه وهو انما قال ما قال عند ما ادركه الفرق فهو في وقت العذاب وعند نزول العذاب يصير الحال وقت الاجاء فلا يكون الايمان مقبولاً في هذه الحالة لانه جعله وسيلة لدفع البلية عنه . والايمان اذا لم يكن مقترناً بشهادة ان لا اله الا الله وان النبي الداعي رسول الله لا يكون مقبولاً لان الايمان بالله مع عدم الاقرار بصحة رسوله تكذيب للرسول في دعواه وتكذيب الرسول كفر فهو على كفره لانه ما شهد ان موسى رسول صادق ولا آمن برسالته . ثم انه قال لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وهو دليل على انه لا يعرف الله تعالى وانما سمع من بني اسرائيل ان لهذه الكائنات الهاً خالقاً لها مستحقاً للعبادة فآمن به على جهل وعدم اعتقاد جازم فهو تقليد لا حجة فيه على صحة ايمانه . وقد كان بنو اسرائيل قبل مجيء سيدنا موسى يعتقدون ان الله تعالى جسم او يحل في جسم فآمن بوجود اله مجسم او يحل وينزل في بعض الاجسام وهذا صريح الكفر لا الايمان . ولا ينفعه قوله وانا من المسلمين فانه ما قالها الا في هذه الحالة والله تعالى يقول « وليست

التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت
الآن ولا الذين يموتون وهم كفار » فاتفق جمهور العلماء السابقين واللاحقين
على انه مات على كفره وان ايمانه بالاله المجهول عنده او بالالهاء او مع عدم
تصديق الرسول او اضع اعتقاد جسمية الله تعالى او حلوله لا ينفعه ولا يحكم
بصحته وان وجد لبعض الناس قول بصحة ايمانه فانه غير معول عليه عند
الجمهور وربما كان مدسوساً . وصريح اعتقادنا معاصر المسلمين في قصة
سيدنا موسى انها على ما اخبرنا بها القرآن العزيز فلا نقبل خبر غيره ان خالفه
في شيء مما نص عليه فيها وهو عندنا تنزيل من حكيم حميد لا يقبل التغيير
ولا التبديل ولا المعارضة بالشبه والوضعيات الانسانية ولهذا سقت لك ملخص
هذه القصة على ما جاء في اصدق كتاب اخباراً من العالم بمحقق الاشياء على
ما هي عليه وهو الله تعالى . واذا طبقت ما في القرآن من هذه القصة على ما
في التوراة وجدته واحداً الا في بعض الفاظ نطقت بها التوراة هي من معتقد
بني اسرائيل خاصة وها هو نص الاصحاحين الرابع عشر والخامس عشر من
سفر الخروج من التوراة المتداولة الآن موجود في مذكرتي فاسمعه بحروفه قال
في الاصحاح الرابع عشر

وكلم الرب لموسى قائلاً كلم بني اسرائيل ان يرجعوا وينزلوا امام فم
الخيروت بين مجدل والبحر امام بعل صفون . مقابله تنزلون عند البحر . فيقول
فرعون عن بني اسرائيل هم يهركبون في الارض قد استغلق عليهم القفر .
واشدّد قلب فرعون حتى يسعى وراءهم فاتمجد بفرعون وجميع جيشه ويعرف
المصريون اني انا الرب ففعلوا هكذا . فلما أخبر ملك مصر ان الشعب قد

هرب تغير قلب فرعون وعبيده على الشعب فقالوا ماذا فعلنا حتى اطلقنا
 اسرائيل من خدمتنا فشد مركبته واخذ قومه معه واخذ ستمائة مركبة متخبة
 وسائر مركبات مصر وجنود مركبية على جميعها . وشد الرب قلب فرعون ملك
 مصر حتى سعى وراء بني اسرائيل وبنو اسرائيل خارجون بيد رفيعة فسعى
 المصريون وراءهم وادركوهم . جميع خيل مركبات فرعون وفرسانه وجيشه
 وهم نازلون عند البحر عند فم الحيروث امام بعل صفون . فلما قرب فرعون رفع
 بنو اسرائيل عيونهم واذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً وصرخ بنو
 اسرائيل الى الرب وقالوا لموسى لانه ليست قبور في مصر اخذتنا لنموت
 في البرية ماذا صنعت بنا حتى اخرجتنا من مصر اليس هذا هو الكلام
 الذي كلمناك به في مصر قائلين كف عنا فنخدم المصريين لانه خير لنا ان
 نخدم المصريين من ان نموت في البرية . فقال موسى للشعب لا تخافوا
 وقفوا وانظروا خلاص الرب الذي يصنعه لكم اليوم فانه كما رايتم المصريين
 اليوم لا تعودون ترونها ايضا الى الابد . الرب يقاتل عنكم وانتم تصممون - فقال
 الرب لموسى مالك تصرخ الي . قل لبني اسرائيل ان يرحلوا وارفع انت
 عصاك ومد يدك على البحر وشقه فيدخل بنو اسرائيل في وسط البحر
 على اليابسة وها انا اشد قلوب المصريين حتى يدخلوا وراءهم فاتمجد بفرعون
 وكل جيشه بمركباته وفرسانه فيغرق المصريون اني انا الرب حين اتمجد
 بفرعون ومركباته وفرسانه : فانتقل ملاك الله السائر امام عسكر اسرائيل
 وسار وراءهم وانتقل عمود السحاب من امامهم ووقف وراءهم فدخل بين
 عسكر المصريين وعسكر اسرائيل وضار السحاب والظلام واضاء الليل فلم

يقترب هذا الى ذاك كل الليل - ومدّ موسى يده على البحر فاجرّس
 الرب البحر بريح شرقية كل الليل وجعل البحر يابسة وانشقّ الماء فدخل
 بنو اسرائيل في وسط البحر على اليابسة والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم
 وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم جميع خيل فرعون ومركباته وفرسانه الى
 وسط البحر . وكان في هزيع الصبح ان الرب اشرف على عسكر المصريين
 في عمود النار والسحاب وازعج عسكر المصريين وخلع بكر مركباتهم حتى
 ساقوها بشقّة فقال المصريون نهرب من اسرائيل لان الرب يقاتل المصريين
 عنهم - فقال الرب لموسى مد يدك على البحر ليرجع الماء على المصريين
 على مركباتهم وفرسانهم فمد موسى يده على البحر فرجع البحر عند اقبال
 الصبح الى حاله الدائمة والمصريون هاربون الى لقاءه فدفع الرب المصريين
 في وسط البحر فرجع الماء وغطى مركبات وفرسان جميع جيش فرعون
 الذي دخل وراءهم البحر لم يبق منهم ولا واحد . واما بنو اسرائيل فمشوا
 على اليابسة في وسط البحر والماء سور لهم عن يمينهم وعن يسارهم فخلص الرب
 في ذلك اليوم اسرائيل من يد المصريين ونظر اسرائيل المصريين امواتا على
 شاطئ البحر ورأى اسرائيل الفعل العظيم الذي صنعه الرب بالمصريين
 فخاف الشعب الرب وآمنوا بالرب وبعبدوه موسى

ونص الاصحاح الخامس عشر

حينئذٍ رنم موسى وبنو اسرائيل هذه التسيعة للرب وقالوا . ارنم
 للرب فانه قد تعظم . الفرس وراكبه طرحها في البحر . الرب قوتي ونشيدي
 وقد صار خلاصي . هذا الهى فامجده اله فارفعه . الرب رجل الحرب الرب

اسمه . مركبات فرعون وجيشه القاهما في البحر ففرق افضل جنوده المركبة
 في بحر سوف تعطيهم اللجج قد هبطوا في الاعماق كمحجر يمينك يا رب معتزة
 بالقدرة . يمينك يا رب تحطم العدو وبكثرة عظمتك تهدم مقاوميك .
 ترسل سخطك فياكلهم كالقش . وبريح انفك تراكت المياه هكذا في
 الاصل ولعل المراد ريح قدرتك وانما نسبت الريح الى الانف لانه آله
 الشموخ فشبهوا قدرة الله تعالى بانف الرجل العظيم الذي يرفعه تعاظما والا
 فان الله تعالى منزّه عن الجسمية والحواس انتصبت المجاري كراية . تجمدت
 اللجج في قلب البحر . قال العدو اتبع ادرك اقسام غنيمة . تمتلئ منهم نفسي
 اجرد سيفي تفنيهم يدي . نفخت بريحك فغطاهم البحر . غاصوا كارضاص في
 مياه غامرة . من مثلك بين الالهة يا رب (المراد بالالهة هنا ما سماه الناس آلهة
 وليسوا آلهة كالاصنام وفرعون فان الله تعالى ليس كمثل شي . لان هناك آلهة
 حقة . وليس فيها مثله ما من إله الا الله) من مثلك معتزا في القداسة محفوفاً
 بالتساييع صانعا عجائب . تمد يمينك فتبتلعهم الارض . ترشد برافتك الشعب
 الذي فديته . تهديه بقوتك الى مسكن قدسك . يسمع الشعوب فيرتعدون .
 تاخذ الرعدة سكان فلسطين حينئذ يندهش امراء ادوم . اقوياء موآب تاخذهم
 الرجفة . يذوب جميع سكان كنعان تقع عليهم الهيبة والرعب . بعظمة ذراعتك
 يصمتون كالحجر (المراد بالذراع القوة والا فان الله تعالى لا اعضاء له اذ
 الاعضاء من لوازم الاجسام وكل جسم مركب وكل مركب حادث والله
 تعالى قديم فليس له اعضاء) حتى يعبر شعبك يا رب حتى يعبر الشعب الذي
 اقتنيتهم . تبيهم وتغرسهم في جبل ميراثك (اي الذي تورثه من تشاء من

عبادك لانه موروث الله تعالى عن غيره) المكان الذي صنعته يارب لسكنك
(لعل المراد لسكن عبادك او انبيائك والا فإن الله تعالى يستحيل عليه الاستقرار
والسكنى لانه ليس بجسم يتحيز في الامكنة) المقدس الذي هيأته يداك
يارب (لعل المراد باليدين القدرة والارادة اي اردت ان يكون البيت المقدس
في مكان كذا ثم كونه بقدرتك والا فان الجارحة مستحيلة على الله تعالى لانها
من لوازم الاجسام وهي حوادث والله تعالى قديم) الرب يملك الى الدهر
والابد فان خيل فرعون دخلت بمركباته وفرسانه الى البحر ورد الرب عليهم
ماء البحر واما بنو اسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر

فمن نص هذين الاصحابين ترى توافق التوراة والقرآن في فلق البحر
بضربه بعضا سيدنا موسى فاعتراض الاوروبيين على القرآن بانه اخبر عن
امور لا يقبلها العقل يستدلون بذلك على بطلانه وجعله من تأليف نبينا
سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم عين اعتراضهم على التوراة وسيدنا عيسى
اخبر انه جاء ليتم التوراة فهو يعتبرها ويعتمد ما فيها فيكون اعتراضهم على
الاديان الثلاثة لا على الدين الاسلامي وحده فصاروا مارقين من الدين
المسيحي بتكذيبهم ما صدقه رسولهم او معبودهم ولكنهم يقولون ذلك تأييداً
لدينهم وتزييفاً للاسلام فيكون كلامهم من العبث الذي لا يصدر عن العقلاء .
وما ينكرونه على القرآن من اخباره عن آيات سيدنا موسى من ارسال
الجراد والدم والقمل والضفادع وغيرها منصوص في التوراة فيكون هذا
الانكار انكاراً لما جاء فيها فتكون التوراة كاذبة عندهم ورسولهم او معبودهم
شهد بصدقها فيكون انكارهم تكذيباً لسيدنا عيسى واي دين يعتمدون عليه

بعد مروقهم من الاديان الثلاثة المتنافس فيها في الارض اللهم الا ان يكونوا طبيعيين يعللون الحوادث بعلم كونية ولا ينسبون شيئاً منها لله تعالى فيكون كلامهم في دين الاسلام توسلاً للطعن في البقية ولكنهم يستترون بين قومهم بالطعن في دين الغير حفظاً لمركزهم بين الامة التي هم منها والا فهذه نصوص التوراة نوردها في بحثنا هذا للمقابلة بينها وبين ما جاء به القرآن ليقف عليها من لا اطلاع لهم على التوراة ويرونها من يعلم التوراة ويسكت عما فيها . قال في الاصحاح السابع من سفر الخروج

فقال الرب لموسى انظر اني جعلتك الها لفرعون وهارون اخوك يكون نبيك (لعل المراد اني جعلتك رسولا لفرعون لانه جاء ينكر على فرعون كونه الها ويخبره بان الاله ذو الذي خلق السموات والارض واعطى كل شيء خلقه فكيف يكون هو الها وهو عبد مصنوع مثله وساقدم لك فصلاً في نفي الالهية عن الجواهر والاعراض بعد الفراغ من عبارة التوراة) انت تكلم بكل ما آمرك وهارون اخوك يكلم فرعون ليطلق بني اسرائيل من ارضه (هذا معنى قوله تعالى في القرآن حكاية عن موسى « واخي هارون هو افصح مني لسانا فارسله معي رداً يصدقني » والمراد بفصاحة هارون انه كان يعرف لسان المصريين لكثرة مخالطته لهم واما سيدنا موسى فكان يعرف العبراني وقليلاً من المصري لبعده عنهم ونفوره منهم من صغره ولا يلزم من تربيته في بيت فرعون اتقانه لسانه فان تربيته كانت على يد امه وهي عبرانية اللسان) ولكنني اقسي قلب فرعون واكثر آياتي وعجائبي في ارض مصر ولا يسمع لكما فرعون حتى اجعل يدي على مصر (تكلمنا على

معنى اليد فيا تقدم) فاخرج اجنادي شعبي بني اسرائيل من ارض مصر باحكام عظيمة فيعرف المصريون اني انا الرب حينما امد يدي على مصر واخرج بني اسرائيل من بينهم . ففعل موسى وهارون كما امرها الرب . هكذا فعلاً . وكان موسى ابن ثمانين سنة وهارون ابن ثلاث وثمانين سنة حين كلما فرعون . وكلم الرب موسى وهارون قائلاً (اما كلامه لهارون فبطريق الاخبار عن موسى عن الله) اذا كلمكما فرعون قائلاً هاتيا عجيبة تقول لهارون خذ عصاك واطرحها امام فرعون فتصير ثعباناً (هذا مخالف لنص القرآن فان العصا لموسى والملقى لها هولا هارون) فدخل موسى وهارون الى فرعون وفعلاً هكذا كما امر الرب . طرح هارون عصاه امام فرعون وامام عبيده فصارت ثعباناً (نص التوراة وان) خالف نص القرآن في الملقي لم يختلف في اتحاد الآية وهي انقلاب العصا ثعباناً والاعتراض واقع على هذا الانقلاب لا على الاختلاف في الملقي (فدعا فرعون ايضا الحكماء والسحرة ففعل عرافو مصر ايضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه فصارت العصي ثعابين ولكن عصا هارون ابتلعت عصيتهم فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لها كما تكلم الرب . ثم قال الرب لموسى قلب فرعون غليظ قد ابى ان يطلق الشعب اذهب الى فرعون في الصباح انه يخرج الى الماء وقف للاقائه على خافة النهر والعصا التي تحولت حية تأخذها في يدك ونقول له الرب له العبرانيين ارسلني اليك قائلاً اطلق شعبي ليعبدوني في البرية وهو ذا حتى الآن لم تسمع هكذا يقول الرب بهذا تعرف اني انا الرب . ها انا اضرب بالعصا التي في يدي على الماء الذي في النهر فيتحول دماً ويموت السمك

الذي في النهر وينتن النهر فيه ماء المصريين ان يشربوا ماء من النهر . ثم قال الرب لموسى قل لهارون خذ عصاك ومد يدك على مياه المصريين على انهارهم وعلى سواقيهم وعلى آجامهم وعلى كل مجتمعات مياههم لتصير دماً فيكون دم في كل ارض مصر في الاخشاب وفي الاحجار ففعل هكذا موسى وهارون كما امر الرب . رفع العصا وضرب الماء الذي في النهر امام عيني فرعون وامام عيون عبيده فتحول كل الماء الذي في النهر دماً ومات السمك الذي في النهر واتن النهر فلم يقدر المصريون ان يشربوا ماء من النهر وكان الدم في كل ارض مصر . وفعل عرافوا مصر كذلك بسحرهم . (لم يخبر القرآن ان السحرة اتوا بقلب الماء دماً بل اخبر ان الله ارسل عليهم الدم وما يرسله الله يستحيل ان يأتي به العبد ولكن نص التوراة هكذا) . فاشتد قلب فرعون فلم يسمع لهما كما تكلم الرب . ثم انصرف فرعون ودخل بيته ولم يوجه قلبه الى هذا ايضا وحضر جميع المصريين حوالي النهر لاجل ماء يشربوا لانهم لم يقدرُوا ان يشربوا من ماء النهر

وقال في الاصحاح الثامن بعده ما نصه - ولما كملت سبعة ايام بعد ما ضرب الرب النهر . قال الرب لموسى ادخل الى فرعون وقل له هكذا يقول الرب اطلق شعبي ليعبدوني وان كنت تأبى ان تطلقهم فما انا اضرب جميع تخومك بالضفادع فيفيض النهر ضفادع فتصعد وتدخل الى بيتك والى مخدع فراشك وعلى سريرك والى بيوت عبيدك وعلى شعبك والى تنانيرك والى معاجنك . عليك وعلى شعبك وعبيدك تصعد الضفادع . فقال الرب لموسى قل لهارون مد يدك بعصاك على الانهار والسواقي والالجام

واصعد الضفادع على ارض مصر وفعل كذلك العرافون بسحرهم واصعدوا
 الضفادع على ارض مصر (لم ينص القرآن على ان السحرة فعلوا كفعل الله
 تعالى او كفعل موسى كنص عبارة التوراة اذ لو فعلوا لبطلت حجة موسى
 في دعواه فان السحر ساوى المعجزة فاية حجة له بعد ذلك وانما المذكور في
 القرآن انهم صنعوا حبلاً صوروها بصور الحيات وجعلوها تتحرك بالمواد
 المطلوبة بها فتلقفتها عصا موسى ثم لم يكن منهم معارضة بعد ذلك في آية من
 الآيات) فدعا فرعون موسى وهارون وقال صليا الى الرب ليرفع الضفادع
 عني وعن شعبي فاطلق الشعب ليزبحوا للرب . فقال موسى لفرعون عين
 لي متى اصلي لاجلك ولاجل عبيدك وشعبك لقطع الضفادع عنك وعن
 بيوتك ولكنها تبقى في النهر فقال غداً فقال كقولك لكي تعرف ان ليس
 مثل الرب الهنا (هذا النص يعين ان ارسال الضفادع عليهم فعل الرب
 وان فرعون كان متألاً منها ولذا طلب رفعها وقطعها عنه وعن الناس
 فكيف يقال ان السحرة فعلت ذلك ايضاً ولعلمهم صوروا اشياء كالضفادع
 لا حقائق لها) فارتفع الضفادع عنك وعن بيوتك وعبيدك وشعبك ولكنها
 تبقى في النهر . ثم خرج موسى وهارون من لدن فرعون وصرخ موسى الى
 من اجل الضفادع التي جعلها على الرب فرعون ففعل الرب كقول موسى فماتت
 الضفادع من البيوت والدور والحقول وجمعوها كوماً كثيرة حتى امتلأت
 الارض . فلما رأى فرعون انه قد حصل الفرج اغلظ قلبه ولم يسمع لها كما
 تكلم الرب . ثم قال الرب لموسى قل لهارون مد عصاك واضرب تراب
 الارض ليصير بعوضاً في جميع ارض مصر ففعل كذلك . مد هارون يده

بعضاه وضرب تراب الارض فصار البعوض على الناس وعلى البهائم . كل
تراب الارض صار بعوضا في جميع ارض مصر وفعل كذلك العرّافون
بسحّهم ليخرجوا البعوض فلم يستطيعوا . وكان البعوض على الناس وعلى
البهائم . فقال العرّافون لفرعون هذا اصبع الله (مرادهم فعل الله واستعاروا
الاصبع لان الانسان يحرك الشيء الضعيف باصبعه) ولكن اشتد قلب فرعون
فلم يسمع لهما كما قال الرب . ثم قال الرب لموسى بكر في الصباح وقف امام
فرعون انه يخرج الى الماء وقل له هكذا يقول الرب اطلق شعبي ليعبدوني فانه
ان كنت لا تطلق شعبي ها انا ارسل عليك وعلى عبيدك وعلى شعبك
وعلى بيوتك الذبان فتتلي ، بيوت المصريين ذباناً وايضاً الارض التي هم
عليها . ولكن اميز في ذلك اليوم ارض جاسان حيث شعبي مقيم حتى لا
يكون هناك ذبان لكي تعلم اني انا الرب في الارض (لعل المراد اني انا الرب
الفعال في الارض كما اني فعال في السماء لا انك انت رب الارض وانا رب
السماء) واجعل فرقاً بين شعبي وشعبك . غداً تكون هذه الآية ففعل الرب
هكذا فدخلت ذبان كثيرة الى بيت فرعون وبيوت عبيده وفي كل
ارض مصر خربت الارض من الذبان . فدعا فرعون موسى وهارون وقال
اذهبوا اذبحوا لالهكم في هذه الارض . فقال موسى لا يصلح ان نفعل هكذا
لانا انما نذبح رجس المصريين امام عيونهم افلا يرجعوننا . نذهب سفر ثلاثة
ايام في البرية ونذبح للرب الهنا كما يقول لنا . فقال فرعون انا اطلعكم لتذبحوا
لرب الهكم في البرية ولكن لا تذهبوا بعيداً . صائياً لاجلى . ها انا اخرج من
لذلك واصلي الى الرب فترفع الذبان عن فرعون وعبيده وشعبه غداً . ولكن

لا بعد فرعون يخاتل حتى لا يطلق الشعب ليذبح للرب : فخرج موسى من
 لدن فرعون وصلى الى الرب ففعل الرب كقول موسى فارتفع الذبان عن
 فرعون وعبيده وشعبه . لم تبق واحدة ولكن اغاظ فرعون قلبه هذه المرة
 ايضاً فلم يطلق الشعب (ومقابل هذا الاصحاح وما بعده مما ذكر فيه معاهدة
 فرعون ونكثه قول الله تعالى في القرآن العزيز » ولما وقع عليهم الرجز قالوا
 يا موسى ادع لنا ربك بعاهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
 ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم
 ينكثون » ولكن لم يذكر القرآن معجزة الذبان وانما ذكر لسيدنا موسى ست عشرة
 معجزة وهي قلب العصا حية . وتلقفها ما صنعها السحرة . وخروج يده بيضاء
 والطوفان . والجراد . والقمل . والضفادع . والدم . وفاق البحر . ونبع الماء
 من الحجر . واظلال الجبل . واخذ آل فرعون بالسنين . ونقص الثمرات . وحل
 عقدة لسانه . والطمس على اموال قوم فرعون . وانزال المان والسلوى . ولم
 يذكر الذبان فالتوراة منفردة بزيادته »

الاصحاح التاسع

ثم قال الرب لموسى ادخل الى فرعون وقل له هكذا يقول الرب
 اله العبرانيين اطلق شعبي ليعبدوني فانه ان كنت تأبى ان تطلقهم وكنت
 تمسكهم بعد فما يد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل على الخيل
 والحمير والجمال والبقر والغنم واثقيلاً جداً . ويميز الرب بين مواشي
 اسرائيل ومواشي المصريين فلا يموت من كل ما لبني اسرائيل شي .
 ويعين الرب وقتاً قائلاً غدا يفعل الرب هذا الامر في الارض . ففعل

الرب هذا الامر في الغد فانت جميع مواشي المصريين واما مواشي بني اسرائيل فلم يمت منها واحد . وارسل فرعون واذا مواشي اسرائيل لم يمت منها ولا واحد ولكن غلظ قلب فرعون فلم يطلق الشعب . ثم قال الرب لموسى وهارون خذا ملء ايديكما من رماد الاتون وليذره موسى نحو السماء امام عين فرعون ليصير غبارا على كل ارض مصر فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل طالعة يبشور في كل ارض مصر فاخذوا رماد الاتون ووقفوا امام فرعون وذراه موسى نحو السماء فصارت دمامل بثورا طالعة في الناس وفي البهائم . ولم يستطع العرافون ان يقفوا امام موسى من اجل الدمامل لان الدمامل كانت في العرافين وفي كل المصريين . ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يسمع لها كما كلم الرب موسى (لم يذكر القرآن موت الماشية ولا الدمامل ولعل الأولى مندرجة تحت قوله تعالى « ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين » والا فان التوراة تعد معجزات لم يتعرض لها القرآن كما يعلم من مقابلة ما سردناه من معجزات القرآن على معجزات التوراة) ثم قال الرب لموسى بكر في الصباح وقف امام فرعون وقل له هكذا يقول الرب اله العبرانيين اطلق شعبي ليعبدوني لاني هذه المرة ارسل جميع ضرباتي الى قلبك وعلى غبيدك وشعبك لكي تعرف ان ليس مثلي في كل الارض (لعل المراد انه ليس الله تعالى جنس فيكون له مثل وقوله في الارض اي في كل ارض ادمي فيها احد عبيدي الالهية او دعاه الغريبها وخص الارض بالذكور لانها اقرب لنظر فرعون وتعقله من غيرها . والا فان الله تعالى لا مثل له ولا يتميز في ارض او سماء) فانه الآن لو كنت امد يدي واضربك وشعبك

بالوباء لكنت تباد من الارض (اي لو شئت ابادتك فان الجارحة محالة على
الله تعالى) ولكن لاجل هذا اقمته لكي اريك قوتي ولكي يخبر باسمي في
كل الارض . انت معاند بعد لشعبي حتى لا تطلقه . ها انا غدا مثل الآن
امطر برداً عظيماً جداً لم يكن مثله في مصر منذ يوم تأسيسها الى الآن . فالآن
ارسل احم مواشيك وكل مالك في الحقل . جميع الناس والبهائم الذين يوجدون
في الحقل ولا يجمعون الى البيوت ينزل عليهم البرد فيموتون . فالذي خاف
كلمة الرب من عبيد فرعون هرب بعبيده ومواشيه الى البيوت واما الذي لم
يوجه قلبه الى كلمة الرب فترك عبيده ومواشيه في الحقل . ثم قال الرب
لموسى مد يدك نحو السماء ليكون برداً في كل ارض مصر على الناس وعلى
البهائم وعلى كل عشب الحقل في ارض مصر فمد موسى عصاه نحو السماء فاعطى
الرب رعوداً وبردا وجرت نار على الارض وامطر الرب برداً على ارض مصر
فكان برد ونار متواصلة في وسط البرد . شيء عظيم جداً لم يكن مثله في كل
ارض مصر منذ صارت امة فضرب البرد في كل ارض مصر جميع ما في الحقل
من الناس والبهائم وضرب البرد جميع عشب الحقل وكسر جميع شجر الحقل الا
ارض جاسان حيث كان بنو اسرائيل فلم يكن فيها برد . فأرسل فرعون ودعا
موسى وهارون وقال لهما اخذاهما هذه المرة . الرب هو البار وانا وشعبي
الاشزار صلياً الى الرب وكفى حدوث رعود الله والبرد فاطلقكم ولا تعودوا
تلبثون . فقال له موسى عند خروجي من المدينة ابسط يدي الى الرب
فتنقطع الرعود ولا يكون البرد ايضا لكي تعرف ان للرب الارض واما انت
وعبيدك فانا اعلم انكم لم تغشوا بعد من الرب الاله . فالكثبان والشعير ضربا

لان الشعير كان مسبلا والكتان مبزرا . واما الحنطة والقطاني فلم تضرب
 لانها كانت متأخرة (القطاني هي الحبوب التي تطبخ مثل العدس والحمص
 والفول) فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون وبسط يديه الى الرب
 فانقطعت الرعود والبرد ولم ينصب المطر على الارض . ولكن فرعون لما رأى
 ان المطر والبرد والرعود انقطعت عاد يخطي . واغلظ قلبه هو وعبيده فاشتد قلب
 فرعون فلم يطلق بني اسرائيل كما تكلم الرب عن يد موسى
 (الاصحاح العاشر)

ثم قال الرب لموسى ادخل الى فرعون فاني اغلظت قلبه وقلوب عبيده لكي
 اصنع آياتي هذه بينهم ولكي تخبرني مسامع ابنك وابن ابنك بما فعلت في مصر
 وبآياتي التي صنعتها بينهم فتعلمون اني انا الرب (ان كان لموسى ابن ابن فهو
 صريح التوراة والا فيكون المراد ابن ابن الجيل الحاضر معه على التأويل)
 فدخل موسى وهارون الى فرعون وقالاه هكذا يقول الرب اله العبرانيين الى
 متى تأبى ان تخضع لي اطلق شعبي ليعبدوني فانه ان كنت تأبى ان تطلق
 شعبي ها انا اجي غدا بجراد على تخومك (اي ابعث جرادا) فيغطي وجه
 الارض حتى لا يستطيع نظر الارض ويا كل الفضلة السائلة الباقية لكم من
 البرد ويا كل جميع الشجر النابت لكم من الحقل ويملاً بيوتك وبيوت جميع
 عبيدك وبيوت جميع المصريين . الامر الذي لم يره ابواك ولا آباء آبائك منذ
 يوم وجدوا على الارض الى هذا اليوم ثم تحول وخرج من لدن فرعون . فقال
 عبيد فرعون الى متى يكون هذا لنا فجا . اطلق الرجال ليعبدوا الرب الههم الم
 تعلم بعد ان مصر قد خربت فرد موسى وهارون الى فرعون فقال لهما اذهبوا

اعبدوا الرب الهكم ولكن من ومن هم الذين يذهبون فقال موسى نذهب
بفتياننا وشيوخنا نذهب بيننا وبناتنا وبقرنا لان لنا عيدا للرب (لهذا
التاريخ لم تكن فرضت ولا سنت اعياد بني اسرائيل فلعل ذلك كان عيدا من
عهد يعقوب) فقال لها يكون الرب معكم هكذا كما اطلقكم واولادكم انظروا
ان قدام وجوهكم شرا . ليس هكذا . اذهبوا انتم الرجال واعبدوا الرب لانكم
لهذا طالبون فظردوا من لدن فرعون . ثم قال الرب لموسى مد يدك على ارض
مصر لاجل الجراد ليصعد على ارض مصر ويا كل كل عشب الارض كل
ما تركه البرد فمد موسى عصاه على ارض مصر فجلب الرب على الارض ريحا
شرقية كل ذلك النهار وكل الليل ولما كان الصباح حملت الريح الشرقية
الجراد فصعد الجراد على كل ارض مصر وحل في جميع تخوم مصر . شي
ثقيل جدا لم يكن قبله جراد هكذا مثله ولا يكون بعده كذلك وغطى وجه
كل الارض حتى اظلمت الارض واكل جميع عشب الارض وجميع ثمر
الشجر الذي تركه البرد حتى لم يبق شي . اخضر في الشجر ولا في عشب الحقل
في كل ارض مصر . فدعا فرعون موسى وهارون مسرعا وقال اخطاءت الى
الرب الهكما واليكما والآن اصفحاعن خطيئتي هذه المرة فقط وصليا الى الرب
الهكما ليرفع عني هذا الموت فقط فخرج موسى من لدن فرعون وصلي الى الرب
فرد الرب ريحا غربية شديدة جدا فحملت الجراد وطرحته الى بحر سوف لم
تبق جرادة واحدة في كل تخوم مصر ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق
بني اسرائيل . ثم قال الرب لموسى مد يدك نحو السماء ليكون ظلام على ارض
مصر حتى يامس الظلام (الظلام عرض فكيف يمس فلعل المراد انه لشدة

ظلمته يكاد ان يكون جرما يلس او يخيل للناظر انه جرم يلس) فحمد موسى يده نحو السماء فكان ظلام دامس في كل ارض مصر ثلاثة ايام لم يبصر احد اخاه ولا قام احد من مكانه ثلاثة ايام ولكن جميع بني اسرائيل كان لهم نور في مساكنهم . فدعا فرعون موسى وقال اذهبوا اعبدوا الرب غير ان غنمكم وبقركم تبقى . اولادكم ايضا تذهب معكم . فقال موسى انت تعطي ايضا في ايدينا ذبائح ومحرقات لنصنعها للرب الهنا فتذهب مواشينا ايضا معنا لا يبقى ظلف لا ننا منها نأخذ لعبادة الرب الهنا ونحن لا نعرف بماذا نعبد الرب حتى نأتي الى هناك (لعل المراد بماذا نعبد الرب على الشريعة الجديدة التي سيشرعها لموسى والا فانهم طلبوا ماشيتهم لتقديم ذبائح العبادة منها فتكون لهم شريعة والا فان الكلام يتناقض) ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يشأ ان يطلقهم وقال له فرعون اذهب عني احترز لا تروجهي ايضا انك يوم ترى وجهي تموت فقال موسى نعماً قلت انا لا اعود ارى وجهك ايضا

(الاصحاح الحادي عشر)

ثم قال الرب لموسى ضربة واحدة ايضا اجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلك يطلقكم من هنا وعند ما يطلقكم يطردكم طردا من هنا بالتمام . تكلم في مسامع الشعب ان يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها امتعة فضة وامتعة ذهب واعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين . وايضا الرجل موسى كان عظيما جدا في ارض مصر في عبيد فرعون وعيون الشعب وقال موسى هكذا يقول الرب اني نحو نصف الليل اخرج في وسط مصر فيموت كل بكر في ارض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسیه الى بكر

الجارية التي خلف الرحي وكل بكر بهيمة (شبه محي) امر الله تعالى ونزول
 قضائه على ابيكار المصريين عجيء الملك لتنفيذ امره في عبيده فقال اخرج في
 وسط مصر اولعل المراد اتجلى على مصر بمظهر اسم المنتقم فيموت كل بكر والا
 فان الله تعالى منزّه عن الهجيء والذهاب لان الحركة من لوازم الاجسام والله
 تعالى ليس بجسم ولا جسماني ولا يتحيز في مكان ولا يحل في ذات فان التحيز
 والحلول من شؤون الحوادث والله تعالى قديم وبعض فرق اليهود يعتقدون ان
 هذا الهجيء كان حقيقيا ولا يؤوّلون شيئا مما جاء في التوراة من هذا القبيل مثل
 ما جاء في الاصحاح الثامن عشر من سفر التكوين اخبارا عن سيدنا ابراهيم
 وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في الخيمة وقت حر النهار فقوله
 ظهر له عند بلوطات ممرا يعين بظاهره انه رأى ذاتا منحصرة في مكان وقع عليها
 بصره وهذا مستحيل على الله تعالى لان البصر لا يقع الا على جسم محدود والله
 تعالى ليس بجسم ولا يحدد فلا بد من تأويل ذلك بظهور الملائكة لا الرب
 بدليل قوله بعد ذلك فرفع عينيه ونظروا اذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما
 نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة فهذا يعين انه انما رأى الملائكة لا الله الذي
 يستحيل عليه الحلول في الامكنة وفي الانسان جل شأنه ومثل قوله في الاصحاح
 التاسع عشر فاستيقظ يعقوب من نومه وقال حقا ان الرب في هذا المكان وانا
 لم اعلم فهذا ينبغي ان يؤوّل بيت الرب او حرم الرب اي المنسوب اليه المختار
 عنده لعبادته والا فسيدنا يعقوب رسول يعلم علم اليقين ان الله تعالى ليس من
 الجواهر التي تتعيز وتحل في الامكنة فلا يجوز ان يقول الرب في هذا المكان
 وانا لم اعلم - ومثل قوله في الاصحاح الثاني والثلاثين « فبقي يعقوب وحده

وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حُق فخذَه
فانخلع حُق فخذ يعقوب في مصارعته معه وقال اطلقني لانه قد طلع الفجر فقال
لا اطلقك ان لم تباركني فقال له ما اسمك فقال يعقوب فقال لا يدعى اسمك
فيما بعد يعقوب بل اسرائيل لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت وسأل
يعقوب وقال اخبرني باسمك فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك « فهذا
كله ينبغي ان يحمل على ملك صارع يعقوب لاعلى ان الله تعالى صارع
يعقوب كما سمعته من احد يهود بيت المقدس فان في ذلك من الالهانة والعجز
والسخرية ما لا يخفى فان الذي صارع يعقوب انسان والله يستحيل عليه ان يحمل في
انسان لانه لو حل في ذات انسان لجاز ان يحمل في كل الدوات ضرورة ان
الاجسام متساوية في الماهية ولو حل في ذات علي الخصوص لاحتاج الى
مخصص غيره يخصصه بها لانه قد انحصر في ذات شأنها العجز والضعف واذا
احتاج الى مخصص كان عبدا مخلوقا لا الها فاعلا وبهذا نعلم انه يجب التأويل
بالملك فرارا من هذا الفساد . ومثل هذا كثير في التوراة وبعض كلام الانبياء
فيجب التنبه لما فيه تنزيه الحق سبحانه وتعالى عن مماثلته خلقه من اي طريق
كان وبأي صورة كانت) ويكون صراخ عظيم في كل ارض مصر لم يكن مثله
ولا يكون مثله ايضا ولكن جميع بني اسرائيل لا يستن كلب لسانه اليهم الا الى
الناس ولا الى البهائم لكي تعلموا ان الرب يميز بين المصريين واسرائيل . فينزل
الي جميع عبيدك هؤلاء ويسجدون لي قائلين اخرج انت وجميع الشعب الذين
في اترك وبعد ذلك اخرج ثم خرج من لدن فرعون في حمو الغضب . وقال
الرب لموسى لا يسمع لكما فرعون لكي تكثر عجائبي في ارض مصر وكان موسى

وهارون يفعلان كل هذه العجائب امام فرعون ولكن شدد الرب قلب فرعون فلم يطلق بني اسرائيل من ارضه »

فما نقرر في التوراة المتداولة الآن يعلم ان القرآن لم يأت بشيء غريب ولا امر مفترى كما يزعم المتعصبون لدينهم بغير حق وكما يظن المارقون من الدين بجهلهم حقائق الكتب السماوية ورجوعهم الى المحسوسات وانكار كل ما لا تقبله عقولهم من آيات الله تعالى وكان الاولى لمثل هؤلاء ان ينكروا وجودهم فانهم لا يعلمون من اصل نشأتهم الا وسائط ارتبط بعضها ببعض في ظاهر الامر بعد حدوثها وهي في حد ذاتها مستغربة يحار العقل في كيفية حدوثها واذا جهلوا حقيقة امرهم وهم ينظرون انفسهم فأولى ان يجهلوا حقيقة العجائب الالهية والمعجزات النبوية فان العقول في حجاب المحسوسات والمتصورات وما لم اذا رأوا امرا خارقا للعادة قالوا انه من فلتات الطبيعة ولم يقولوا انه من آيات الله تعالى . وبالجملة فان القرآن العزيز قص هذه القصة بما لم يخالف فيه التوراة الا فيما يختص بتنزيه الحق سبحانه وتعالى وعصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وستتبع القصة القرآنية مردفة بالقصة التوراتية للمقابلة والجام الخصاص وان كنا معاشر المسلمين لا نحتاج في تصديق قرآننا لشاهد خارجي لاعتقادنا الجازم انه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اوحاه الى نبيه سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كما اوحى التوراة الى سيدنا موسى والانجيل الى سيدنا عيسى عليهما الصلاة والسلام ولكن اذا تطابقت الادلة بطلت دعوى اهل الجدل والاهواء . والظعن في القرآن بعد هذا التوافق ظعن في نفس التوراة واذا وصل الظعن الى التوراة بطلت الكتب الثلاثة لان

الانجيل جاء، مؤيداً لحكم التوراة لا نقضاً لها واذا بطلت الكتب الثلاثة
سألنا المتعصبين على القرآن لاي دين يتعصبون وقد كفروا بما انزل الله
تعالى . واننا نسمع كثيراً من اهل هذا العصر يزعمون انهم على فكر حراي
لا يدينون بدين ولكننا لا نرى واحداً منهم يتظاهر بنقض اصول دينه الا في
مجلس امثاله تحت استار الخفاء فاذا خرج الى المجمع العامة كان كأفراد
طائفته قولاً وعملاً . وهؤلاء لم نزغات يوسوسون بها الى ضعفاء العقول
الذين لم يتعلموا العلوم الدينية في الصغر فترام يستمياوت الجهلاء بترهات
واباطيل منها انكارهم فلق البحر لسيدنا موسى وانقلاب العصا حية والمعجزات
التي ذكرها القرآن والتوراة ويحتجون بان العقل لا يقبل ذلك او ان ذلك
كن لحادث كذا الجوي او علة كذا الطبيعية وهي امور تسلطوا بها على كثير
من المسلمين والنصارى واليهود والمسلم منهم بصحة التوراة لا يمكنه الطعن في
القرآن لانه جاء مسدقاً لما بين يديه مقررراً لكثير من احكامها التي لا تخالف
النص الموجود بها . وكذلك القائلون بصحة الانجيل لا يمكنهم الطعن في
القرآن لانه اخبر عن سيدنا عيسى وكيفية تخليقه والمعجزات التي ظهرت على
يديه . فتوافق القرآن مع الكتب السماوية فيما اشتملت عليه وما دعت اليه
وهو البرهان على صحته ومخالفته لبعض احكام تلك الكتب لا يطعن في صحته
فانه يوجد في التوراة احكام لا توجد في الانجيل ويوجد في الانجيل ما لا يوجد
في التوراة فاذا علمنا الطعن بالاختلاف تطرق اليها ايضاً فتعود المسئلة الاولى
وهي ابطال الكتب الثلاثة . ولنرجع الى قصة سيدنا موسى بعد غرق فرعون
وقومه . قل في الاصحاح الخامس عشر من سفر الخروج مانصه . ثم ارتحل

فموسى باسرائيل من بحر سوف وخرجوا الى برية شور فساروا ثلاثة ايام في البرية ولم يجدوا ماء فجاءوا الى مارة ولم يقدرُوا ان يشربوا ماء من مارة لانه مر لذلك شرب اسماء مارة فتذمر الشعب على موسى قائلين ما ذا نشرب فصرخ الى الرب فآراه الرب شجرة فطرحها في الماء فصار الماء عذبا هناك وضع له فريضة وحكما وهناك امتحنه فقال ان كنت تسمع لصوت الرب الهك وتصنع الحق في عينيه وتصفي الى وصاياه وتحفظ جميع فرائضه فمرضا ما مما وضعت على المصريين لا اضع عليك فاني انا الرب شافيك . ثم جاؤا الى ايليم وهناك اثنا عشرة عين ماء وسبعون نخلة فنزلوا هناك عند الماء (الذي في القرآن ان القوم عند ما طلبوا الماء اسقى موسى فأوحى الله تعالى اليه ان « اضرب بعصاك الحجر (فضربه) فانفجرت منه اثنتى عشرة عينا » فكان ذلك من المعجزات التي اظهرها الله تعالى على يد سيدنا موسى وهو الايق بالمقام والتوراة تنص على ان الماء كان موجودا لهم وردوه) .

ثم ارتحلوا من ايليم واُتي كل جماعة بني اسرائيل الى برية سين التي بين ايليم وسيناء في اليوم الخامس عشر من الشهر الثاني بعد خروجهم من ارض مصر . فتذمر كل جماعة بني اسرائيل على موسى وهارون في البرية وقال لهما بنو اسرائيل ليتنا نمنا بيد الرب في ارض مصر اذ كنا جالسين عند قدور اللبم ناكل خبزا للشبع فانكم الان خرجتمنا لهذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع . فقال الرب لموسى ها انا امطر لكم خبزا من السماء فيخرج الشعب ويلتقطون حاجة اليوم بيومها لكي امتحنهم ايسلكون في ناموسي ام لا . ويكون

في اليوم السادس انهم يهيئون ما يخبثون به فيكون ضعف ما يلقطونه يوماً
 فيوماً . فقال موسى وهارون لجميع بني اسرائيل في المساء تعلمون ان الرب
 اخرجكم من ارض مصر وفي الصباح ترون مجد الرب لاستماع تدميركم على
 الرب وامانحن فماذا حتى نتدمروا علينا . وقال موسى . ذلك بان الرب يعطيكم
 في المساء لحماً لتاكلوا وفي الصباح خبزاً لتشبعوا لاستماع الرب تدميركم الذي
 تدمرون عليه وامانحن فماذا . ايس علينا تدميركم بل على الرب (المقصود من
 قول موسى وهارون تبكيت بني اسرائيل بان الحاصل منهم كأنه اعتراض
 على الله تعالى في فعله لا ان ذلك على سبيل التبري منها والا كان ذلك اشد
 من تدمير بني اسرائيل وهذا لا يصدر من الرسل عليهم الصلاة والسلام فلزم
 التأويل بما ذكرنا) وقال موسى لهارون قل لكل جماعة بني اسرائيل اقربوا
 الى امام الرب لانه قد سمع تدميركم فحدث اذ كان هارون يكلم كل جماعة
 بني اسرائيل انهم التفتوا نحو البرية واذا مجد الرب قد ظهر في السحاب (اي
 ملكه لان الله تعالى لا يتحيز) فكلم الرب موسى قائلاً سمعت تدمير بني اسرائيل
 كلمهم قائلاً في العشية تاكلون لحماً وفي الصباح تشبعون خبزاً وتعلمون اني
 انا الرب الهكم فكان في المساء ان السلاوى صعدت وغطت المحلة وفي الصباح
 كان سقيط الندى حوالي المحلة ولما ارتفع سقيط الندى اذا على وجه البرية
 شيء دقيق مثل قشور دقيق كالجليد على الارض فلما رأوا بني اسرائيل قال
 بعضهم لبعض من هو لانهم لم يعرفوا ما هو فقال لهم موسى هو الخبز الذي
 اعطاكم الرب لتاكلوا هذا هو الشيء الذي امر به الرب النقطوا منه كل
 واحد على حسب اكله عمراً للرأس على عدد نفوسكم تأخذون كل واحد

للذين في خيمته ففعل بنو اسرائيل هكذا والنقطة بين مكثرو وقالوا
 بالنعمر لم يفضل المكثر والمقال لم ينقص كانوا قد النقطةوا كل واحد على حسب
 اكله وقل لهم موسى لا يبق احد منه الى الصباح لكنهم لم يسمعوا لموسى بل
 ابقى منه اناس الى الصباح فتولد فيه دود وانتن فسخط عليهم موسى وكانوا
 يلقطونه صباحاً فصباحاً كل واحد على حسب اكله واذا حميت الشمس
 كان يذوب (وافقت التوراة القرآن في الاخبار عن نزول المن والسوى
 على بني اسرائيل وفي النهي عن ادخار شي منها قل تعالى « يا بني اسرائيل
 قد انجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الايمن ونزلنا عليكم المن والسوى
 كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحمل عليكم غضبي ومن يحال
 عليه غضبي فقد هوى) ثم كان في اليوم السادس انهم النقطةوا خبزاً مضاعفاً
 عمرين للواحد فجاء كل رؤساء الجماعة واخبروا موسى فقال لهم هذا ما قل
 الرب . غدا عطلة سبت مقدس للرب اخبزوا ما تخبزون واطبخوا ما تطبخون
 وكل ما فضل ضعه عندكم ليحفظ الى الغد فوضعه الى الغد كما امر موسى
 فلم يثتن ولا صار فيه دود فقال موسى كلوه اليوم لان للرب اليوم سبتاً اليوم
 لا تجدونه في الحقل . ستة ايام تلقطونه واما اليوم السابع ففيه سبت لا يوجد
 فيه وحدث في اليوم السابع ان بعض الشعب خرجوا الى النقطةوا فلم يجدوا في
 الرب لموسى الى متى تأبون ان تحفظوا وصاياي وشرائي انظروا ان الرب
 اعطاكم السبت لذلك هو يعطيكم في اليوم السادس خبز يومين اجلسوا كل
 واحد في مكانه لا يخرج احد من مكانه في اليوم السابع فاستراح الشعب في
 اليوم السابع ودعا بيت اسرائيل اسمه منا وهو كبر الكزبرة ابيض وطعمه

كرفائيل بعسل وقال موسى هذا هو الشيء الذي امر به الرب ملء العمر منه
يكون للحفظ في اجيالكم لكي يروا الحيز الذي اظعتمكم في البرية حين اخرجتكم
من ارض مصر وقال موسى لهارون خذ قسطاً واحداً واجعل فيه ملء
العمر مناً وضعه امام الرب للحفظ في اجيالكم . كما امر الرب موسى وضعه
هارون لهام الشهادة للحفظ واكل بنو اسرائيل المن اربعين سنة حتى جاؤا
الى ارض عامرة اكملوا المن حتى جاؤا الى طرف ارض كنعان واما العمر فهو
عشر الاينة (هذا نص التوراة في سبب التيه واما السبب الذي ذكره القرآن
فهو عصيانهم امر موسى في حرب اريحا لدخولهم الارض المقدسة ونصه « يا قوم
ادخلوا لارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا تتردوا على اعقابكم فتقلبوا
خاسرين قالوا يا موسى ان فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها
فان يخرجوا منها فن داخلون » اراد بالارض المقدسة فلسطين ودمشق او اريحاء
وكان وقوفهم امام اريحاء على الشاطيء الجنوبي من نهر الاردن (الشريعة)
الفاصل بينها وبين ارض الكنعان والبلقاء ومعنى كتب الله لكم امركم بدخولها او
التي وعد اباكم ابراهيم ان يسكن ذريته فيها وقد اختار سيدنا موسى اثني عشر
رجلاً كل رجل من سبط وبعثهم ليخبروا حال اريحاء ويكتشفوا امرها وبعد
عودتهم امر بني اسرائيل بالقيام اليها لمحاربتهم فقالوا ان فيها قوماً جبارين شداداً
اقوياء لا نقوى على حربهم ولا نقدر عليهم وبلدنا حصين جداً فانه مبني على
جبل مرتفع يتعذر ارتقاؤه فان يخرجوا منها فانا داخلون قالوا ذلك على سبيل
الاستبعاد اي انهم لا يخرجون منها ابداً فنحن غير داخلها وما يقال هنا في
الجبارين من انهم طويل جداً وان الرجل منهم يأخذ العشرة من بني اسرائيل

بيده وان رجلاً اخذ النقباء الذين بعثهم سيدنا موسى لاكتشاف البلد فوضعهم في حزمة حطبه وجاء بهم امرأته الى آخر تلك القصص فمن خرافات القصص وحشوم الا كاذيب في عبارتهم

فلما اظهروا الخوف والجبن « قال رجالان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون » وهذان هما اللذان كتبهما الجبارين عن بني اسرائيل ولم يخبراهم بقوة حصونهم كما اخبر بقية النقباء وهما يوشع وكالب وهما من الذين يخافون الله تعالى وقد انعم عليهم بالهداية فاشارا على بني اسرائيل بفتحهم عقبات المشقة والهجوم على باب المدينة والنقوي عليه بكثرتهم ليفتحوه ويدخلوا فانهم ان دخلوه فقد غلبوا الجبارين واستولوا على مملكتهم وتوصلوا من نحو اريحا الى القدس الذي هو اشرف الارض المقدسة فما كان منهم الا ان « قالوا يا موسى انا ان ندخلك ابدًا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون » وهذا منتهى الجبن وكفران النعم فانهم يعلمون انهم كانوا مستعبدين للمصريين وكان فرعون يستعملهم في شاق الاعمال والمهن الحقةرة فجاءهم موسى بدعوة حق وألف بين قلوبهم وجمعهم على كلمة واحدة حتى وجدت فيهم عصبية بها تمكنوا من الخروج من مصر ثم ادركهم العدو وبلغ منهم الخوف مبلغاً عظيماً فنجاهم الله تعالى من عدوهم على يد رسولهم ثم فلق لهم البحر وانجاهم منه واغرق عدوهم وقومه وهم ينظرون ثم رأوا من المعجزات بعد ذلك ما يبهركم وكل ذلك كان بدعاء نبيهم او بطلبهم منه فيظهره الله تعالى اظهرا لصدقه وتأيداً لدعوته والآن يقوون له اذهب انت وربك فقاتلا ان هذا هو الجبن الغريب ولو انصفوا

سيدنا موسى لتفانوا بين يديه خصوصاً وهو يدعوهم لسكنى ارض مقدسة كانت مسكناً لآبائهم ويحشهم على فتح مدينة يكون لهم فيها خير كثير . ومع مبالغة سيدنا موسى في تعريفهم صفة الحق سبحانه وتعالى فانهم عادوا لما يعتقدونه من قبل من جسمية الاله فوصفوه بالذهب والمحي . جهلا منهم او عناداً او لعلمهم قالوا ذلك تهكما به اي انت كنت تعتقد ان لك الها يتصرك على من نقاتلهم فاذهب انت وهو لقتال هؤلاء الجبارين فلما رأى سيدنا موسى تصلبهم في الالباب وجهنهم عن القتال « قال رب اني لا املك الا نفسي واخي » اي ان القوم عصوني وابوا ان يقدموا على ما وعدتنا بالوصول اليه فلا املك الا نفسي ولا املك احداً غيري الا اخي الذي لشدة طاعته لي كانه مملوك واما بقية القوم فقد عصوني ولا وثوق لي بيوشع وكالب مع تظاهرها بالطاعة « فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين » بحكمك فينا وفيهم وهل مع آباءهم هذا الالباء يدخلون الارض المقدسة » قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض » اي انها محرمة عليهم تحريم تعبد فلا يجوز لهم الرجوع الى اوطانهم حتى تنتهي هذه المدة وهذا عقاب لما حصل منهم من التأخير عن قتال العدو لدخولهم اوطانهم فانهم اذا كانوا يرون الارض المقدسة امامهم وما بينهم الا نهر صغير جداً ثم انهم لا يدخلونها ويتركون في مفازة لا نبات فيها كان ذلك من اشد انواع العذاب وسهل الله تعالى الامر على موسى وهارون فلم يشعرا بما هم فيه كما لم يشعر سيدنا ابراهيم بحرارة نار النمرود وهو فيها . ولما رأى سيدنا موسى ان الامر قد نفذ وان دعاءه استجيب في قومه حزن عليهم لعلمه مقدار ما يقاسونه مدة الاربعين

سنة في قطعة ارض صغيرة فسلّاه الله تعالى بقوله « فلا تُس على القوم الفاسقين » اي لا تحزن عليهم فانهم فسقوا بعصيانهم امرك وهذه الآية تدل على انهم ما كفرا بعد ايمانهم بموسى بل فسقوا بعصيانهم فقولهم اذهب انت وربك معمول على التهمك . واختلف الناس في موت موسى وهارون ان كان في التية او في غيره اما هارون فكاد يقع اتفاقهم على موته في ارض التيه وهو الحق واما موسى فوقع الخلاف فيه فقال قوم مات في التيه ايضاً وقال آخرون انه عبر نهر الاردن بعد ذلك ومات ودفن بغر اريحا وقد اشتهر ذلك بين المسلمين وبني على قبره قبة عظيمة ومسجد جليل بينه وبين اريحا نحو ستة اميال ولكن اليهود لا تعترف بهذا بل تقول انه مات قبل ان يعبروا الاردن والسامرة يقولون انه رفع الى السماء وحجة اليهود قول التوراة في آخر الاصحاح الثاني من سفر التثنية حكاية عن موسى « وتضرعت الى الرب في ذلك الوقت قائلاً يا سيدي الرب انت قد ابتدأت ترى عبدك عظمتك ويدك الشديدة (اي قدرتك) فانه اي اله في السماء وعلى الارض يعمل كاعمالك وكجبروتك دعني اعبر وارى الارض الجيدة التي - في عبر الاردن هذا الجبل الجيد وابنان لكن الرب غضب عليّ بسببكم ولم يسمع لي (اي لم يستجب لي) بل قال لي الرب كفاك لا تعد تكلمني ايضاً في هذا الامر اصعد الى راس الفسجة وارفع عينيك الى الغرب والشمال والجنوب والشرق وانظر بعينيك لكن لا تعبر هذا الاردن واما يوشع فاوصه وشده وشجعه لانه يعبر امام هذا الشعب وهو يقسم لهم الارض التي تراها فمكثنا في الجواء مقابل بيت فغور » فهذا نص على ان سيدنا موسى لا يدخل الارض

المقدسة ولا يمتنع ان يكون منعه من الدخول مدة التيه لا بعده فان التوراة تقول ان يوشع يقسم الارض المقدسة لهذا الشعب مع انها في الاصحاح الاول من التثنية نصت على عدم دخولهم فيها اذ قالت « وسمع الرب صوت كلامكم فسخط واقسم قائلاً لن يرى انسان من هؤلاء الناس من هذا الجيل الشرير الارض الجيدة التي اقسمت ان اعطيها لابائكم ماعدا كالب بن يفته هو يراها وله اعطى الارض التي وطئها ولبنيه لانه قد اتبع الرب تماماً » ثم قالت على لسان موسى « وعلى ايضاً غضب الرب بسببكم قائلاً وانت ايضاً لا تدخل الى هناك » فلعل المراد بالدخول دخول السكنى والاستقرار لا دخول العبور فان بين الاردن وقبر موسى نحو ثمانية اميال وقد وافقت التوراة القرآن فنصت قصة التيه كما نصها بلا خلاف يعتبر اذ قالت « في الاصحاح الاول من سفر التثنية ثم ارتحلنا من حوريب وسلكنا كل ذلك القفر العظيم المخوف الذي رأيت في طريق جبل الاموريين كما امرنا الرب الهنا وجئنا الى قادش برنيع فقلت لكم قد جئتم الى جبل الاموريين الذي اعطانا الرب الهنا انظر قد جعل الرب الهك الارض امامك اصعد تملك كما كلمك الرب اله آباءك لا تخف ولا ترتعب فنقدمتم الى جميعكم وقتلتم دعنا نرسل رجلاً قادماً يتجسسوا لنا الارض ويردوا الينا خبراً عن الطريق التي نصعد فيها والمدن التي نأتي اليها فحسن الكلام لدي فاخذت منكم اثني عشر رجلاً رجلاً واحداً من كل سبط فانصرفوا وصعدوا الى الجبل واتوا الى وادي اشكول وتجلسوه واخذوا في ايديهم من اثمار الارض ونزلوا به الينا وردوا لنا خبراً وقالوا جيدة هي الارض التي اعطانا الرب الهنا لكنكم لم تشاؤوا ان تصعدوا وعصيتم قول الرب الهكم

وترمرت في خيامكم وقلتم الرب بسبب بغضته لنا قد اخرجنا من ارض مصر
ليدفعنا الى ايدي الامور بين اكي يهلكنا الى اين نحن صاعدون قد اذاب
اخوتنا قلوبنا قائلين . شعب اعظم واطول منا . مدن عظيمة محصنة الى السماء
وايضا قد رأينا بني عناق هناك فقلت لكم لا ترهبوا ولا تخافوا منهم . الرب
الهكم السائر امامكم هو يحارب عنكم (اي السائر امامكم ملكه) حسب كل ما
فعل معكم في مصر امام اعينكم وفي البرية حيث رايت كيف حملك الرب
الهك كما يحمل الانسان ابنه في كل الطريق التي سلكتموها حتى جئتم الى
هذا المكان (اي انه رحيم به رحمة الاب لابنه فهو كناية عن شدة عنايته بهم
اذ ذاك) ولكن في هذا الامر لستم واثقين بالرب الهكم السائر امامكم في الطريق
ليلتبس لكم مكانا لنزولكم في نار ليل يريكم الطريق التي تسرون فيها وفي
سحاب نهارا ان لم نحمل السائر على الملك كان الامر مشكلا اذ يصير الرب
جاهلا بارضه فلا يعرف الجهات التي تناسب عبده الا اذا مشي في الارض
وتخير لهم مكانا وفي هذا من السخف وتجهيل الاله العليم ما لا يخفى فلذا حملنا
كلما جاء من هذا القليل على الملك لاستمالة ذلك على الاله (المخالف للحوادث
المنزه عن الحركة والسكون والبعد والقرب والذهاب والجيء والتخيز والحلول
جل شأنه وتعالى قدرته)

فمن هذا التقرير نعلم اتفاق القرآن والتوراة على ما جاء في سيرة سيدنا
موسى وتاريخه وانه بعد تلقيه التوراة مشتملة على قسمي العبادات والمعاملات
قبض بقسم العبادات على زمام الدين وقسم المعاملات على زمام الملك
والسياسة واستوزر اخاه هارون واخذ من الاسباط نوابا يحضرون مجلس حكمه

وتعليقه فصارت حكومته دستورية وبقي الامر على ما قرره حتى توفاه الله تعالى وقد اوصى الى يوشع بالامر بعده بامر التوراة فقام بالامر احسن قيام وفتح بلد الجبارين اريحاء وسهل طريق الوصول الى الارض المقدسة الى ان انقضى دوره وانقسمت العصبية الى قسمين ملكي وديني فصارت السياسة والملك في سبط يهوذا بن يعقوب والنبوة والدين في سبط لاوى بن يعقوب واستمروا على ذلك قرونا وهم ينقلبون بين خفض ورفع وقوة وضعف حسب الطواريء الزمنية الى ان خرج الملك من سبط يهوذا ودخل في يد طالوت من سبط بنيامين بانتخاب اشمويل بن بال احد انبيائهم عند قيامهم لمحاربة العمالة واسترجاعهم ما غلبوهم عليه من البلاد وما اخذوه من امتعتهم ومن اسروه من ابنائهم وابائهم ثم عاد الملك بعده الى داود بن يسي (يشا) بن عوبيد (عوفيد) بن بوعز بن سلحون بن نحشون بن عميناداب (عمينوذب) ابن ارام (رم) بن حصرون بن فارص (بارص) بن يهوذا بن يعقوب فجمع الجنود وحشد الجموع واتم فتح ما جاوره من البلاد الشامية والاطراف العربية الظورية وفي مدته تأيد ملك بني اسرائيل وقويت شوكتهم بمرتبة من الجنود وما بشه في التخوم من البعوث والسرايا ثم جاء بعده ولده سليمان فجمع جموع بني اسرائيل واخذ في مهاجمة التخوم حتى ألحق الشام كله بملكه ثم هاجم نصيبين واطراف العراق وبلاد العرب وزاد ملك بني اسرائيل بسطة بما غنمه من هذه البلاد وما فتحه من بلاد سورية التي اغنت بني اسرائيل بخيراتها واخذ في تشييد قبور آبائه وبناء بيت المقدس فبنى معبد الخليل في حبرون فوق المغارة التي دفن الخليل وزوجته واسحق وزوجته ويعقوب

وزوجته وبني مسجدا صغيرا فوق مغارة يوسف الصديق اللاصقة بمغارة
الخليل ولم يزل المسجد على بنائه الى اليوم ثم جمع الالوف المولفة لبناء بيت
المقدس . وقيل : انه لما أمر ببناء بيت المقدس ظن ان الارض المقدسة من
اورشليم الى حبرون (هي الخليل الآن) فآخذ يبني مسجدا في ارض حثول
على بعد ستة اميال من حبرون (وهو مدفن يونس ابن متى الآن) فتودي
ان ليس هنا يبني البيت المقدس فعدل عن تلك الجهة وآخذ يبني في طور زيتا
الكائن في شرق بيت المقدس فتودي ان ليس يبني هنا البيت المقدس فسأل
الله تعالى ان يجعل له علامة يعرف بها مكان ذلك المسجد فأرى نورا على لسان
صخرة في ارض اورشليم ونودي ان تلك الصخرة هي وسط المسجد الحرام وكانت
الصخرة في انف الجبل وتحت وادٍ منخفض ومن الصخرة الى منتهى المسجد من
الشمال نحو ثلثائة متر كما ذكره صاحب كتاب الأنس الجليل فاستحضر
العمال لقطع الأحجار وبني قناطر على سوارٍ عظيمة من الصخرة الى نحو ثلثائة
متر من جنوبها ورفع تلك العقود حتى قربت من الصخرة ثم بني مسجده في
الجنوب في قطعة جهة الغرب منه وترك بقية الارض حرما امام المسجد ولكنه
سوره بسور عظيم وبني فوق الصخرة قبة . وهذه الصخرة عبارة عن لسان من
الجبل يتصل به من جهة الشمال وبينه وبين الجهات الثلاث فراغ وتحت
الصخرة مغارة صغيرة كان يعبد داود ابوه ومائيل في الصخرة غير هذا فمن
وضع القصاص فانهم يريدون ان يثبتوا قدرة الله تعالى بارتفاعها وعدم ارتكازها
على شيء وفاتهم ان نسبتها الى الارض نسبة العدم الى الوجود ومنع ذلك فان
الارض موضوعة في فراغ تحيط به السماء ولا شيء ترتكز عليه سوى قوة

التجاذب التي خلقها الله تعالى بينها وبين الكواكب وكذلك الافلاك يحيط بعضها ببعض وتدور في فراغ على غير قطب يحملها فكيف عى الناس عن هذه الاجرام العظيمة ووضعها على غير مرتكز ورفعها على غير عمد واخذوا ينظرون في قطعة حجر لا تزيد عن خمسة امتار في مثلها وكأنه سهل عليهم فهم وجود كوكب الشمس الهائل في مركزه ودورته العجيبة ودور الكواكب حوله وصعب عليهم فهم التصاق هذا اللسان بجهة وبقائه على تلك الهيئة « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون

وفي سليمان وابيه داود وابنه رحبعم وابن ابنه آفيا وابنه اسا اجتمعت رئاسة النبوة والملك فكان كل منهم قابضا على السيامتين النبوية والملكية كما كانت الحال في عهد سيدنا موسى وقد بنى سليمان تلك المباني العظيمة ونقشها بالتماثيل الجميلة واستعمل في ذلك مئات الوف من الناس خصوصا وهو يبني في جبال حميرية يأتيها بالصخور من جهات بعيدة ومقاطع منعطة عن محل البناء مع ضعف آلات القطع وجر الاثقال اذ ذاك فبناؤه يدل على انه استعمل سلطة قوية وبطشا عظيما حتى وقعت سطوته وشدته من الناس الى حيث يحشدون الوفا من اقطار بعيدة ويشغلون في اعمال شاقة السنين الطويلة مع كونهم في اراضي جبلية لا خصب فيها ولا ماء الا ما يجمعونه من الامطار مع شدة بردها وكثرة ثلوجها ولا تقوم امة بمثل هذه

الاعمال القاسية الا اذا قيدت بيد السلطة القوية والسطوة النافذة ولذا يعبر
المسيحيون والاسرائيليون عن سليمان بالملك لاحكامه السياسة واخضاعه هذه
الامم مع كون مدته كانت مدة سلم بخلاف مدة ابيه فانها كانت مدة حروب
فحق له ان يقول وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فانه لم يأت بعده
من بني اسرائيل من ضبط الملك مثله ولا من نزل عنه درجة . وقد اشتغل
باللهيات والحكميات وتصدى لتعليمها بنفسه فتعلم له خلق كثير ونفع على
يديه حكما اجلاء وفلاسفة اذ كيا . ولم يحجر على هذه العلوم بل علمها لمستحقها
وظالبيها من يهود وروم وكنعانيين وغيرهم فانتشر علم الحكمة في الاقطار
وتوسع الناس فيه باختلاف الافهام واعتنى به الروم اعتناء فائق اعتناء من
سبقتهم ومنعوه من السفلة وجعلوه من خصائص البيوت الرفيعة ماعدا فن
الطب فانه لشرفه جعلوه من خصائص بيت الملك فلا يعلمونه الا لسلالة
الملوك وهذا الشدة حرصهم على اعزاز العلم وتعظيمه . وفي مدة حكم سليمان
بلغت مملكة فلسطين غايتها علما ومدنية وقوة وبعد انقضاء دوره عادت
الاسباط الى التحزب ودعوى الاختصاص ووقع بينهم التخاذل والتنافر
فاختلفت كلمتهم وتوزعت اهواؤهم حول الدعاة والمرشحين للمناصب العالية
والمهمتين بالانساب الشريفة فكان ذلك تهيدا للكلدانين الذين كانوا لهم
بالمرصاد ينتظرون هذا الاختلاف والاختلال ليحملوا عليهم حملة تبديد
وتشريد فلما تمكن التخاذل منهم وانحاز كل فريق الى رئيس معين سهل على
الكلدانين اشلائهم فهاجموا فلسطين وحملوا عليها حملة قوية ولم يكن هناك قوة
مجتمعة ولا عضوية ملتزمة فبددوا تلك المملكة العظيمة وقتلوا الرؤساء والعظماء

وساقوا الابناء والنساء سبياً واستعمروهم في الاعمال الحقيرة وتركوا الارض المقدسة خربة لاساكن فيها ثم اطلق سراحهم بعد ذلك فعادوا الى الارض المقدسة وقد انقسموا الى ثلاثة اقسام سامرة وهم الذين قالوا لا نعمل الا باسفار موسى الخمسة فان ماعداها من وضع الغيز وما هو الا تاريخ من التواريخ لم ينزل الله تعالى منه شيئاً على موسى فلا ينبغي ان نتعبد بما هو من قسم التاريخ وقرابين وموسوية وهذان يقولان باسفار موسى وغيرها ولكنها تختلفا في التهود واحكامه ثم ان السامرة قالوا ان بيت المقدس هو جبل نابلس المسمى غيبال وهو الذي افتدى فيه ابراهيم اسحق واسماعيل وقرب فيه آدم قربانه وهو قبلة كل اسرائيلي واليه حجه وعليه يعمل العيد والقسمان قالوا ان بيت المقدس هو ارض اورشليم ونابلس خارجة عن حدوده ومسجد سليمان هو البناء الكائن في غرب جبل الزيتون (طور زيتا) وبهذا الاختلاف وقع القتال بين السامرة وبقية الاقسام واستمر سنين حتى ان الموسوية لم يتمكنوا من بناء سور اورشليم الا باستعمال السلاح دفاعاً عن الفعلة والصناع مدة البناء ثم اختص السامرة بسكنى نابلس وجبالها الى سبطية وفيها كان كرسي ملكهم ولهم حروب متواصلة مع اليهود والفنيقيين ليس هذا محل ذكرها . ثم عادت سطوة الاحبار والانبياء بعد ذلك وكثر الاختلاف والمغالبة على الملك والدين وظهر كثير من المرشخين للملك بمصبيات اسسوها وجموع الفوها فانجلبت عرى قواهم التأسيسية والتحريكية واخذ الملك في الانحطاط وامتلات القلوب بالاحقاد والاضغان وقضوا على ذلك قرونا وهم بين قائم وقاعد وحرب وسلم حتى صارت البيوت والافخاذ في حكم القبائل المستقلة وقد رأى الكلدانيون

وعورة الطريق وجذب تلك الاراضي وصعوبة سكناها فاعرضوا عن محاربتهم
والحاقهم بملكهم البابلية وتركهم في هرج ومرج يقطع بعضهم بعضا وبيننا هم
في هذا التخاذل والتغالب وتوزيع الكلمة والاهواء اشرقت عليهم الانوار
اليسوية آتية من بطن مريم ابنة عمران بن ما ثان بن عازار بن ابي بور الى
آخر نسب سيدنا عيسى المتصل بدาวود المنتهي الى يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم فهو اسرائيلي العصبية من جهة امه

١٦ غ

انك ستلخص امر المسيح هنا كما لخصت امر موسى ونحن وانتم على خلاف
في شأنه فعلى اي الاعتقادين تمشي ثم لا بد لك من تحقيق شأن مريم على
اعتقادكم فاني احب الوقوف على ذلك لا قابل بين ما اسمعه منك وبين ما
نسمعه من قسوسنا مما ينسبونه اليكم فان الانسان لا ينبغي له ان يقطع بشي
الا بعد سماعه من اهله فان الناقل قد يحرف الكلم وقد يغير الموضوع لغرض من
اغراضه فكثيرا ما سمعت امورا قيحة عن المسلمين تنفر منها الطباع وعند ما
طفت الممالك الاسلامية وخالطت اهلها السنين الطويلة وعاشت الاعراب
الرحل في الاودية لم اجد شيئا مما سمعته وانا في بلادي فعلمت ان ذلك من
سياسة الروحانيين ليصرفوا القلوب عن محبتكم ويلقوا العداوة بيننا وبينكم
ويقبحوا بيننا ما انتم عليه من الاعتقاد خوفا من ميل النفوس اليكم او البحث
في دينكم الذي ربما اجر الباحث الى الاسلام اذا استحسنه فان الفكر اذا اطلق
وازدحم فيه المعاني وتشعبت امامه الادلة والبراهين ربما عدل عما تربي
عليه لانه اخذه باحتكاك افكاره في افكار غيره كما هو شأن العامة الآخذين

دينهم بلا بحث ولا استدلال ولكن هذه التموهيات لا تمنع ارباب الافكار الذين رسخت اقدامهم في الدين ان يحشوا في دين الغير للوقوف على حقائق الاشياء . وبما دلني على ان الحاصل من القسوس من باب التنفير وجود الملايين الكثيرة من النصارى واليهود في بلاد المسلمين وامتزاجهم بهم في السكنى والاسواق والمعاملات والتسوية بينهم في الاحكام حتى كان الفارق الديني غير موجود بينهم على انهم ربما فضلوا المصلح الشرقي على المسيحي الغربي للارتباط الحاصل بينهم ولما يعلمونه من سعي اوربا خلف الثروة لا تبالي افقرت مسلماً او مسيحياً شرفياً وما تشاغل في الشرق بعلة حماية المسيحي الشرقي الا من باب الحيلة والتلطف في الوسائل والا فان المسلم والمسيحي عند الاستيلاء عليها سواء . وكثيراً ما تذكرت مع اقباط مصر فيما بينهم وبين المسلمين من الروابط والعلاقات فما سمعت منهم الا مدحاً وثناءً ونفضيلاً للمسلم على المسيحي الاوروبي فاذا سألتهم عن العلة قالوا مضت علينا القرون الكثيرة ونحن على احسن ما يكون معهم من المخالطة والمعاملة وقد شاركناهم في معظم اعمال الحكومة وامتلاك الاطيان والعقار ولم يتعد احد علينا حتى انه ربما وجد في البلد واحد منا وقد بعدت عنه امثاله فلا يتعرض له احد بسوء بل ربما كان محترماً اكثر مما يكون بين اخوانه الاقباط فاذا تكلمت معهم عن اوربا واتحادها معهم في الدين وضرورة الالتجاء اليها نفروا مني وقالوا ان اهالي اوربا جنس يغايرنا لغة وطبعاً وعادة ولهم شغب بحب الاستبداد على الامم الشرقية وتحويل ثروتهم الى بلادهم فهم يحنقون كبل شرقي ويرونه ملحقاً بالبهيم سواء كان مسلماً او مسيحياً وبهذا نرى ان

وجودنا مع المسلمين وخضوعنا للسلطة الاسلامية احفظ لحقوقنا واموالنا
 وادعى لراحتنا فاننا قد جربناهم وجربهم آباؤنا واجدادنا فلم نجد الا لنا
 وحسن معايشة وان قيل اننا في بعض الازمان الناشئ من الظلم فان ذلك
 كان عاما فينا وفي المسلمين من الولاة الظلمة . ولم اجد ميالا لاوروبا الا
 افرادا قليلا جدا وكذلك عند ما سألت الارمن لم أر منهم الا حبهم للمسلمين
 ولم اسمع منهم الا الثناء عليهم والخط على بعض رجال منهم استخدمتهم روسيا
 وانكسرت لبث الفتن وايغار الصدور لمصلحتها الملكية لا للجامعة الدينية وكذلك
 نصارى الشام الذين لم يدخلوا مدارس الاجانب فانهم على وفاق تام بينهم
 وبين المسلمين وما يحدث بينهم الشغب والفتن الا اضلاع الدول المتخذون
 منهم واوتركوا وشأنهم ما تألم واحد من شيء لما يراه من التساوي والأمن
 على النفس والعرض والمال وكذلك كل ارض شرقية فيها مسيحيون فانهم
 لا يحركهم للفئة الا دسائسنا معاشر الاوروبيين فلماذا تيقنت ان عبارة القسوس
 غير صحيحة ولكنني احب الوقوف على الاعتقاد الصحيح عندكم فهاته بالايجاز
 فانه غير اجنبي مما نحن فيه

ش

نحن في هذا الباب لا نعتمد على مؤرخ ولا حكاية قاص بل نرجع الى
 القرآن العزيز فان كل ما تعرض له القرآن من الاخبار والقصص ناخذه بالتسليم
 والقبول لا اعتقادنا الجازم ان القرآن كلام الله تعالى فلا نزيد عليه شيئا
 ولا ننقص منه شيئا وكل قول خالف القرآن لانقباه ولا نعول عليه وبهذا
 تراني مقيدا لا يمكنني ان اجاريك فيما تعتقده نفاقا او تزلفا ولا يمكنني ان

اتقول على الله تعالى ما لم يقله فاسمع القصة على ما جاءنا بها القرآن ولا تكلفني البحث فيما تخالفني فيه من العقائد والاعتقادات فان كلامنا سيعرض على أناس مختلفي الدين فانا اقول ما عندي وانت تقول ما عندك ولولا الزامك ما فتحت هذا الباب . حاصل قصة مريم وابنها عليه السلام ان الله تعالى يقول انبياه محمد صلي الله تعالى عليه وسلم اذكر « اذ قالت امرأة عمران » هي حنة بنت فاقوذ زوجة عمران بن ماثان وكان معاصرا لكريا بن اذن وزوجه ابنته ايشاع اخت مريم وذلك انها اشتاقت الى الولد فقالت اللهم ان لك علي نذرا ان رزقتني ولدا ان اتصدق به على بيت المقدس وكان نذر مثل ذلك جائزا في شرع بني اسرائيل ولا يجوز في شرعنا وسألت الولد لان النساء لا تصلح لخدمة البيت لما يصيبها من الحيض والاذى وما في وجودهن في اماكن العبادة من الفتنة فلما حملت قالت « رب اني نذرت لك ما في بطني محررا » اي اني حررت اليك ما في بطني ذكرًا كان او انثى فانها لا تعلم ما هو فهو خالص لخدمتك ليكون من سدنة بيتك « فتقبل مني » فاني لا اريد الا رضاك « انك انت السميع » لتضرعي ودعائي وندائي « العظيم » بما في ضميري وقلبي ونيتي اذ لا يعلم ما في السرائر الا انت ونحكك « فلما وضعتها » رأتها انثى وكان نذرهم انما يقع على الذكور « قالت رب اني وضعتها انثى » فاخاف ان لا تقبل في الخدمة وترد علي بعد ان نذرتها وهي في بطني ولم تقل ذلك تجهيلاً لله تعالى بل على سبيل الاعتذار بدليل قوله تعالى « والله اعلم بما وضعت » فانه هو الذي كونها وخلقها وجعلها انثى فهو اعلم بها قبل ان تخلق « وليس الذكور كالانثى » فان الذكور يستمر على الخدمة لقوته وشدته وصبره على الاعمال

الشاقة ولا يلحقه عيب في الخدمة والاختلاط بالناس ولا يتهم بخلاطته الرجال
والانثى بخلاف ذلك ولكن الذكور كان مطلوبي وهذه الانثى هي موهوبتك
وليس ما اطلبه كالذي تهبه وقبل ولادتها توفي والدها عمران ولذلك سميتها
امها وقالت « واني سميتها مريم » لتكون عابدة خادمة لله تعالى « واني اعيدتها
بك وذريتها من الشيطان الرجيم » وذلك انها لما لم ترزق ولداً وجاءتها هذه البنت
تضرعت الى الله تعالى في حفظها من الشيطان الرجيم وجعلها من الصالحات
القائيات « فتقبلها ربها بقبول حسن » بان عصمها وعصم ولدها من مس الشيطان
ونزغها ولما وضعتها لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها بين ايدي
الرهبان ابناء هارون وقالت لهم خذوا هذه النذيرة فتنافسوا فيها لكونها بنت
امامهم عمران وكان بنوماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم فقال لهم زكريا
انا احق بها منكم فان عندي خالتها فقالوا لا نسلم فيها حتى نقترع فجاؤا الى
نهر فألقوا فيه اقلامهم التي يكتبون بها الوحي وانفقوا على ان من يرتفع قلمه
هو كفيلها فرسبت اقلامهم وارثع قلم زكريا ثم اعادوا الاقتراع مرة ثانية
وثالثة وفي كل مرة ترسب اقلامهم ويطفو قلم زكريا فرجعوا عنها « وكفلها
زكريا » اي تكفل بها بعد فطامها وجعلها في مكان خاص لتربيتها فيه وعبادتها
(كلما دخل عليها زكريا المحراب) وهو المكان المرتفع وكان زكريا قد بنى لها
غرفة في المسجد وجعل بابها في وسطه لا يصعد اليه انسان الا بسلم صيانة لها
وكان اذا خرج اغلق عليها الابواب (وجد عندها رزقاً) وكان دعا لها قبل
ذلك بان يبعث الله لها رزقاً يقوم بها فكان كلما رأى شيئاً عندها سألها و (قال
يا مريم اني لك هذا) اي من اين لك هذا خشية ان يكون جاءها به احد

(قالت هو من عند الله) فعند ذلك يطمئن ويعلم ان ذلك اجابة دعائه الذي دعاه لها وعند ما تمت صفاتها الكمالية (قالت الملائكة) والمراد بالملائكة هنا جبريل وانما جمع تعظيماً لشأنه واعظاما للامر القادم به «يا مريم ان الله اصطفاك» فظهر عليك أموراً حسنة خارقة للعادة وقد كفاك امر معيشتك فكانت تأتيك بلا كلفة ولا تعب «وطهرتك» فعصمتك من المعصية والكفر وحفظك من مسيس الرجال وانت بينهم وحسن اخلاقك فلم تصدر عنك الافعال الذميمة والعادات القبيحة (واصطفاك على نساء العالمين) المعاصرين لك فلم توجد في عصرك انثى تساويك في ذلك . ولم يلزم من تكليم الملك لها نبوتها عندنا فان النبي لا يكون الا رجلاً بدليل قوله تعالى (وما ارسلنا قبلك الا رجالاً نوحى اليهم) وانما نعد ما حصل لها كرامة اكرمها الله تعالى بها كما يكرم احد اوليائه بما يشاء اما كيفية خلق ولدها فقد عرفناه من آيتين قرآنيتين وكل منهما تخبرنا ان الله تعالى قال له كن فكان غاية الامر انه جاء من طريق غير معتاد في التولد ولكن ذلك لا يقدر فيه ولا يقف في فهمه الا غيبي او معاند . فان الشرعيين لا يكلفون انفسهم بالدليل على ما نص عليه الا لله الحكيم لا عنقادهم انه قادر على كل الممكنات فيعتقدون ان الله تعالى كما خلق آدم من غير اب ولا ام خلق سيدنا عيسى من ام بلا أب لكونه ممكناً . والفلاسفة قالوا ان بدن الانسان انما استعد لقبول النفس الناطقة التي تدبر بواسطة حصول المزاج المخصوص في ذلك البدن . وذلك المزاج انما جعل لا متزاج العناصر على قدر معين في مدة معينة فحصول اجزاء العناصر على ذلك القدر الذي يناسب البدن غير ممتنع وامتزاجها غير ممتنع فامتزاجها

يكون عند حدوث الديفية المزاجية واجباً وعند حدوث الكيفية المزاجية يكون تعلق النفس بذلك البدن واجباً فثبت ان حدوث الانسان على سبيل التولد معقول ممكن واذا كان الامر كذلك فحدوث الانسان لا عن الأب اولى بالجواز والامكان . ثم اننا نشاهد حدوث كثير من الحيوانات على سبيل التولد بواسطة التعفين وانفاق النسب ومرور الزمن الكافي لتخلق الحيوانات كما يرى في تخليق الفار والذباب والعقارب وغيرها واذا كان كذلك فتولد الولد لا عن الأب اولى ان لا يكون ممتنعاً . ولهذين الطريقتين الشرعي والفلسفي قطعنا بان سيدنا عيسى ولد من امه بلا واسطة اب ونزها امه بالتولد عن كل ما يرميها به الاعداء فان اعتقاد الفحش فيها كفر صريح عندنا لان الله تعالى برأها من كل عيب فقال في الآية الأولى « يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين » فاثبت ان البشارة اتت لمريم من الله تعالى على لسان الملائكة بغلام يكون بكلمة الله تعالى وخصه بالكلمة هنامع ان كل شيء لا يكون الا بكلمة الله كُنْ لانه خلق غريب في مجيئه من غير طريق التولد المعتاد فهو كائن بكلمة مبتدأة من الله تعالى وبهذا نعلم ان من هنا ابتدائية لا تبعيضية ونسبه اليها لتعلم انه عبد كائن بغير اب ولكن له ام تناسبه وتساويه في الماهية واخبر انه يكون وجيها في الدنيا مقبولا عند من يؤمن به في وقته معدوداً من المرسلين الذين هم اوجه وجهاء الخلق ووجيهاً كذلك في الآخرة اذ يأتي مع المرسلين بين يدي الله تعالى مسئولاً مثلهم فيكون آمناً كبقية اخوانه الانبياء عليهم الصلاة والسلام وانه من المقربين عند الله تعالى لكونه ممن اصطفاهم

على العالمين . ولا شك ان البشارة بمثل هذا الكلام سارة مفرحة ثم زادها
نفرحاً بقوله (ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين) اخبرها انها ستحمل
به ويتهمها بنو اسرائيل بما هي منه بريئة فينطق الله تعالى ولدها اظهاراً لبراءتها
وهو في مهد رضاعه ثم اذا كبر وصار شاباً كالم الناس كهلاً بما يوحى به اليه رب
العالمين وانه من الصالحين الذين لا يقتربون السيئات ولا يميلون الى الشهوات فلما
سمعت هذه البشارة من الملك ونظرت الى العادة فوجدت التواء حاصلًا بازدياد
الذكر والانشى (قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسنى بشر) اي انك تعلم اني
بكر ما تزوجت ولست بغياً حتى يحصل التنقيح من الرجال فيحصل الحمل فكيف
يكون ولد بعد تبتي وبعدى عن الرجال (قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً
فانما يقول له كن فيكون) اي انت ترين الامر بعيد الحصول ولكن الله تعالى
لا يتقيد بعادة ولا تحكم عليه طبيعة ولا تعاوقه الموانع الصناعية والقوانين
الكونية بل هو فاعل مختار يخلق ما يشاء على اي كيفية شاء من غير ان يعانى
تعباً او يرى معارضة او مانعاً فانه شأنه اذا قضى امراً من الامور الاعتيادية
او الخارقة للعادة فانما يقول له كن فيكون فاخبرها ان كل كائن انما يكون
بكلمة الله تعالى ولذا بشرها بكلمة تكون منه يتكون بسببها ولدها كما تتكون
اوائل الكائنات فاننا اذا رجعنا بكل جنس القهقري رأينا لكل كائن مبداً
كان مادة له وهذا المبدأ لم يكن قبله شيء يتكون منه وانما كونه الله تعالى
وابرزه من العدم الى الوجود بتقديره وقوله كن فاستوى عنده الامر العادي
والخارق للعادة لان قدرته مستوية بالنسبة الى جميع الكائنات . ثم زادها
تشويقاً للولد بوصف يبعث فيها التشوف له فقال « ويعلمه الكتاب » اي

الكتابة فلا يكون امياً « والحكمة » اي العلوم التهديبية ليخرج على خلق حسن محلي بالكمالات « والتوراة والانجيل » ونعانه . توراة موسى فلا يفتخر عليه بنو اسرائيل بشي . وليكون مجيئه متمماً لها ونعانه الانجيل اي الذي سيوحى اليه على لسان جبريل كما اوحى التوراة الى موسى ثم زاد البشارة بما يجعلها تهيم في طلب ما وعدها الله تعالى به فقال « ورسولاً الى بني اسرائيل » وسابعه رسولاً الى بني اسرائيل كما بعثت موسى وهارون فيخبرهم (اني قد جئتكم بآية من ربكم) اي بآية بعد آية من احياء الموتى ومداواة الائمة والابرض والاخبار عما ياكلون ويشربون ويفعلون في بيوتهم وبهذه البشارة العظيمة حصل عندها الشوق وانتست ووطنت نفسها على ما سيجعل لها ولذلك قال الفلاسفة ان التخيلات الذهنية كثيراً ما تكون اسباباً لحدوث الحوادث الكثيرة أليس ان تصور المنافي يوجب حصول كيفية الغضب ويوجب حصول السخونة الشديدة في البدن . أليس اللوح الطويل اذا كان موضوعاً على الارض قدر الانسان على المشي عليه ولو جعل كالقنطرة على وهدة لم يقدر على المشي عليه بل كلما مشى عليه يسقط وما ذاك الا ان تصور السقوط يوجب حصول السقوط وقد ذكروا في كتب الفلاسفة امثلة كثيرة لهذا الباب وجعلوها كالاصل في بيان جواز المعجزات والكرامات فما المانع من ان يقال انه لما تخيلت صورته عليه السلام كفى ذلك في علوق الولد في ريعها . وهذا يقولونه على سبيل التصور والجواز والافانثا لا نعتقد الا قول الله تعالى وقد اخبرنا انه اذا اراد شيئاً قال له كن فيكون وجذبت الوسائط او عدمت ولا تضطر للقول بتخيلاتنا الذهنية بعد اعتقادنا ان الله فاعل

واذا اعتقدنا انه تعالى فاعل مختار وان هذه الاكوان منشأته وخلقه علمنا انه قادر على خلق عيسى بلا واسطة اب كما قال تعالى « ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقة من تراب ثم قال له كن فيكون » اي ان صفة عيسى عند الله في تكوينه بغير اب كصفة آدم اذ خلقه وسواء من الظين والظين ليس فيه قوة قيامه بشراً سوياً كما ان ماء الام ليس كافياً في تكوين الجنين من غير الانفعال بماء الرجل فكما ان آدم لم تنبعث فيه الروح الا بكلمة الله تعالى التي هي كن فكذلك عيسى تم تكوينه وانبعثت الروح فيه بقوله تعالى كن . وقال في آية أخرى « انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه » فاخبر انه رسول من الرسل ليمنع الناس من الغلو فيه بما يخرجهم عن الحقيقة الانسانية ثم اخبر انه كون بكلمة منه وانه انما قام جسداً متحركاً بروح منبعث فيه من جانب الحق سبحانه وتعالى . وهناك آية أخرى ساق فيها قصة السيدة مريم وابنها ووقية اليهود فيها وتبرئة الله تعالى لها وتنزيهاها عما رموها به وبايرادها تتم قصتها ويعلم اعتقادنا الجازم فيها وفي ابنها ثم تأتي على قصته مع بني اسرائيل بعد ذلك قال تعالى « واذكر » يا محمد لاهل الكتاب وغيرهم « في الكتاب مريم » اي قصتها ليقف الناس على حقيقة امرها « اذ انتبذت من اهلها مكاناً شرقياً » اي تباعدت وانفردت عن اهلها المقيمين معها واقامت في مكان شرقي البيت « فاتخذت من دونهم حجاباً » اي فضربت بينها وبينهم ستراً وذلك لان الخائض في شريعة اليهود تعزل الناس وتتولى امرها بنفسها ولا يقرب منها احد والسيدة مريم كانت تعبد الله تعالى في محرابها وهي صغيرة فلما بلغت وجاءها الحيض اعتزلت مكان

العبادة واتخذت لها جهة نقيم فيها حتى تنتهي مدة الحيض فتظهر وتعود لمعرابها
« فإرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً » بعد أن طهرت من حيضها
أرسلنا إليها رسولنا الروحي الذي هو جبريل فتمثل لها في صورة بشرية
لتأنس به ولا تنزعج منه لأنها لا تطيق رؤية الملك على صورته النورانية
التي خلق بها لعدم تعودها على رؤية غير البشر . إنما قلنا إن الروح هنا هو
جبريل لأن القرآن عندنا يفسر بعضه بعضاً وقد قال الله تعالى خطاباً لنبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم « نزل به الروح الأمين على قلبك » فلم نقل أنه
جبريل لكان الروح الذي قام به جسد عيسى هو عين الروح الذي قام به
جسد محمد أو مثله وهو منقوض بمجيء سيدنا محمد من أبوين كبقية من
اكتنفتهم النواصيت فلماذا قلنا إنه جبريل ولا ينافي ذلك قوله وروح منه في
آية أخرى فقد جاء مثلاً في جانب سيدنا آدم إذ قال تعالى خطاباً للملائكة
« فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين » فالروح المنفوخ من
الله تعالى في آدم وعيسى هو النفس الناطقة لأن الإنسان مركب من جسد
ونفس والجسد مولد من الماء المتولد من الاخلاط التي لا بد في حصول
التسوية بينها وبين الأركان من رعاية مقدار مخصوص لكل واحد
منها ومن رعاية كيفية امتزاجها وتركباتها ومن رعاية المدة التي في
مثلاً حصل المزاج الذي لأجله يحصل الاستعداد لقبول النفس
الناطقية . وهناك فرقة حلوية نقول إن من للتبعيض وهذا يوم
إن الروح جزء من أجزاء الأله وهذا لا نقول به ولا نجوزه لأن
كل ماله جزء وكل فهو مركب ممكن الوجود لذاته وكل ممكن الوجود

لذاته حادث فتكون اجزاء الاله حادثه فيكون مركبه حادثا فيحتاج الى محدث
وكل محتاج الى محدث فهو مخلوق . والروح الذي تمثل للسيدة مريم في
صورة بشرية هو الروح الذي نزل بالقرآن على قلب سيدنا محمد صلى الله
تعالى عليه وسلم وهو جبريل . وهناك فريق من الناس يقول او جاز ان يظهر الملك
في صورة انسان معين فحينئذ لا يمكننا القطع بان هذا الشخص الذي اراه الآن
هو زيد الذي رأيت بالأمس لاحتمال ان الملك تمثل في صورته . ونحن نقول
له من اعترف بافتقار العالم الى الصانع المختار فقد قطع بكونه تعالى قادراً على
ان يخلق شخصاً آخر مثل فلان في خلقه وتخطيطه واذا جوزنا ذلك فقد
لزم الشك في ان فلاناً المشاهد الآن هو الذي شاهدناه بالأمس ام لا .
وكذلك من ينكر الصانع المختار ويسند الحوادث الى اتصالات الكواكب
وتشكلات الفلك او الطبيعيات يلزمه تجويز حصول اتصال غريب في
الافلاك يقتضي حدوث شخص مثل زيد في كل الامور فيكون التجويز
لازماً علي كل من الاقوال وهذه سفسطة وتجويز للفاعل المختار جل شأنه .
ثم قالوا انه جاء في الاخبار ان جبريل شخص عظيم جداً فكيف صار بدنه
في مقدار جثة الانسان هل كان ذلك بان تساقطت اجزاؤه وتفرقت بنيته
فحينئذ لا يبقى جبريل او بان تداخلت اجزاؤه وذلك يوجب تداخل
الاجزاء وهو محال . فقلنا بعد اعتبار جبريل روحانياً فلا استبعاد في ان
يتدرع تارة بالميكال العظيم ومرة بالميكال الصغير . واذا اعتبرناه جسمانياً
قطعنا بان خالقه على تلك الصورة العظيمة قادر على تصغيره وتكبيره فاصل
التجويز قائم في العقل فلا يمنعه وانما عرف فساد من طريق السمع وما جوز

العقل لا تدفعه هذه التخيلات الفاسدة التي تلزم كل انسان ان يشك في نفسه اهو الذي كان بالامس او في اللحظة الماضية ام غيره وقد اخذ فريق من ضعفاء العقول بهذه الاوهام وجعلوها مذهباً لهم مع وضوح فسادها لضعف الناس تصوُّراً وتعقلاً . فلما رأت السيدة مريم جبريل في الصورة البشرية « قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت نقياً » اي ان كان يرجى منك ان نتقي الله تعالى ويحصل ذلك بالاستعاذة به فاني عائدة به منك لانها علمت انه لا تؤثر الاستعاذة الا في التقي فلما قالت له ذلك « قال انما انا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً » فلما قال لها انا رسول ربك علمت انه غير فاجر ولا يريد بها سوءاً وتيقنت انه ملك من الملائكة الذين كان يخبرها عنهم زكرياء فانست وزال ما بها من الخوف وعلمت ان دخول مثله عليها في خلوتها لا يؤدي الى سوء ولا يمنع منه مانع . وقوله لاهب لك غلاماً نسب الهبة لنفسه لكون الامر جرى على يده او لكونه هو الذي نفخ في جيبها . وهنا سألنا سائل فقال لم لم تقولوا ان جبريل هو الذي كَوَّن عيسى بنفخه في جيب مريم وما الدليل على انه لا يقدر على تركيب الاجزاء وخلق الحياة والعقل والنطق فيها . فقلنا ان جبريل جسم والجسم لا يقدر على هذه الاشياء اما انه جسم فلا نه محدث وكل محدث اما متميز او قائم بالتميز . واما ان الجسم لا يقدر على هذه الاشياء فلا نه لو قدر جسم على ذلك لقدر عليه كل جسم لان الاجسام متماثلة . فقال لا نسلم ان كل محدث اما متميز او قائم به بل هناك موجودات قائمة بانفسها لا متميزة ولا قائمة بالتميز ولا يلزم من ذلك كونها امثالا لذات الله تعالى لان الاشتراك في الصفات الثبوتية لا يقتضي

التماثل فكيف في الصفات السلبية سلمنا كونه جسماً فلم قلتم الجسم لا يقدر عليه قوله الاجسام متماثلة قلنا نعني به انها متماثلة في كونها حاصلة في الاحياز ذاهبة في الجهات او نعني بها انها متماثلة في تمام ماهيتها والاول مسلم لكن حصولها في الاحياز صفات لتلك الذوات والاشتراك في الصفات لا يوجب الاشتراك في ماهيات الموصوفات سلمنا ان الاجسام متماثلة فلم لا يجوز ان يقال ان الله تعالى خص بعضها بهذه القدرة دون البعض على ان قولنا ان الاجسام متماثلة في كونها حاصلة في الاحياز او في تمام الماهية انما ذلك في المجهول المصنوع وذات الحق سبحانه وتعالى خارجة عن سلسلة الممكنات ويكفي في الرد كون الموجودات القائمة بنفسها مجعولة ممكنة لا قديمة واجبة لذاتها وبهذا نتحقق عجز جبريل عن خلق ذرة او شعرة في جسد فضلاً عن تكوين انسان كامل الشكل والصفات على انه لا يمكنه ان يحرك شيئاً من جسمه الا بقدرة الله تعالى وخلقه تلك الحركة فيه فانه عبد مصنوع ولذا قال لأهب لك غلاماً زكياً اي طاهراً من الذنوب منزهاً عن العيوب ينمو كما ينمو الزرع لظهارته وعناية الله تعالى به فلما سميت منه اسم الغلام وهي تعلم انها بكر لم يقربها بشر وقع الكلام عندها موقع الغربة والبعد «وقالت اني يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم اك بغياً» اي ان طريق الولادة في العادة حصول الولد من مباذعة الرجل للمرأة وانا لم يمسسني بشر بطريق التزوج حتى احمل منه واجبي بهذا الغلام الذي بشرتني به ولست بغيا اي فاجرة امكن الغير مني فآتي منه بهذا الغلام ولا طريق للحمل عادة الا بافتراش الزوج للمرأة او تمكينها الغير سفاحاً فكيف مع عدم اتصافي باحد الوصفين احمل وآتي بغلام زكي وهو تخيل عقلاً .

فان العادة اذا تمكنت واستمرت صارت في حكم الطبع وجوزت للعقل انكار ما خالفها وهي تعلم انها ما جاءت الا من هذا الطريق وكل من تراه من الانسان والحيوان لا يجي الا من هذا الطريق فلذا انكرت عليه خبره انكار غافلة تحب ان تستوثق من مخبرها ببيان طريق التكوين لا انها انكرت قدرة الله تعالى بهذا الاستفهام فلما سمع منها ذلك «قال كذلك قال ربك هو علي هين» اني ان ربك يقول هذا الامر وان كان غير متصور لك ولا معقولا عندك لمخالفة العادة فانه هين على الله تعالى لا يعالج فيه شيئاً ولا يعيبه احداث شيء بلا واسطة رأساً كما احدث اول الكائنات من غير مادة ولا توسط علة وانما الامر عنده كما قالت لك «الله يخلق ما يشاء اذا قضى امراً فانما يقول له كن فيكون» ثم قال تعالى «ولنجعله آية للناس ورحمة منا» اي ان الله ينكرون لما تنكرينه فمن وجود انسان بغير اب فلاخبارهم باي فاعل مختار فاعمل ما اشاء واخلق ما اشاء وانوع صور التكوين والتخليق على ما اشاء فجعل ابنك آية يبان الناس يعجبون منها فلا يؤمن بوجوده من غير اب فلهذا ربي وتكوينني له الا من ملأت قلبه ايمانا ولا نجعله رحمة اذ يدعو الناس لعبادتي وبلغهم ما ارسل به وما اوحى اليه من الشريعة الخاصة به فسماه رحمة كما سمي نبينا سيدنا محمد حيث قال «وما ارسلناك الا رحمة للعالمين» غير انه جعل سيدنا عيسى رحمة للناس فخصص وجعل سيدنا محمد ارحمة للعالمين فعمم وهذا من جملة اعتقادنا فلا تظنه من التعامل والاستخفاف فاننا نعتقد ان الاستخفاف بسيدنا عيسى او باي نبي من الانبياء كفر ضريح فلما اخبرها جبريل بذلك حزنت واغتمت لعلمها ان الناس اذا راوا سجداً لهموها وزموها بالسوء فان اخبرتهم الخبر كذبوها

وانكروا عليها اوقوهم عند العادة فقال لها جبريل قد تم هذا « وكان امراً مقضياً » اي ان هذا امر معلوم لعلم الله تعالى فيمتنع وقوع خلافه لانه لو لم يقع لا نقلب علم الله تعالى جهلاً وهو محال والمفضى الى المحال محال فخلافه محال فوقوعه واجب . وايضاً فلأن جميع الممكنات منتهية في سلسلة القضاء والقدر الى واجب الوجود والمنتهى الى الواجب انتهاءً واجباً يكون واجب الوجود واذا كان واجب الوجود فلا فائدة في الحزن والاسف (ولذلك قال نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب) وهذا الذي هوّن على السيدة مريم وجعلها تصبر لتضياء الله تعالى وقدره ثم نفخ جبريل في طوق قميصها لتأتنس بسبب من الاسباب لا تعلم ان تلك النفخة هي المكونة للولد فان المكون له هو الله تعالى « فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً » انما قلنا هنا انه نفخ في جيب قميصها لقوله تعالى في الآية الأخرى فنفخنا فيه من روحنا اي في عيسى كما قال في جانب آدم ونفخت فيه من روحي واقدم الكلام على ذلك فلما احست بالحمل خافت من بني اسرائيل فخرجت من بيت المقدس مع ابن عمها يوسف بن يعقوب النجار منطلقين الى مكان في اقصى صهيون وكان لا يوجد في عصرها من هو اشد منها عبادة واجتهاداً في طاعة الله تعالى فلما عرف يوسف انها حامل تحير وكلمها اراد ان يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها واذا اراد ان يبرئها رأى الذي ظهر في بطنها من الحمل فقال لها انه وقع في نفسي من امرك شيء وقد حرمت على كتمانها فغلبني ذلك فرأيت ان الكلام فيه اشفى لصدرى وادعى لترك الفكر فيه وتوارد الظنون عليه فقالت له قل قولاً جميلاً قال اخبريني يا مريم هل ينبت

زرع بغير بذر وهل تنبت شجرة من غير غيث وهل يكون ولد من
 غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله تعالى أنبت الزرع يوم خلقه أولاً
 من غير بذر وهذا البذر الذي يجعله مادة للنبات الآن انما حصل من الزرع
 الذي أنبته الله تعالى من غير بذر والا لزم تسلسل البذور الى مالا نهاية له
 وهذا محال فلا بد من اول لحدوثها وظهورها . ألم تعلم أن الله تعالى أنبت
 الشجرة من غير غيث وبقدرته جعل الغيث حياة للشجرة لا منبتا له بعدما
 خلق كل واحد منهما على حدته أو نقول أن الله تعالى لا يقدر على أن ينبت
 الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على أنباته . فقال يوسف لا أقول
 هذا ولكن أقول أن الله تعالى قادر على ما يشاء فيقول له كن فيكون فقالت
 له أوم تعلم أن الله تعالى خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا انثى فعند ذلك
 زالت التهمة عن قلبه وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف
 عليها بسبب الحمل وضيق القلب فلما دنا نفاسها وجاء شهر وضعها اوحى الله
 تعالى اليها بواسطة زكريا أن اخرجي من ارض قومك لئلا يقتلوا ولدك
 فاحتملها يوسف على حماره الى أن جاءت بيت لحم « فأجاءها المخاض الى جذع
 النخلة » اي الجأها الطلق وحضور وقت الولادة الى العذول عن السير فنزلت
 بجانب جذع نخلة بيت لحم بين اورشليم وحلحول وعانت ما تعانيه النساء حتى
 وضعته عليه السلام فلما رآته تذكرت شدة بني اسرائيل وما سيتهمونها
 بويرمونها به من قول السوء « فقالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً »
 مع علمها بان الذي جاءها وبشرها به هو ملك من عند الله تعالى ولكن غلبت
 عليها الطبيعة البشرية فظاشت افكارها عند ما وقع الامر وقد جرت عادة

العقلاء انهم اذا فجأهم امر خارق او طاري فزعوا به مع علمهم بإمكان حدوثه فاذا سكنت طباعهم المتوثرة بذلك الطاري تراجعوا الى ما هم فيه من الثبات وكذلك عادة الصالحين اذ طرأ عليهم امر عادي تمنى احدهم الزوال والموت قبل حدوثه فكيف بامر خارق للعادة مذهب لعقول العقلاء فما صدر من السيدة مريم لا يقدح في كمال عقلها ووفور قواها الفكرية ووثوقها بالله تعالى بل هو من ادل الدلائل على شدة ذكائها وتبصرها وقرأتها العواقب كيف وقد فجئت بامر حار فيه فريق عظيم من الناس وما خلا زمن من الازمان من عهد ولادته الى الآن الا وجاء الوجود الاول المولفة من الناس وهم في حيرة من شأنه وتضارب افكار بين مؤمن وكافر ومصدق ومكذب ومنزه وقادح فزعوا بامر اذهل هذه الجموع الكثيرة لا يقدح في قواها الفكرية ولا يزيد لها الا كمالاً واعتباراً بين العقلاء ومعلوم ان النساء العفيفات لا يتأمن من شيء مثل ما يتأمن من نسبتهم الى البغاء وهن بريئات منه واذا كن يتأمن من النسبة اليه فكيف اذا حصل حمل لامرأة وليس هناك زوج فهذه لا شك وان يشتد حزنها ويكثر همها لما تخشاه من الفضيحة والمعة اللاحقة بها وبقومها . والسيدة مريم اشتهرت بين قومها انها عذراء ما مسها رجل ولزمت المسجد متعبدة منقطعة الى الخدمة وليست من البيوت الوضيعة حتى لا تبالي بمحملها ووضعها مع عدم الزوج بل هي من البيوت الامراتلية الشريفة التي يخذش شرفها ويدنس مجدها اي عارض سي . وكان قد تكفلها زكريا وهو نبي محترم في قومه معظم بين معاصريه فهي محاطة باسوار المجد والشرف من جميع جهاتها

ومن كانت هذه حالتها اذا رأت انها وضعت غلاماً من غير ان يمسهها بشر وعلمت ان قومها سيرمونها بالريبة لكونها جاءت بولد من غير الطريق المعروف لا شك انها تحزن وتمتلئ غماً و« فناداها » جبريل او عيسى « من تحتها » من جهة اسفل من الربوة التي هي عليها ان كان المنادي جبريل او من بين فخذها ان كان المنادي عيسى وهو الظاهر لتحقيق البشارة من جبريل لها انها ستزق غلاماً زكياً يكون آية للناس فانطقه الله الذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره ليطمئن قلبها ويزول ما بها من هم وغم وتعلم انه آية دالة على قدرة الله تعالى سيكون له شأن عظيم وكان نداؤه « ان لا تحزني » اي لا يجرك الخوف من قومك الى الحزن ومن مخاطبته لها تعلم انه سيدافع عنها بنطقه وهو في سن الطفولية والرضاع وهذا الذي سرّها وازال ما بها من الخوف فان الخائف ربما قتله الخوف فقد اجاع قوم نعمة ثم جاؤا لها بالعلف واحضروا لها ذئباً فمنعها الخوف من الاكل فابعدوا الذئب عنها وكسروا رجلها وجاؤها بالعلف فاكلت ولم يمنعها الألم فالخوف اشد من آلام الامراض والجروح وهذا الذي رحم الله السيدة مريم منه فانطق ولدها عيسى ليزول عنها الخوف . ولما كانت في مكان قفر لا ماء فيه وعطشت عطشاً شديداً تذكرت المكان وجده بعد ما زال عنها الخوف فناداها ايضاً بقوله (قد جعل ربك تحتك سرياً) اي قد انبع الله لك عين ماء يجري منها جدول صغير تحت الربوة التي انت عليها لتشربي منه كلما عطشت . واذا جعت فميلي الى مكانك (وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً) وهذا الجذع اليابس اذا اخضر واثمر وطاب ثمره في وقت قريب حتى صار رطباً يجني

ويؤكل كل كان ذلك من الآيات المظمنة لك الدالة على قدرة الله تعالى الذي خلقك وززقك بهذا الغلام المبارك (فكلّي) من هذا الرطب الجنّي (واشربي) من ماء السريّ اي الجدول (وقرّ عيناً) اي لا تخافي من شيء مما تنوهمينه فان الله تعالى سيصرفهم عنك (فاما ترين من البشر احداً) ممن يحومون حول هذا المكان او من المارين من قومك وجاء ليكملك او يسألك عن شأنك (فقولي) له (اني نذرت للرحمن صوماً » اي امساكاً عن الكلام « فان اُكلم اليوم انسيا » وقد امرت بالصمت عن مجادلة السفهاء لان صون النفس عن السفهاء واجب واذل الناس واحقرهم سفيه لم يجد من يسافهه فانه لا يقطع لسان السفيه الا الصمت عنه ولأن الله تعالى سينطق ولدها في مهده ليجادل عنها بني اسرائيل عند طعنهم في عصمتها فامرت بالصمت لهاتين علتين ليكون ذلك ادل على شرفها وادفع لخصومها . وهذا وان كان خاصاً بالسيدة مريم الا انه عام في تعليم الادب ومحاسن الاخلاق ليلزم العقلاء الصمت اذا ابتلوا بمجادلة السفهاء واتهامهم بما ليس فيهم من العيوب . فالآية من الخالص المراد به العموم . ثم تحولت من بيت لحم مكان ولادتها « فانت به » اي بابنها عيسى « قومها تحمله » على كتفها فاجتمع بها القوم وجعلوا ينظرونها متعجبين من مجيئها بولد تحمله على كتفها وهم يعلمون انها ما تزوجت فلما ذهب بهم العجب كل مذهب « قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً » اي عظيماً منكراً لم يعهد في بيتك ولا كان يظن فيك « يا أخت هارون » نسبوها الى جدها الاعلى لاشتهارها بالصلاح الذي اشتهر به هارون كما يقال لمن يكون من قريش يا اخا قريش اي يا واحداً

منهم والوانهم نسبوها الى هارون اخيها وكان صالحاً كما كان ابواها بدليل قولهم «ما كان ابوك امراً سوء وما كانت امك بغياً» واذا كان ابوك صالحاً لم يقارف السيئات وامك عفيفة لم تبغ برجل غير زوجها واخوك صالحاً متعبدا فكيف صرت الى حالة تتخالفينهم فيها . والذم بهذه الصورة اقبح واشنع فان القادح لو قال لمن يذمه يا ابن الادنياء السفهاء الضالين كيف ضللت وفسقت لم يكن ذلك مساوياً لقول الآخر يا ابن الانقياء الصالحين وسلالة الانبياء والمرسلين واخا البررة الطاهرين كيف تركت سبيل قومك وخالفت سير آبائك وركبت من الفسوق والضلال ما دنست به مجد آبائك وهذا هو الطريق الذي التزمه بنو اسرائيل لزيادة تبيكت السيدة مريم البريئة من كل ريبة فلما رأت تعصبهم عليها وان كلامها لا يدفع عنها الريبة ولا يكون حجة على طهارتها مع رؤيتهم الولد على كتفها وعلمت ان ولدها كلها قبل ذلك حين ناداها من تحتها ايقنت ان لا يرهان اعظم من نطق طفل يدافع عن أمه (فاشارت اليه) اي اشارت اليهم ان كلوا ولدي هذا فانه يخبركم عن حقيقته فظنوا انها تسخر وتهزأ بهم وامتلاؤا غيظاً و(قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً) اي ان هذا طفل صغير لم يبلغ الكلام فكيف تعيلينا عليه وهو ليس اهلاً للكلام ولا يعقل الخطاب فلما سمع منهم سيدنا عيسى افتراءهم على والدته (قال اني عبد الله) اني عبد مخلوق لله تعالى مثلكم مكون من جسد مركب وروح محرك لاعضائي فلا ينكر تكويني الا من يشكر تكوين نفسه فان القادر على خلق الانسان من ماء ين بطريق التلقيح قادر على خلق انسان من ماء واحد هو ماء أمي التي لم تزن ولم تأب بفاحشة واذا جاز لله

تعالى ان يخلق الانسان من مادة ابوين ومن مادة واحد لكونه فاعلاً مختاراً غير مقيد بالقوانين العادية والوسائط الانفعالية وقد خاتمني من غير احتياج للتقيج بماء الاب فاذا عبد مخلوق مثلكم لا غرابة في تكويني ولا يرتاب في شأني الا جاهل بقدرة الله تعالى واقف عند الظواهر والمحسوسات فان اختراع المادة الاولى اصعب من اختراعي على صورة شاركت فيها نوعي الكثير العدد

غ

ان كثيراً من الطوائف يقوون بالحلول او بالاتحاد او بالتبني كفريق من البوذية والقائلين بالهية علي بن ابي طالب والحاكم الفاطمي وغيرهم والي وان كنت لا اجهل اعتقادي ولا انكر عليك اعتقادك الذي خالفتني فيه ولكنني اطلب منك ان تقدم لي شيئاً من براهينكم التي تتخذونها حجة على عدم جواز الاتحاد او الحلول فاني كثيراً ما اطالع في كتبكم وارى علماءكم يكفرون طوائف القول بالحلول والاتحاد من قدماء الهند والعرب والمحدثين بعد الاسلام فهات ما عندك من العقليات التي اشاركك في فهمها ويشاركنا فيها كل عاقل تجرد عن التعصب والتقليد بلا دليل

ش

تعلم ان لنا كلاماً طويلاً في هذا الباب لا يختص بطائفة معينة ولا يقوم مخصوصين وانما عند ما نتكلم على صفات الله تعالى نقرر تنزيهه عن النقائص ومخالفته لجميع خلقه فيدخل الكلام على استحالة الحلول والاتحاد ضمناً ونعلم ان جميع طوائف العالم ينزهون الاله عن الجسمية والتعيز ولهذا

يقول علماءنا ان الاتحاد لا يعقل لان الشيئين اذا اتحدا فيها حال الاتحاد اما ان يكونا موجودين او معدومين او يكون احدهما موجوداً والاخر معدوماً فان كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فالاتحاد باطل وان عدما وحصل ثالث فهو لا يكون اتحاداً بل يكون قولاً بعدم ذينك الشيئين وحصول شيء ثالث وان بقي احدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل ان يتحد بالوجود لا نه يستحيل ان يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر من هذا البرهان ان الاتحاد محال . وكذلك يقولون ان الحلول غير معقول ولا متصور بصورة من صور الادراك العقلي فان التصديق مسبوق بالتصور فلا بد من البحث عن ماهية الحلول حتى يمكننا ان نعلم انه هل يصح على الله تعالى او لا يصح وذكرنا للحلول تفسيرات ثلاثة احدها كون الشيء في غيره ككون ماء الورد في الورد والدهن في السمس والنفار في الفهم وهذا باطل لان هذا انما يصح لو كان الله تعالى جسماً وجميع الطوائف يقولون انه تعالى ليس بجسم . وثانيها حصوله في الشيء على مثال حصول اللون في الجسم فنقول المعقول من هذه التبعية حصول اللون في ذلك الحيز تبعاً لحصول محله فيه وهذا ايضاً انما يعقل في حق الاجسام لا في حق الله تعالى . وثالثها حصوله في الشيء على مثال حصول الصفات الاضافية للذوات فنقول هذا ايضاً باطل لان المعقول من هذه التبعية الاحتياج فلو كان الله تعالى في شيء بهذا المعنى لكان محتاجاً فيكون ممكناً فكان مفتقراً الى المؤثر وذلك محال . واذا ثبت انه لا يمكن تفسير هذا الحلول بمعنى ملخص يمكن اثباته في حق الله تعالى امتنع اثباته . وقد احتج علماء التوحيد على نفي الحلول مطلقاً بان قالوا لو حل الاله في جسم حل اما مع

وجوب ان يحل او مع جواز ان يحل والقسمان باطلان فالقول بالحلول باطل
وانما قلنا انه لا يجوز ان يحل مع وجوب ان يحل لان ذلك يقتضي اما حدوث
الله تعالى او قدم المحل وكلاهما باطلان لأننا دللنا على ان الله تعالى قديم وعلى
ان الجسم محدث ولانه لو حل مع وجوب ان يحل لكان محتاجاً الى المحل
والمحتاج الى الغير ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون واجباً لذاته وانما قلنا انه
لا يجوز ان يحل مع جواز ان يحل لانه لما كانت ذاته واجبة الوجود لذاته
وحلوله في المحل امر جائز والموصوف بالوجوب غير ما هو موصوف بالجواز
فيلزم ان يكون حلوله في المحل امراً زائداً على ذاته وذلك محال لوجهين .
احدهما ان حلوله في المحل لو كان زائداً على ذاته لكان حلول ذلك الزائد
في محله زائداً على ذاته ولزم التسلسل وهو محال . وثانيهما ان حلوله في ذلك
المحل لما كان زائداً على ذاته فاذا حل في محل وجب ان يحل فيه صفة
محدثة وذلك محال لانه لو كان قابلاً للعوادث لكانت تلك القابلية من
لوازم ذاته وكانت حاصلة ازلاً وذلك محال لان وجود الحوادث في الازل
محال فمحصول قابليتها وجب ان يكون ممتنع الحصول . فان قيل لم لا يجوز
ان يحل مع وجوب ان يحل لانه يلزم اما حدوث الحال او قدم المحل قلنا
لا نسلم وجوب احد الامرين ولم لا يجوز ان يقال ان ذاته تقتضي الحلول بشرط
وجود المحل ففي الازل ما وجد المحل فلم يوجد شرط هذا الوجوب فلا جرم
لم يجب الحلول وفيما لا يزال حصل هذا الشرط فلا جرم سلمنا انه يلزم
اما حدوث الحال او قدم المحل فلم لا يجوز قوله انا دللنا على حدوث الاجسام
قلنا لم لا يجوز ان يكون محله ليس بجسم ولكنه يكون عقلاً او نفساً او

هيولي على ما يثبت به بعضهم ودليلكم على حدوث الاجسام لا يقبل حدوث
 هذه الاشيا قوله ثانياً او حل مع وجوب ان يحل لذات محتاجاً الى
 المحل قلنا لا نسلم وجوب احد الامرين بل ههنا احتمالان آخران احدهما
 ان العلة وان امتنع انفكاكها عن المعلول لكنها لا تكون محتاجة الى المعلول
 فلم لا يجوز ان يقال ان ذاته غنية عن ذلك المحل ولكن ذاته توجب
 حلول نفسها في ذلك المعلول فيكون وجوب حلولها في ذلك المحل من
 معلولات ذاته وقد ثبت ان العلة وان استحال انفكاكها عن المعلول لكن ذلك
 لا يقتضي احتياجها الى المعلول . ثانيها ان يقال انه في ذاته يكون غنياً عن
 المحل وعن الحلول الا ان المحل يوجب لذاته صفة الحلول فالمفتقر الى المحل
 صفة من صفاته وهي حلوله في ذلك المحل فاما ذاته فلا . ولا يلزم من افتقار
 صفة من صفاته الاضافية الى الغير افتقار ذاته الى الغير وذلك لان جميع
 الصفات الاضافية الحاصلة له مثل كونه اولاً وآخراً ومقارناً ومؤثراً ومعلوماً
 ومذكوراً مما لا يتحقق الا عند حصول التحيز وكيف لا والاضافات لا بد في
 تحققها من امرين سلمنا ذلك فلم لا يجوز ان يحل مع جوزان يحل . قوله يلزم
 ان يكون حلوله فيه زائداً عليه ويلزم التسلسل قلنا حلوله في المحل لما كان
 جائزاً كان حلوله في المحل زائداً عليه اما كون ذلك الحلول حالاً في المحل
 امر واجب فلا يلزم ان يكون حلول الحلول زائداً عليه فلا يلزم التسلسل . قوله
 ثانياً يلزم ان يصير محل الحوادث قاناً لم يجوز ذلك . قوله يلزم ان يكون قابلاً
 للحوادث في الازل قلنا لاشك ان تمكنه من اليجاد ثابت له اما لذاته او لامر

ينتهي الى ذاته وكيف كان فيازم صحة كونه مؤثراً في الأزل فكل ما ذكر في
المؤثرية فنحن نذكره في القابلية . وجوابنا عن هذا كله ان نقرر هذه الدلالة
على وجه آخر بحيث تسقط عنها هذه الاسئلة فنقول ذاته اما ان تكون كافية
في اقتضاء هذا الحلول اولا تكون كافية في ذلك فان كان الاول احتمال
توقف ذلك الاقتضاء على حصول شرط فيعود ما قلنا انه يازم اما قدم المحل
او حدوث الحال . وان كان الثاني كان كونه مقتضياً لذلك الحلول امراً
زائداً على ذاته حادثاً فيه فعلى التقديرات كلها يازم من حدوث حلوله في
محل حدوث شيء فيه لكن يستحيل ان يكون قابلاً للحوادث والا يزم ان
يكون في الأزل قابلاً لها وهو محال . واما المعارضة بالتقدرة فغير واردة لانه
تعالى لذاته قادر على اليجاد في الأزل فهو قادر على اليجاد فيما لا يزال فهنا
لو كانت ذاته قابلة للحوادث لكانت في الأزل قابلة لها فحينئذ يازم المحال
المذكور . وايضاً فان اصحاب القول بالحلول وافقونا على ان ذاته تعالى لم
تحل في ناسوت عليّ او ناسوت اي شخص على رأي القرامطة او شخص معين
على رأي غيرهم بل قالوا ان الحال في الناسوت هي الكلمة والمراد من الكلمة
العلم فنقول العلم لما حل في ناسوت معين ففي تلك الحالة اما ان يقال انه بقي
في ذات الله تعالى او ما بقي فيها فان كان الاول ازم حصول الصفة الواحدة
في محايين وذلك غير معقول ولانه لو جاز ان يقال العلم الحاصل في ذات
فلان هو العلم الحاصل في ذات الله تعالى فلم لا يجوز في حق كل واحد ذلك
حتى يكون العلم الحاصل لكل واحد هو العلم الحاصل لذات الله تعالى . وان
كان الثاني ازم ان يقال ان الله تعالى لم يبق عالماً بعد حلول علمه في ذات

فلان وذلك مما لا يقوله عاقل . وايضاً فان الذات التي ادعى الحلول فيها لا تخلو اما ان تكون قديمة او محدثة والقول بالقدم باطل لانا نعلم بالضرورة ان صاحبها ولد وكان طفلاً ثم صار شاباً وكان يأكل ويشرب ويتغوط وينام ويمرض له ما يعرض لسائر الاجسام البشرية . وان كانت محدثة كانت مخلوقة فتكون حادثة فلا تكون محلاً لتقديم يغيرها . فان قيل معنى كون الذات الانسانية الها ان الله تعالى خص نفسه او بدنه بالقدرة على خلق الاجسام والتصرف في العالم . قلنا يلزم على ذلك انه لا يغلب ولا يقهره احد لا قدره على التصرف في العالم بما يشاء وجميع من ادعى عليهم بالحلول او الاتحاد او الالهية المفضة قتلوا فلو كانوا الهة لدفعوا عن انفسهم وارضوا لانفسهم المعجز ووقعهم في الالهانة وتساط احقر العبيد عليهم فعلياً قتله ابن ملجم والحاكم قتله حبيد اخته وغيره قتله قوم ضعفاء واوتبعنا المدعى عليهم هذه الدعوة شرقاً وغرباً اوجدنا كلاً منهم أصيب بما يكذب المدعين عليه ويثبت عبوديته المفضة ومساواته الحوادث في كل ما يعرض للانسان . لا يقال ان المدعى عليه رضي بذلك لنفسه على ان قاتليه خلقه وعبيده فانا نقول لو كانوا خلقه وعبيده لدفعهم عن نفسه فان دفعهم اسهل من خلقهم فاما لم يقدر على ذلك علمنا انه عبد مخلوق اوقعه ضعفه في يد من هو اقوى منه فوقع به وفتك ومثل وهو عاجز عن وقاية نفسه — وكما نحيل الحلول والاتحاد نحيل التعدد فنرد على المجوس القائلين بالثنوية وعلى من قال بقولهم باننا لو فرضنا موجودين يكون كل واحد منهما واجبا لذاته لكانا مشتركين في الوجوب الذاتي ومتباينين بالتعين وما به

المشاركة غير ما به المباينة فكل واحد منهما مركب من جزأين وكل مركب فهو ممكن وبهذا يعلم ان القول بان واجب الوجود اكثر من واحد ينفي القول بكونها واجبي الوجود . ثم انه لا يخلو اما ان يقوى احدهما على مخالفة الآخر اولا يقوى فان لم يقو عليه فهو ضعيف وان قوى فالآخران لم يقو على الدفع فهو ضعيف وان قوى عايه فالاول مغلوب فلا يكون الها .

ولو كان اله للغير واله للشر او هناك الهان يتبادلان الابدان والاعداد وحاول احدهما فعل شيء والاخر تركه امتنع كون احدهما اولى بالفعل من الثاني لان الفعل الواحد والترك الواحد لا يقبل القسمة اصلا ولا التفاوت واذا كان كذلك امتنع ان تكون القدرة على احدهما اكمل من القدرة على الثاني واذا ثبت هذا امتنع كون احدي القدرتين اولى بالتاثير من الثانية .

واذا ثبت هذا فاما ان يحصل مراد كل واحد منهما وهو محال اولا يحصل مراد كل منهما وهو محال اولا يحصل مراد واحدا منها البتة فحينئذ يكون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها فثبت ان كونها اثنين ينفي كون كل واحد منهما الها لانه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لانهاية له امتنع كون احدهما اقدر من الآخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة استعمال ان يصير مراد احدهما اولى بالوقوع من مراد الثاني والالزم ترجيح الممكن من غير مرجح . واذا وقع مراد احدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والذي لم يقع مراده يكون عاجزا والعجز نقص والنقص على الله تعالى محال . ولو فرضنا الهين فاما ان يتفقا او يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيازم وقوعه بهما وهو محال وان

اختلفا فاما ان يقع المراد ان اولاً يقع واحد منهما او يقع احدهما دون الآخر والكل محال . فان قيل لم لا يجوز ان يتفقا على الشيء الواحد ولا يلزم محذور لان المحذور انما يلزم لو اراد كل واحد منهما ان يوجد هو وهذا اختلاف اما اذا اراد كل واحد منهما ان يكون الموجد له احدهما بعينه فهناك لا يلزم وقوع مخلوق بين خالقين قلنا كونه موجداً له اما ان يكون نفس القدرة او الارادة او نفس ذلك الاثر او امراً ثالثاً فان كان الاول لزم الاشتراك في القدرة والارادة والاشتراك في الموجد . وان كان الثاني فليس وقوع ذلك الاثر بقدرة احدهما وارادته اولى من وقوعه بقدرة الثاني لان لكل واحد منها ارادة مستقلة بالتأثير . وان كان الثالث فذلك الثالث ان كان قديماً استحال كونه متعلق الارادة وان كان حادثاً فهو نفس الاثر . فاذا وقفت على حقيقة هذه الادلة عرفت ان جميع ما في هذا العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وتنزيهه عن المشيل والشريك والحوال والاتحاد فبطلان قول اللاتينية القائلين بل له حكيم يفعل الخيروا له سفيه يفعل الشر لامرية فيه وكذلك قول القائلين بما فوق الاثنين كعبدة الكواكب القائلين ان هذه الافلاك والكواكب اجسام واجبة الوجود لذواتها ويمتنع عليها العدم والفناء وهي المدبرة لاحوال هذا العالم السفلي وهؤلاء هم الدهرية والذي اداهم لهذا القول انهم رأوا تغيرات احوال هذا العالم الاسفل مربوطة بتغيرات احوال الكواكب فيحسب قرب الشمس وبعدها من سمت الرأس تحدث الفصول وبسبب حدوثها تحدث الاحوال المختلفة في هذا العالم ثم انهم رصدوا احوال سائر الكواكب فاعتقدوا ارتباط

السعادة والنحوس بكيفية وقوعها في طوابع الناس على احوال مختلفة فلما اعتقدوا ذلك غلب على ظنون اكثر الخلق السابقين ان مبدأ حدوث الحوادث في هذا العالم هوالاتصالات الفلكية والمناسبات الكوكبية فلما اعتقدوا ذلك بالغوا في تعظيمها ثم منهم من اعتقد انها واجبة الوجود لذواتها ومنهم من اعتقد حدوثها وكونها مخلوقة للاله الاكبر الا انهم قالوا انها وان كانت مخلوقة للاله الاكبر فانها هي المدبرة لاحوال هذا العالم . ثم انهم لما رأوا ان هذه الكواكب قد تعيب عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنماً من الجوهر المنسوب ثم عبدوا الاصنام وغرضهم من عبادتها عبادة الكواكب والتقرب اليها . فدين عبادة الاصنام اقدم دين في العالم وكانت فائدة الرسل ابطال تلك العقائد الفاسدة واقامة الادلة القاطعة على حدوث الكواكب واحتياجها الى مدير حافظ لحركتها مقدر لصورها واجرامها ومرا كزها وابعادها وثقاربها وتباعداتها واتصالاتها رابط لهذه العوارض بما ينشأ عنها في ذواتها وما تحتها من العوالم وبهذه الادلة ابطالوا كل قول يقول بالاثينية والتثليث او الكثرة واقاموا البراهين على وحدانية الله تعالى باعتبارين الاول ان ذاته العلية ليست مركبة من اجتماع امور كثيرة . والثاني انه ليس في الوجود ما يشاركه في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدا لوجود جميع الكائنات . والجوهر الفرد ان كان واحداً من حيث عدم تركبه من اجتماع امور كثيرة فليس واحداً من حيث عدم وجود ما يشاركه في كونه جوهرأ فرداً وليس هو مبدا للكائنات . وبرهان ثبوت الوحدة انه لو كان الاله مركباً لافتقر تحقيقه الى تحقق كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره فكل

مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره ممكن لذاته واجب لغيره فهو مركب فهو مفتقر الى غيره ممكن لذاته فما لا يكون كذلك استعمال ان يكون مركبا فاذا حقيقة الله تعالى حقيقة احدية فردية لا كثرة فيها بوجه من الوجوه والوحدة بهذا المعنى ليست خاصة بذات الحق لان الموجودات الممكنة اما مفردات او مركبات والمركب لا بد فيه من المفردات فثبت ان هناك مفردات في عالم الممكنات وانما الخاصة به وحدة عدم مشاركة غيره له في كونه واجب الوجود وفي كونه مبدءا لوجود جميع الكائنات فلا يشاركه في هذا النعت سواء . ولك ان نقول في اثبات وحدانيته تعالى انه تعالى واحد في ذاته لا قسم له . وواحد في صفاته لا شبيه له . وواحد في افعاله لا شريك له . اما انه واحد في ذاته فلان تلك الذات المخصوصة المشار اليها بقولنا هو الله تعالى اما ان تكون حاصلة في شخص آخر سواء اولا تكون فان كانت حاصلة في شخص آخر كان امتياز ذاته المعينة عن المعنى الآخر لا بد وان يكون بقيد زائد فيكون هو في نفسه مركبا بما به الاشتراك وما به الامتياز فيكون ممكنا معلولا مفتقرا وذلك محال . وان لم يكن كذلك ثبت انه واحد في ذاته لا قسم له . واما انه واحد في صفاته فلان موصوفيته سبحانه وتعالى بصفات متميزة عن موصوفية غيره بصفاته من خمسة وجوه الاول ان كل ماعداه لا يكون حصول صفاته له من نفسه بل من غيره والله تعالى يستحق حصول صفاته لنفسه لا لغيره . الثاني ان صفات غيره تعالى مختصة بزمان دون زمان لانها حادثة وصفات الله تعالى لا تختص بزمان لكونها قديمة . الثالث ان صفاته تعالى غير متناهية بحسب المتعلقات فان علمه متعلق بجميع المعلومات وقدرته متعلقة بجميع المقدورات بخلاف

صفات غيره فانها متناهية . الرابع ان موصوفية ذاته بتلك الصفات ليس بمعنى كونها حالة في ذاته ولا بمعنى كون ذاته محلاً لها ولا بمعنى كون ذاته مستكملة بها لان الذات كالمبدأ لتلك الصفات فلو كانت الذات مستكملة بالصفات لكان المبدأ ناقصاً لذاته مستكملاً بالممكن لذاته وهو محال بل ذاته مستكملة لذاته ومن لوازم الاستكمال الذاتي تحقق صفات الكمال معه . الخامس انه لا خبر عند العقول من كنه صفاته كما لا خبر عندها من كنه ذاته وذلك لانا لا نعرف من علمه الا انه الامر الذي لاجله ظهر الالحكام والالتقان في عالم المخلوقات فالمعلوم من علمه انه امر . لا ندري انه ما هو ولكن نعلم منه انه يلزم هذا الاثر المحسوس وكذلك القول في كونه قادراً وحياً . واما انه تعالى واحد في افعاله فظاهر لان الوجود اما واجب واما ممكن فالواجب هو هو والممكن ما عداه وكل ما كان ممكناً فانه يجوز ان لا يوجد مالم يتصل بالواجب ولا يختلف هذا الحكم باختلاف اقسام الممكنات سواء كان ملكاً او فلکاً او فعلاً للعباد او غير ذلك فثبت ان كل ما عداه تعالى فهو ملكه وتحت تصرفه وقهره وقدرته واستيلائه لا يشاركه في ذلك احد ولا يماثله ولا ينازعه ولا يتعاضى عليه اي ممكن كان في اي امر اراده منه والى هنا ينقطع الفكر عن البحث في ذاته تعالى لعدم الوصول الى ذلك فقد علمنا مغايرتها لكل من الممكنات وكل حادث في الفكر من التصورات الذهنية فانه ممكن والله تعالى واجب الوجود لذاته مغاير لهذه الممكنات المتصورة فلم يبق الا انه واحد لا يمثل ولا يحل في ذات ولا يتحد بذات ولا يدخل في اية دائرة من دوائر الممكنات لتنزعه عن المكان والتخيز وتحقيقه بحقيقة والحكم له واحد لا اله الا

هو لو كان معه آلهة كما نقولون اذا لا يتقوا الى ذي العرش سبيلاً . وجميع طوائف العالم تسعى بخلاف توحيد الله تعالى وتنزيهه عن مماثلة اي كائن من خلقه ويثبتون انه تعالى غير متميز ولا قائم بالتميز ولا يافتون لمن يقول ان هناك موجودات لا متميزة ولا قائمة بالتميز فتكون مثلاً لله تعالى لانه ثبت ان صانع العالم واجب الوجود لذاته فيستحيل وجود موجود آخر واجب لذاته والا لا مشترك في الوجوب وامتا كل واحد منها عن الآخر بخصوصيته وما به المشاركة غير ما به الممايزة فيكون كل واحد منها مركباً عما به المشاركة وعما به الممايزة وكل مركب ممكن مفتقر الى جزئه . ثم ان الجزأين ان كانا واجبيين كانا مشتركين في الوجوب ومتميزين باعتبار آخر فياظم تركب كل واحد منها ايضاً ويلزم التسلسل وهو محال وان لم يكونا واجبيين فالركب عنها المفتقر اليها اولى ان لا يكون واجباً فثبت ان واجب الوجود واحد وان كل ما عداه فهو ممكن وكل ممكن فلا بد له من مرجع وافتقاره الى المرجح اما حال عدمه او حال وجوده فان كان حال عدمه ثبت انه محدث وان كان حال وجوده فافتقار الموجود الى المؤثر اما حال حدوثه او حال بقائه والثاني باطل لانه يلزم ايجاد الموجود وهو محال فثبت ان الافتقار لا يحصل الا حال الحدوث وثبت ان كل ما سوى الله تعالى محدث سواء كان متميزاً او قائماً بالتميز او لا متميزاً ولا قائماً بالتميز واذا ثبت هذا استحال الحلول والاتحاد ذاتاً وصفة واستحالات البنوة والأبوة من باب اولى فان العقل لا يسلم بهما لاول سماعتهما من غير نظر ولا استدلال لان الولد اما ان يكون قديماً او محدثاً ولا يجوز ان يكون قديماً لان القديم يجب كونه واجب الوجود لذاته وما كان

واجب الوجود لذاته كان غنياً عن غيره فامتنع كونه ولداً لغيره فبقي انه لو كان ولداً لوجب كونه حادثاً فنقول انه تعالى عالم بجميع المعلومات فلما ان يعلم ان له في تحصيل الولد كمالاً ونفعاً او يعلم ان لا كمال فيه ولا نفع فان كان الاول فلا وقت يفرض ان الله تعالى خلق هذا الولد فيه الاً والداعي الى ايجاد هذا الولد كان حاصلاً قبل ذلك ومتى كان الداعي الى ايجاده حاصلاً قبله وجب حصول الولد قبل ذلك وهذا يوجب كون ذلك الولد ازلياً وهو محال . وان كان الثاني فقد ثبت انه تعالى عالم ليس له في تحصيله كمال خال ولا ازدياد مرتبة في الالهية واذا كان الامر كذلك وجب ان لا يحدثه البتة في وقت من الاوقات . وهناك ادلة اخرى يطول شرحها او هاها يحيل التبني على اية صورة فان الله تعالى خلق السموات والارض من غير سابقة مادة ولا مدة ولم يلزم من عدم توسط المادة في خلقها تبنيه لهما فكذلك كل ذات جاءت من طريق يخالف العادة فان نسبتها اليه كنسبة بقية المخلوقات . من حيث العبودية والافتقار اليه . هذا ما قاله علماءنا في هذا الباب وهو العقيدة الحققة عند المسلمين على اختلاف مذاهبهم واما من يدعون ان علياً إلهاً او ان الاله حل فيه او ان روح الله حلت فيه او ان الله اتحد به ومن يتولون بذلك في جانب الحاكم بأمر الله الفاطمي ومن يقولون بذلك من القرامطة وغيرهم فانهم ليسوا من المسلمين بل تكفروهم وان صلوا الى قبلتنا وتعبدوا بعبادتنا . واعتقاد المسلمين عامة ان سيدنا عيسى نبي ورسول يجب احترامه وتعظيمه وتنزيهه عن الكذب والخيانة والبلادة وكتمان شيء مما امره الله تعالى بتبليغه ويكفر من يسبه او يشتم قدره او يكذبه او يعتقد انه غير رسول فنعتيه

حكم نبيينا وبقية الانبياء في التعظيم والاحترام والايمان به ونعتقد ان الانجيل
الذي اوحاه الله تعالى اليه كتاب سماوي بلغه اليه جبريل كما بلغ التوراة
الى موسى والقرآن الى محمد عليهم الصلاة والسلام

١٧ غ

لي معلمك كلام في هذا المقام اقدمه اليك بعد ان تفرغ من هذا التأسيس
فهات الآن بقية خبر الدعوة العيسوية لنخاص الى الدعة المعمدية والتأصيل
العربي المقصود بالذات

ش

بعد ان خاطبهم المسيح عليه السلام بانه عبد الله تبرئة لاه له لزم حالة
الاطفال فلم يتكلم حتى بلغ السن الذي يتكلم فيه الطفل وقد اختلفت كلمة
بني اسرائيل فيه وفي امه فتارة يتهمونها بزكريا وتارة بيوسف بن يعقوب
النجار وكثر لغتهم وعلت كلمتهم وجاهر البعض بوجوب قتله والبعض بوجوب
قتل زكريا وبلغ الاختلاف بينهم مبلغا كبيرا قيل انه وصل ملكهم هيرودس
فعزم على قتله فاحمله يوسف النجار مع امه على اتان وقصد مصر خوفا عليه
من القتل وفي مصر تربى سيدنا عيسى حتى بلغ اثنتي عشرة سنة وظهرت له
بها ارهاصات لنبوته فكان في المكتب يخبر الصبيان بما يصنع اهلهم وبما
كانوا ياكلون وله قصص كثيرة في مصر مدة اقامته بها كقصص الصباغ
والتاجر وغيرها مما يطول سرده ولا ينكر مثله على الانبياء الاضعفاء العقول
ولما مات هيرودس خرجت به امه من مصر قاصدة سورية فما زالت تسير في
الاودية وتقر بالقرى الساحلية والناس تكرمها لكرامة ابنها وما يروونه منه من

العجائب حتى جاءت قرية الناصرة فنزلت بها واقام فيها سيدنا عيسى حتى بلغ الثلاثين من عمره فاوحى الله تعالى اليه ان يخرج ويدعو الناس الى عبادة الله تعالى وتوحيده فنادى بين الناس بالدعاء الى الحق واتباعه فيما جاء به من الشريعة وظهر من المعجزات خوارق بهرت العقول ودلت على صدقه فيما جاء به كداواة الاكمة والابرس والزمني فاحبه الناس واتبعه كثير منهم وحضر يوماً طعاماً عند عظيم فقعد يأكل من اناه ولا ينقص فقال له صاحب الدار من انت قال انا عيسى ابن مريم رسول الله فاتبعه مع نفر من قومه واتخذ له حوارين اثني عشر رجلاً فكانوا اذا جاءوا او عطشوا قالوا له قد جمعنا وعطشنا فيضرب يده الى الارض فيخرج لكل انسان منهم رغيفان وماء يشربون وقالوا له يوماً من افضل منا اذا شئنا الطعام اطعمتنا واذا شئنا الشراب سقينا فقال لهم افضل منكم من يأكل من كسب يده فصاروا يغسلون الثياب بالاجرة وكان من معجزاته انه صور صورة من الطين ثم نفخ فيها وسأل الله تعالى طيراتها فطارت وكان له صديق اسمه عازر فمرض فارسلت اخته الى عيسى ان عازر يموت فصار اليه وقد مات منذ ثلاثة ايام فأتى قبره ودعا الله تعالى فاحياه واحيا امرأة وعاشت واحيا سام بن نوح وعزير النبي وغيرهم فكانت عجائبه من فوق المدارك ومن وراء العقول ومن علم ان الله تعالى فاعل مختار وانه يؤيد رسله بما يشاء هان عليه فهم ما صدر من سيدنا عيسى فانه من قبيل دخول سيدنا ابراهيم النار وخروجه منها حياً ملتفاً بردائه لم يحترق له ثوب ولا عضو وضرب موسى البحر بعصاه وقلب العصا حية واليد بيضاً ونبع الماء من الحجر وانزال

المن والسلوى على قومه وخروج ذقة سيدنا صالح من الجبل وغير ذلك مما
 هو مسطور في الكتب من معجزات الانبياء التي كلها خوارق غاية ما في
 الباب ان الله تعالى ينوع المعجزات بحسب كل زمن وما غلب على اهله فيه
 وقد اخلص بي اتباع سيدنا عيسى وخدمته الحواريون سمعان . واخوه
 اندراوس . يعقوب . ويوحنا . وفيلبس . وبرتولوماوس . وتوما . ومتي .
 ويعقوب بن حلفا . وتداوس . وسمعان القناني . ويهوذا الاثخريوطي .
 وكان اجتماع يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) به بشاطىء الاردن من ارض
 اريحا فعنده هناك وانقطع سيدنا عيسى للعبادة والصلاة والرهبانية في برية
 اريحا وبظهور خبره وخبر اتباعه قبض هيردوس الصغير على يوحنا وقتله
 لانكاره عليه امره لا تجيزه الشريعة ودفن بارض نابلس ببلد يقال له سبسطية
 وبعض الناس يقول ان راسه بدمشق وزراعه ببيروت بمسجد هناك وجثته
 بسبسطية واشتهر ذلك بين الناس حتى صار له ثلاثة اضرحة في الاماكن
 الثلاثة . وبهذا ظهرت شريعته وانتشر خبرها في بني اسرائيل وجميع البلاد
 الشامية واخذ سيدنا عيسى يشرع الصلاة والصوم والقربات الى الله تعالى
 وبين الحلال والحرام ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويبلغ الناس ما
 ارسل به من احكام الانجيل فتبعه كثير من بني اسرائيل وخافه رؤساؤهم
 حرصاً على دينهم الذي يذهب بظهور دعوته الناصفة له فتآمروا عليه واختلفت
 آراؤهم فجمع سيدنا عيسى الحواريين فباتوا عنده ليلتين يطعمهم ويبالغ في
 خدمتهم بما استعظموه وقال لهم انما فعلت ذلك لتأسوا به ثم قال ليكفرون
 بي بعضكم قبل ان يصيح الديك ثلاثاً ويبيعني احدكم بثمن بخس

ثم افترقوا وكان بنو اسرائيل تتبعوا اثرهم ووقفوا لهم بالمرصاد
 ليقبضوا عليهم فمثروا بشمعون وهموا بقتله فتبرأ منهم وهذا الذي اشار اليه
 سيدنا عيسى انه يكفر به قبل ان يصبح الديك وبهذا تخلص شمعون من بني
 اسرائيل ثم جاءهم يهوذا الاسخريوطي وعامدهم على ان يدهم على مكان سيدنا
 عيسى ويسلمه اليهم بدراهم اشترطها عليهم وهذا الذي اخبر عنه سيدنا عيسى
 انه يبيعه بثمن بخس وياكل ثمنه وكان سيدنا عيسى اخبر الحواريين بانهم يشبهون
 لبني اسرائيل ولا ينالونه بسوء فلما دهم يهوذا على مكانه اخذوه وجاؤا به قائد
 القيصري الموجود وقالوا له هذا يفسد ديننا ويحل نواميسنا ويدعي الملك فاقبله
 ليبقى ديننا انا ويبقى الملك للقيصر مع ان سيدنا عيسى ما طلب الملك ولا
 تعرض للملك وانما جاءهم بدعوة حق كما جاءهم موسى ولكن جرت عادة
 الانسان ان يدافع عن معتقده وينكر على من يدعوه الى غيره باذى بدء
 فلذا اكبر الاسرائيليون امر سيدنا عيسى وانكروا عليه تغيير بعض احكام
 التوراة ونسخها بالانجيل وكانوا يظنون ان لا نبي بعد نبيهم موسى عليه
 السلام وعندما طلبوا من القائد قتله توقف فتوعدوه ببلاغ الامر الى القيصري
 فامر بقتله . وهنا وقع الخلاف بيننا وبينكم فمن نقول انه شبه لقاتليه واما
 ذاته فانما رفعت الى السماء وهو حي فيها وانتم تقولون انه صلب . ومعلوم اننا
 لا نختلف القرآن برأي ولا خبر راوي بل نعتقد صحته وصدق خبره في كل ما
 جاء به من القصص والاخبار وقد اخبرنا الله تعالى فيه بقوله « وما قتلوه وما
 صلبوه ولكن شبه لهم » فهذه الآية هي حجتنا ودليلنا فلذا قلنا انه بعد صلب
 الشبه جاءت السيدة مريم عند الخشبة تبكي فجاءها سيدنا عيسى وقال لها ما

بيبيك قالت ابكي عليك قال ان الله تعالى رفعني ولم يصبني شيء وهذا الذي تربته شيء شبه لم فقولي للحوار بين يلقوني بمكان كذا فاطمأنت وذهب ما بها من الحزن ثم انها دعت الحوار بين اليها واخبرتهم بما قاله وبالمكان الذي يريد ان يلقاهم فيه فانطلقوا اليه ورأوه بميوتهم وامرهم بتبليغ رسالته في النواحي التي عينها لكل واحد منهم قبل ذلك فتفرقوا عنه وذهب كل حوارى الى جهته يدعو الى دينه وقد لا قوا من الملوك ما هو مسطور في كتب التاريخ والطبيعيون ينكرون صعود الاجسام الثقيلة الى الجو واختراقها الافلاك لوقوفهم عند المحسوسات ونحن لا ننكر على الله تعالى رفع مثل سيدنا عيسى ولا اسراءه ^١ سيدنا محمد بعد علمنا ان الكواكب اجرام متحركة في مراكزها غير مرتكزة على شيء ولا معلقة بشيء فالذي رفعها وسيرها مع فرط فخامتها لا يعجزه رفع جسم صغير جداً بالنسبة اليها كيف ونحن نرى الاجرام الثقيلة ترتفع الى الجو بالبخار المخلوق لله تعالى فاذا وقع الشيء باثر من آثار الله تعالى كيف يمتنع وقوعه بامرهم ومشيتته لا يقف في ذلك الا من اضله الله تعالى وسلبه نور الهداية فبقي متخبطاً في ظلمات الغواية «ومن يضل الله فما له من هاد» والى هنا نعلم ان سيدنا عيسى استعمل الرفق في انتشار دعوته ولم يستعمل القوة لكونه رفع قبل ان تكون له عصبية تمنعه من اعدائه فان الحكيم لا يفعل العيب وسيدنا عيسى لما رأى عصبية قليلة جداً بالنسبة لاعدائه المنتشرين حوله الاخذين عليه كل مسلك رأى من العيب مقاومتهم بمن لا يشبهون امام هذه الجموع الكثيرة فلذا ترك دينه في ايدي الحوار بين يدعوون اليه حتى تكون عصبية تنادي به وتقاتل على نشره

وبشه في الاقطار وقد كان ذلك بهد امد غير بعيد من عهده كما سنأتي على بيان شيء من الحروب المسيحية التي كانت في رومة وارض فرانس وبريطانيا واسبانيا والمانيا والروس وغيرها مما اريقت فيها الدماء لانتشار الدين والدعوة اليه . وكان الحواريون وضعوا القوانين الشرعية وكتبوا الكتب التي يجب قبولها واعتقادها فعينوا من التوراة خمسة اسفار سيدنا موسى وكتاب يوشع بن نون وكتاب القضاة وكتاب راعوث وكتاب يهوذا واسفار الملوك وسفر بنيامين وسفر المقياسين وكتاب عزرا الامام وكتاب اشير وكتاب قصة هامان وكتاب ايوب ومزامير داود وكتب سليمان الخمسة ونبوءات الانبياء ستة عشر كتاباً وكتاب يشوع بن شارخ ومن الكتب الجديدة الانجيل الاربعة وسبع رسائل كاثوليكية واربع عشرة رسالة لبولس والايركسيس وهو كلام الرسل وقصصهم وبقي الامر كذلك والناس على ما قاله الحواريون قروناً حتى وقع الخلاف بين بعض الاساقفة في تأويل بعض عبارات الانجيل فحصل انشقاق وتمذهبت كل طائفة بمذهب وهذه عادة الناس في كل دين ان يجتمعوا على كلمة الداعي في اول الامر لا يؤولون منها شيئاً ولا يميلون الى الافهام والمدارك التي توجب الخلاف بالتأويل والاستنباطات فاذا طال العهد وانتشرت الدعوة وتبادل الناس الكلام فيها على اختلاف مداركهم ظهرت الاقوال المتغايرة والاحكام المستنبطة والفروع الراجعة الى الاصل بالتأويل او القياس . ومن هذا ما وقع من الخلاف بين اسكندروس بطريرك الاسكندرية وبين الاسقف اريوش وجماعة من الاساقفة معه فرفع اسكندروس امرهم الى قسطنطين ابن قسطنطين فجمعهم

اليه وتناظروا ثم قرأ رأي على عقد جمعية من الاساقفة فجمع قسطنطين
الفين وثلاثمائة واربعين اسقفاً ورأس عليهم اسكندر وس بطريرك اسكندرية
واسطانس بطريرك انطاكية ومقاريوس اسقف بيت المقدس وهذا اول
مجمع اجتمع فيه رؤساء الدين المسيحي للنظر في الخلاف وتوحيد الاجماع على
كلمة لا تتعداها الطوائف فبعد النظر والمناظرات والبحث في الانجيل وما
اختلف فيه الناس من عباراته المحتاجة للتأويل قرأهم على عقيدة كتبوها
وامضوا عليها ووقع اجماع الحاضرين على الاخذ بها ولعن من يزيد عليها
او ينقص منها ثم تفرق الاساقفة على اتحاد الكلمة ومنع الخلاف وفي العقيدة
التي قرروها النص على حشر الاجساد اذ قيل فيها عن سيدنا عيسى عليه
السلام وصعد الى السماء وجلس على عرش ابيه وهو مستعد للمجيء مرة اخرى
للقضاء بين الاحياء والاموات وفي آخرها قيل نؤمن بكذا وكذا وبقيام
ابداننا بالحياة الدائمة ابد الآبدين فهذا نص على البعث الاخروي وحشر
الاجسام وهو مقتضى العبادات في كل دين والايمان كان للعبادة والتوبة
والمغفرة معنى اذا كانت غاية الاجسام الفناء المحض ولا عود ولا بعث فان
دور الحياة الدنيوية ينتهي على اية حال يكون الانسان عليها من غنى او
فقر وعز او ذل وقوة او ضعف وصحة او مرض ورفعة او صنعة ولا دخل
للطاعة ولا للمعاصي فيها فاذا قلنا بغير البعث كانت العبادة عبثاً لا طائل
تحتها وكانت رسالة الرسل شبه لهو ولغو او قانون يضعه اي انسان اضطرت
ضرورة الوقائع والحوادث لا تغاذه ولا يقول بهذا الا من جذبته يد الشقاء
الى مهواة الشيطان فانكر الالهية والنبوة والرسالة بوقال ان هي الاحياء الدنيا

ثموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر

١٨ غ

نحن نعتقد في سيدنا عيسى غير ما تعتقدونه فهل تنكرون علينا ذلك
وهل ترون اننا محقون في اعتقادنا واذا لم تروا صحة معتقدنا فهل عليكم
حرج في معاشرتنا ومعاملتنا

بش

اما الانتكار عليكم فاننا امتنعنا من معارضتكم ومجادلتكم الا بالحسنى اذا
لم يورد الجدل الى الشبهة وكل مسيحي نزل في بلادنا واستوطنها معنا فاننا
لا نعارضه ولا نعترض عليه ولا نقبح اعماله الدينية ونعاشره معاشره الوطني
او شامله بالصدق والاخلاص بحيث يحرم علينا الشرع خيائته وغدره وسلب
شيء من ماله وهتك عرضه ويازمنا المحافظة على حياته . واما كونكم محقين او
غير محقين فلا يخفاك ان كل متمسك بدين يرى الحق معه فكما تنكر على
ديني انكر عالمك وانا وانت تنكر على بني اسرائيل والا فلا اعتقد ان من صحة
جميع الاديان ما وقع بينهم اختلاف . ونحن الآن في زمن امتنعت فيه المجادلات
الدينية وانصرفت فيه الافكار الى الامور الدنيوية اللهم الا ما يوجد عند
البروتستانت والجزويت والفرير من التعصب الديني فانهم لا يرجعون عن
طريق وجدوا فيه نجاح مساعيهم الدينية ولا يوجد في المسلمين من يتمسب
للائين مثلهم ولهذا ترى المسلم يمكنه ان يعاشر كل طائفة من طوائف العالم
وترى كل طائفة لا تعاشر المسلم الا للحاجة مع النفرة منه ومن هذا تعلم ان
المسلمين لا يتعرضون للمعتقدات المغايرة لدينهم فبلاد العرب والعراق والشام

ومصر والاناطول والغرب والهند والافغان ممتلئة بالطوائف التي تغالفنا ديناً وهم ممتعون باحسن ما يرجون من الامن والراحة والحرية التامة ولا يوجد ذلك في دولة من دول اوروبا وحسبك دليلاً على تعصبكم حكمكم على كل شرقي دخل بلادكم ان يفلح ما على رأسه مما اعتاد لبسه في بلاده ويلبس البرنيطة والافلو رآه الاطفال بعمامة او طربوش لجروا خلفه واذاقوه العذاب الاليم بخلاف الممالك الاسلامية فان الاوروبي ممتع فيها بكل ما يجب من عاداته واخلاقه . وليس ذلك لضعف المسلمين او لخوفهم فان هذه المعاملة الحسنة محفوظة لهم وهم في اعلى ما يكون من الملك وقوة الشوكة فلم يتعصبوا على احد نعصب اوروبا على المسلمين الآن وبالجملة فاننا لا نتعرض لاحد في معتقده مسيحياً كان او اسرائيلياً او غيرها والحال شاهدة بصدق ما اقول

١٩ غ

رأيت في جرائد هذا الاسبوع ان رجال البرلمان الانكليزي عزموا على المجادلة في المسئلة العرايية وقد اجتهد جماعة منهم في الحصول على اوراق وشهادات تختص بها ليعارضوا بها او يقوموا حجة مؤيدة بها فهل يلزمك شيء من تلك المناظرات لا ترجمه لك

ش

احب ان نترجم لي كل ما يختص بمصر فاني ساضع كتاباً في هذه المسئلة بما اعلمه من اصولها وفروعها من عهد المرحوم سعيد باشا الى الآن واريد ان اضم عليه الحقائق التي يعلمها الانكليز ليكون الكتاب كافلاً للمسئلة من جميع وجوهها خصوصاً الاخبار السرية التي لا تظهر الا في المجادلات فارجوكم

ان تعني بالترجمة اعثناءً تماماً بحيث تتبع الجرائد الانكليزية فلا يفوتك شيء منها واني شاكر لاهتمامك بي في هذه الحالة وخدمتك العالم معى خدمة عامة

٢٠ غ

يقال ان وزارة المستر غلادستون على وشك السقوط فهل ترى ان وزارة اللورد سالسبوري تعود بنفع على المصريين
ش

انت تعلم ان كلاً من غلادستون وسالسبوري انما يشغل لمصلحة بلاده فدعوى ان هذا حر وهذا محافظ انما هي لتأييد الاحزاب الوطنية التي بمبادئها الآراء والوظائف تثقوى اركان المملكة ويعظم نفوذها والافأية رابطة بين الانكليزي والمصري حتى يعطف عليه وهو يخالفه جنساً وديناً و لغةً ووطناً وتابعة . فاذا كانت الروابط منقطعة بينها كان تداخل الانكليزي في عمل المصري لمنفعة ذاته لا لمصر ولا لاهلها واذا تحققنا هذا فغلادستون وسالسبوري واضعف انكليزي عند المصريين سواء فان وجهة الجميع واحدة . وانت تعلم ان انكلترة دولة مالية اي تاجرة تحب ان تروج تجارتها في البلاد الشرقية وان تحجر على المحاصيل لتنفرد ببيعها وصنعها فهي تسعى في توسيع مستعمراتها وبما لكها بما تنقلب عليه من الممالك الشرقية توسيعاً لدائرة تجارتها وتنمية ثروة رجالها وهذا الذي علق الامة الانكليزية بدولتها حباً ومساعدة . ومع ذلك لا اقطع بعدم الفائدة الا بعد رؤية اعمالها في بلادنا فانها تقول انها تستصلح الادارات وتضع حكومة نظامية ثابتة فان ارادت بالحكومة حكومة تشبه الحكومة الهندية ايقتنا انها تسلب جميع الادارت من ايدي الوطنيين

عموماً والمسلمين خصوصاً وليس هذا مما يرجوه المصريون منها وإن ارادت أن ترشد أمراء المصريين لطرق نظامية أحسن مما كانت عليه البلاد قبل دخولها فهذا الذي ننظره وعسى أن نرى منها إصلاحاً فننسى تعديها علينا بحسن مساعيها. ومع ذلك لا يخلو وجود الانكليز بين المصريين من فائدة فأنهم كثيراً ما يسمعون عنهم أخباراً وحكايات بين مستحسنين ومستقبحين فبمباشرة المصريين لم يقفون على حقائقهم ويعرفون باعث تداخلهم في شؤونهم وأنهم يرجون أن تنتفع بهم البلاد وأن يكفينا الله تعالى شرورهم

٢١ غ

هل ترى في نفسك نشاطاً للتوجه معي إلى ابغاديثنا لنقيم هناك يومين أو ثلاثة من باب تغيير الهواء خصوصاً والست تحب أن تترك

ش

أما توجهي الآن فغير متيسر لا عندي من الأمراض التي تمنعني من تحمل مشاق الركوب وأما حضور الست فليس هناك مانع منه وإنما يلزمها أن تخفي ثياب بلدية فإن كان عندها ثوب وبرقع فيها وألا أعطيناك من هنا ثياباً وطنية وبرقعاً لتستر بها فإن مجيئها بشيائها الأفرنجية مع عدم سابقة لذلك مما يوجب توجه الانظار إليها وأعمال الأفكار في الباعث على التردد

٢٢ غ

الست لا تحضر إلا عند مجيئي من مصر فاني عازم على التوجه غدًا لقضاء بعض مصالح هناك فهل يلزمك شيء

ش

احب ان تسأل الشيخ الذي ذهبت اليه في المرة الأولى والأولى ان اعطيك كتاباً بخطي ليظمن ويثق بك ولا يرتاب منك فانه متى رأى خطي اخبر بما عنده من غير ان يتحاشى

الجواب : بعد العنوان

صديقكم المخبوء تحت استار الحفاء يقدم لحضرتكم ما يجب من النجوة ويسأل عن صحتكم وما انتم عليه من الاحوال . اما حالي فاني مقيم في بلد يخبركم عنه صاحب الشدة حامل هذا الكتاب وقد التزمت صرف اوقاتي في كتابة ما عساه ان يكون نافعا لاخواني ولم يصرفني سوء الاخبار عما تعده في من حب الخدمة العامة . غير اني مشوش الفكر بانقطاع اخبار والذي وشقيقي عني وانك وان افدت صاحبنا افادة كلية عن اهلي فاني ارجو ان تكتب لي ما تعلمه من شانهم واني اقسم عليك بالله العظيم ان لا تخفي عني شيئاً من خبرهم حتى لو كان احدهم توفي فلا تكتم خبره عني فاني لا يشغلني شيء سوى الفكر فيهم . اما ثقتي بالله تعالى فانها اكبر واعظم من خطوبي وكروبي ولذا تراني غير مكترث بما اراه في الجرائد من شدة البحث علي وتهديد من يؤويني واعطاء من يدل علي الفجنية لعلمي ان لا يقع الا ما يريد الله تعالى وان العبيد لا يمكنهم ان يحدثوا في الكون ذرة او يغيروا شيئاً من مراد الله تعالى فكل عوارضي الدنيوية التي تتوارد علي الى ماتي مقدرة ازلاً لا تقبل التغيير فالفكر في مستقبلها اي شيء هو من العبيثات وبهذا استرحت من اشتغال الفكر وتوارد الهواجس . كما الى

ارجوكم ان تنهروني عن اخواني وماتم لهم فاني لا اري في الجرائد الا شتائم
وتهويلا وانذارا وانغراء والحقائق مستورة عني بهذه الايهامات وان حدثت
نفسك بالحضور عندي فراجعها وقر مكانك فانك ربما اتبعت بمن يقف
على منتهى سفرك فقد علمت من كتاب بعض اخواني ان الحكومة هجست
بشك وفتشته فلا ينبغي ان تخاطر بنفسك فتضرها وتضرني معك . وان
خفت من الكتابة فاعتمد على خطي هذا وقل لصاحبنا ما عندك من الاخبار
من غير ان تخوف منه في شيء والسلام عليكم ورحمة الله

غ ٢٣

ارى قفطانك صار وسخا واحب ان آخذ مقياسك لافصل لك
قفطانين في مصر واحضرهما معي

ش

اشكرك على هذه العناية وها هو المقياس والاحسن ان تأخذ القفطان
الايض لتفصل عليه انما تكون الاكام طويلة كاكمام الفقهاء فرما اضطررنا
للمشي او للعود مع الناس فيرون لبس فقيه او عالم . وارجوك ان تفصل لي
لباسين فان البستي في صورة البنطلون ولها اربطة في الرجلين ولا يخفك
ان الفقهاء لا يلبسون مثلها فيكون ذلك محل الانتقاد والفكر في حقيقتي

غ ٢٤

هل تأذني ان اذهب الى اخيك الذي في الازهر لاساله عن الاحوال
واقف على ما عنده ايضا

ش

لا تكلف خاطرك بهذا فانه يبعث الي كتيبه عن طريق مأمونه وفي
كل اسبوع يكتب لي خلاصة الاخبار وجميع الجاري بمصر فانا انتفع به
احسن من كل انسان يكتبني خصوصاً وانه يتحرى في كتابته فلا يخبرني
الا بالحقائق والاخبار الموثوق بها فتراني انتظر كتيبه انتظاري للفرج جزاه الله
تعالى عني احسن الجزاء

غ ٢٥

بلغني انك طلبت منه كتيبا علمية فهل ارسلها او استحضرها لك معي شراء

ش

عندي من كتيبه تفسير ابي السعود للقرآن العظيم وقاموس الفيروز ابادي
والوافي وجغرافية المرحوم رفاعه بك ولا يلزمي الان كتب فاني ارى اننا
ربما انتقلنا من هذا المكان فتكون الكتب حملا ثقيلا معي وانما اذا مررت في
الكتيبة فاشتر متن ابي شجاع لاحفظه لتابعي وهو يساوي قرشا . ولا تنس
الدخان فان دخان طنطا غير موافق لي وكلما اشترينا دخانا من واحد وقلنا
انه جيد نراه كغيره وهذا كل ما يلزمي من مصر الان

غ ٢٦

كن بخير فاني ذاهب وساعود بعد ثلاثة ايام

ش

الحمد لله على السلامة كيف وجدت الاحوال في مصر

غ

رأيت الذين قبض عليهم ذهب أكثرهم الى منفاهم وبقي قليل منهم في المحاكمة ولكني رأيت الاجانب متخوفين من الانكليز وكل من كان له صاحب من المصريين بث في فكره ان انكلترة تريد ان تمتلك مصر ولكنها تحاول لذلك فلذا رأيت بعض المصريين ممن اعرفهم متكدرين بعد ان كانوا مسرورين وكلما سألت واحدا وجدت الفكر جاءه من اجنبي ولا يخفك ان الدول لها مصالح شتى في مصر فهي لا تحب ان يضع الانكليز الحماية على مصر فلماذا اخذوا ينفرون المصريين منهم خصوصا دولتنا الفرنسية فانها لا ترضى باقامة انكلترة في مصر ولكنها لتدرك خطأ وزارة غامبتا في عدم الاشتراك معها في ضرب الاسكندرية وليست مدغشقر مثل مصر حتى يعد توجهنا لها مثل توجه انكلترة لمصر فدولتنا لا يقر لها قرار ما دام الانكليز في مصر ولكنها لتتربص الفرص ولها امل في بعض جهات صينية تريد ان توجه اليها اساطيلها للاستيلاء عليها فهي تسكت عن الانكليز حتى يتم لها ذاك الغرض ثم تعود لما كسبته في مصر . اما صديقك فاني قاباته في خلوة مخصوصة واعطيته الجواب ففرح واطمان واوصاني عليك واخبرني ان والدك اقام في مركب استأجره نحو اربعين يوماً ثم عاد فسكن في بولاق مدة ثم سافر وهو الآن مقيم بناحية كنج عثمان بجوار كفر الدوار لعدم امكانه دخول اسكندرية الآن . واما شقيقك فانه حضر من التل الكبير فلم يجد احدا في البيت بل وجد الحكومة وضعت عليه حراسا فتوجه الى ضابط مصر واخبره انه اخوك فسجن اياما وخرج من السجن وتوجه جهة برية المندورة (المنظورة) الزعمه

ان اياه توجه الى اقاربكم الموجودين بالبرية ولكنه قاسى من الاهوال
اشدها وقد نفر منه اعز احبابكم واصدق اخوانكم فلو سلم على رجل ما
رد عليه السلام وضار يمشي وحيداً لا يكلم احداً ولا يكلمه احد حتى
جاء البرية ونزل عند ابن عم لكم يسمى محمداً ابا مصطفى واجتمع
عليه اقاربكم هناك ولما لم يجد والده استحسن ان يقيم عنده حتى تستقيم
صحته وتصلح حالته فعلم به بعض من عائلة شتا الشهيرة فاثار ابن عمه بعدم
اقامته واخرجه من ارض البرية لئلا يراه احد فيظن ان اخاه معه فتتم هذه
العائلة بايوائه وبعد مراجعة طويلة بعث ابن عمه الى ابن عم له آخر في برنبال
فحضر واخذه وتوجه به اليها فاقام عنده مدة وقد بعث اخاه ليبحث عن والده
فبعد البحث الشديد علم انه في كنج عثمان عند بنت اخت له فتوجه اليه
واجتمع بوالديه وبعد الاقامة بكنج عثمان مدة قاموا الى اسكندرية وهم الآن
بها غير ان اخاك منع من الخروج من اسكندرية باصر المحافظ اذ قد افترى عليه وعلى
بعض الوجهاء انهم اسسوا جمعية تسمى الجمعية الاعدامية فهم في كرب شديد
الآن بسبب غيبتك وما هم فيه من الحبر والتضييق وملازمة الجواسيس
(البوليس السري) للبيت فما خرج والدك لصلاة او لقضاء حاجة الا وتبعه واحد
ولا اشترى اشياء من احد الا سألوا البائع عنه واتهموه بانه يعرف مكانك وبهذا
التضييق اصبحوا في عناء عظيم فلو امرتني ان آتي بهم الى ابعاديتنا لارحناهم
من هذه الاتعاب والآلام وقد اكد علي صديقك المصري بعدم اخبار احد
عنك وان لا تثق بصاحب او صديق فان الناس تغيرت احوالهم واصبح يذمكم
من كان يمدحكم والعيون ناظرة اليك والبحث عليك شديد جداً واخبرني

ان صديقكم الازهري يتردد عليه وانها يتبادلان الكلام في شأنك ويجتهدان في الوقوف على ما عند الحكومة من شأنك ليخبراك بما يقفان عليه فتكون على علم وحذر . وهاهي الثياب التي خطناها لك ان شاء الله تكون لباس العافية

ش

باي لسان اقوم بشكر خدمتك لحبيس مثلي لا يستطيع ان يخرج لقضاء الحاجة الا بعد علمه بخلو المكان من ذي روح ولقد قلدتني منناً يحفظها لك التاريخ وزحزحت عني بعض ما اجده من جهة والدي وشقيقي وان كنت ازددت هماً على همي بما صاروا اليه من ضنك الحال والتضييق عليهم بما تركهم غرقى الاوهام والآلام والله تعالى يصرف عنهم ما هم فيه ويفرج كربهم بقدرته الباهرة . اما مجيئهم عندكم فغير ممكن الآن لتتبع الجواسيس اثرهم فر بما جاؤا خلفهم وتبعوك ايضاً في تنقلك حتى اذا راوك ترددت على هذا المحل وصلت اليه الشبهة خصوصاً وان الجواسيس من الادنياء الذين لا يسبق لذهنهم الا ما يجلب الشرور والضرر فانهم ابعد خلق الله تعالى عن الخير بل لا يهتدون الى طريقه فاولى ان لا نتعرض لنقلهم من اسكندرية ولا لحضور احد منهم الآن للزيارة حتى تسكن الافكار وتهدا الحركات . ولقد نصح صديقنا بأكيدة وتحذيره فاني اقرأ في الجرائد اخباراً غريبة وارى رسائل هجوم من كانوا يرون المدح فرضاً عليهم وارى شهادات مزورة مقدمة من اناس صورتهم صورة الامراء او الوجهاء وحقيقتهم حقيقة سفلة اغبياء ويعلم الله انهم ينسبون الي ما لم يخطر ببالهم فضلاً عن وقوعه مني وسأبين لك الحقائق عند التكلم على المسئلة المصرية لتتحقق كذب هؤلاء المنافقين والحكومة

العدر في قبولها هذه الشهادة ممن تراهم في مقام الاعتبار ظاهراً ولهذا شدد
صديقنا في اخفاء خبرنا عن كل انسان فجزاه الله عنا خير الجزاء

غ

اني متوجه الآن واعود غداً مع الست فاني جئت من الوابور الى بلدكم
قبل ان اذهب الى الابعادية ولكني اسألك بالله ان تريح افكارك وتترك الامور
لمولاك فاني ارى من حسن اعتقادك وتوكلك على الله ما يقضى بالتسليم
والرضا بالمقدور

ش

الامر كله لله وانا اعتقد اعتقاداً جازماً انه لا يقع في الكون شيء الا
بارادة الله تعالى وتقديره ويستحيل جلب ضرر على انسان لم يقدره الله تعالى
او دفع ضرر عن شخص قدره وقضاه واني مستسلم لقضائه تعالى وقدره راض
بافعاله المنزهة عن العيب موقن بانه ولي امرى وامرهم واسأله ان يلطف
بي وبهم وارجو ان تسلم على الست ولا تكلفها الحضور الا اذا رغبته
واستحضر معك جانباً من زهر الخطي الموجود ببستانكم لاصنع منه مغلياً لصدرى
حضرت الست اليوم وسلمت اليها اوراق المذاكرة من اولها لتراجعها
حتى يكون دخولها معنا في المناظرة على علم بما تقدمها ونشر اليها بحرف من
عند ايراد كلامها

٢٧ من

راجعت كلامكما ووقفت على مقاصدكما واريد ان نفرغ من خبر
سيدنا المسيح وندخل في سيرة نبيكم لتخلص منها الى المقصود فهات ملخص

ما صار بعد رفع سيدنا عيسى وما وعدت به من ذكر بعض الوقائع الدموية التي حصلت للدين ونسبته حتى لا تترك البحث محتاجاً للعودة اليه

ش

قدمنا انه جرت عادة امناء الرسل وخلفائهم ان يتتبعوا الرخص ويحافظوا على العزائم ويلاحظوا اخلاق الامم وما يناسب المكان والزمان فهم مع كل رسول يؤولون كتابه ويفسرون ما انبهم منه ويبينون ما غمض ويحلون ما اشكل واعضل ويفصلون الجمل ويطلقون المقيد ويقيدون المطلق ويعممون الخاص ويخصصون العام ويعرفون المنسوخ ويقيسون حوادثهم الحاضرة على ما ماثلها مما وقع في عهد رسلم او معاصريهم او قريبي العهد بهم رفقا بالام وتسهيلا للمعاملات وتوسيعا لدوائر المباح والجائز وتالياً للنفوس الالية راجعين بافكارهم ومباحثهم الى اصل الرسالة ومآل الدعوة وكتاب النبوة وقد يجتهد البعض في فرع او اصل فيظن الغير انه مخطن فتتحرك عليه جموع العلماء للمناظرة والنقض والابرام وعلى هذه القاعدة الجارية في كل امة وزمن ظهر اريوس بدعوته واجتهاده وعقد له المجمع الاول وبعد مضي مائتين وخمسين سنة من هذا المجمع ظهر مقدونيوس بدعوته وعقد له المجمع الثاني ثم ظهر نسطوريوس بدعوته وعقد له المجمع الثالث بعد الثاني باربعين سنة . ثم ظهر ديسقورس صاحب المذهب اليعقوبي وعقد له المجمع الرابع بعد الثالث باحدى وعشرين سنة . ثم عقد المجمع الخامس بعد الرابع بمائة وثلاثين سنة لابطال دعوى التناسخ . وكل هذه المجمع كانت لدفع شبه عن اصل العقيدة المسيحية او لرد تأويل او لتصحيح غلط محافظة على

ما قرره المجمع العلمي الاول وهذا الاجتماع هو المسمى عندنا معاشر المسلمين بالاجماع فان علماء الدين في كل امة متى اجتمعوا على امر وجب على الامة الاخذ به وعدم الخروج عنه . وبهذا الاجتهاد انقسم الدين المسيحي الى اقسام الكاثوليك والارثوذكس والاريسوي والماروني والنسطوري واليعقوبي وغيرها ثم ظهر القسم البروتستانت في القرن السادس عشر الميلادي وتفرعت منه مذاهب الكلويني واللاثرائي والانكليكاني والبرسبيرياني وغيرها ولكل من هذه الفروع شعب واغصان تدور مع الاصل الانجيلي حيثما دار وتختلف في تأويل او قياس . ولم يقصد واضعو المذاهب الا المقاصد الجلية ولكن وقوع كتبهم في ايدي من هم دونهم حزماً وادراكاً وعلماً وسياسة حملهم على القول بالتفاضل والاسبقية والارجحية فوضعوا رسائل بقدر مداركهم او غرت الصدور ونفرت النفوس وملأتها بما ليس من شؤون الدين وبهذه الرسائل يتنديء الآخذون بها بالمجادلات والمعارضات البرهانية متنقلين الى التأييب والتساب ثم لا يزالون يرتفعون درجة بعد درجة الى ان يصلوا درجة العدوان وارقة الدماء على فروع ترجع الى اصل واحد . وكما وقع هذا الخلاف طوائف بني اسرائيل في دماء واعدام وتخريب ايام دورهم الاول ووجود الاحكام بايديم . وكما جرى الدماء بين كنائس رومة وكنائس الروم حتى آل الامر الى استيلاء الروم على رومة واهانة كنيستها المقدسة وقتل بطارقتها ورهبانها بقسوة وغلظة كما سيأتي بيانه . وكما جرى الدماء بين السنيين والشيعة والخوارج من طوائف المسلمين وآل الامر لحرق الكتب وقتل العلماء والحكماء كما سيأتي تفصيله . وما سفك الدماء الغزيرة في الامم الثلاث الا رسائل التعصب

والخروج عن منهج الاديان القومية لانفس الاديان باعتبار ما صدرت به عن مهابطها .
ومعلوم ان سيدنا عيسى عليه السلام جمع اليه الحواريين قبل رفعه وقال لهم
« اذهبوا الى العالم اجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » ثم ارشدهم الى طريق
سابقه من اخوانه الانبياء باستعمال الرفق والتلطف في الدعوة والتساهل مع
المتعصب والمنكر ودفع المعارض بالحسنى ليكون ذلك ادعى للانتقام واقرب
لتأليف العصبية وتأسيسها فقال « من آمن واعتمد خلاص ومن لم يؤمن يدن »
وهذا شأن كل رسول جاء بدعوة تنسخ دعوة معاصريه يستعمل الرفق اولاً حتي
يكون العصبية التي بها يتمكن من حمل الناس على دعوته بالقوة وقد ارشدهم
لاستعمال القوة عند تمكن العصبية بآية السيف « لا تظنوا الي جئت لالقي
على الارض سلاماً ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً » فكان هذا الارشاد
الدرجة الثانية في نشر الدين بالقوة فانفتح لاتباعه باب التظاهر والقتال بعد
ان كان مغلقاً بآية « ومن لم يؤمن يدن » الآمرة باستعمال الرفق واللين
للمعاصرين على تعليم الانجيل وتفهم الامم معناه وما جاء به من الفوائد الدينية
والدنيوية فانه يدعو لعبادة الله تعالى وتوحيده وتأليف النفوس وتهذيب
الاخلاق ومواساة المعدم وحفظ الارواح والاعراض ويعرف انواع العبادة
الانجيلية ويعين درجات العاملين ودركات المخالفين الى غير ذلك مما هو
القاعدة المتبعة في جميع دعوات المرسلين . وعلى هذه الارشادات جرى
الحواريون ثم الرؤساء الآخذون عنهم وجابوا الاقطار داعين للانجيل
والعمل به مقتصرين على الدعوة مع الخشوع والخضوع والرفق في القول
والعمل عملاً بالآية الاولى وسعيًا في تأسيس العصبية حتى تم اجتماعها

وقويت اعضادها واتسع نطاق الدعوة فانبرى الاتباع والرؤساء في المتجاورات يدعون ويرشدون الى ان ظهرت مضادة قادة الامم وابوا عليهم الاخذ بدينهم فرجعوا الى آية السيف وحملوا الانجيل على اسنة الرماح ونادوا في اقطار عصبيتهم « المسيح حي . المسيح يملك . المسيح سلطان الارض » فانبعثت حمية الدين في النفوس وتحركت له الدماء وتداعت العصبية حول الرسل لبث دعوتهم بالقتال بعد ان كان الدين دين هدو وسلام فجنّدوا الجنود وعبوا الجيوش وامتزج الدين بالملك وابتدأت الفتوحات بالسيف والرمح حتى دخل الدين المسيحي ممالك اوروبا واقساماً من آسيا وافريقية ثم قاموا على مملكة بني اسرائيل فقوضوها ودكوا عروشها وبددوا شملهم وشتتوهم في اقسام الكرة الارضية وهم على اثرهم قتلاً وتشريداً حتى تم لهم من الظفر والانتصار ما تم ثم عاد الرؤساء الى النصح والارشاد وتهذيب النفوس ولكنهم مع صرفهم القرون الطويلة في بث الدين والتحذير من العدوان لم تذهب تعاليمهم القسوة التعصبية من اناس اشتغلوا بقتال من يخالفهم مذهباً وان اتفق معهم ديناً فحملوا السلاح باسم الدين بل باسم المذهب الخاص كما فعل كل من طائفتي الاستروغوط والمبرودية في ايطاليا اذ قاموا عليها بعد ان تربوا تحت احضان ساداتها ومزقوا ممالكها واستولوا عليها في القرن الخامس الميلادي بعد تخريب وتدمير وقتل وهتك ونهب تشمئز منه النفوس . وبينما هاتان الطائفتان تعيشان في سرادينا ونابلي وسيسليا (صقلية) خرجت قبائل شتى وطوائف عديدة من جرمانيا داعية الى المذهب مقاتلة عليه كالوندال والسكسون والسويوة والافرنجة فخرجوا من اقطارهم رافعين علم الدين الكاثوليكي وهاجموا ممالك

اوروبا وخرّبوا مدنها ودوخوا بلادها واعدموا الوف الوف من النفوس
وهتكوا واستباحوا ومثلوا ودكوا عروش ممالك كانت مشيدة قائمة على قواعد
متينة تدين بدينهم وتخالقهم في المذهب الفرعي ثم اسسوا لهم ممالك خاصة
بطوائفهم في فرانسوا وانكلترا واسبانيا والبرتغال وسويسرة باسم الدين ولاجله
ثم خرجت الطائفة التونيكية الجرمانية متعصبة للمذهب الكاثوليكي ايضاً
وهتكت حجاب الامن وهدمت سور الاجتماع الاوروبي بحروب زلزلت بها
الممالك قديمة وحديثة وبددت شمل الامم واستباححت الاموال والاعراض
واهانت المعابد ومجامع الاديان المخالفة لمذهبها وقتلت الرؤساء الدينيين
ومثلت بالبطارقة والاساقفة وفعلت من افعال التوحش ما لم يسبق له مثل
في العالم الهيجي ثم انزوت اخيراً في روسيا الشرقية وامست مملكتها
الحاضرة . وبعد هذو الحركات العدوانية زمناً انبرت طوائف اخرى مفضلة
القوة الادبية على القوة المادية وعقدت الجمعيات الدينية الخيرية وشت
القساوسة والرهبان في جميع الممالك وفي البلاد الهمجية الاهل باسم المرسلين
والمربين والعلمين وفتحت لهذا العمل الوفاً من المدارس طاوية مبادئها
الدينية في صحف التعليم فاتحة باب مدارسها لكل داخل على اي دين كان
لثلطف في نقله الى دينها او مذهبها الخاص : وقد ادركت الممالك المسيحية
مقاصد هذه الجمعيات فعضدتها وساعدتها في الاقطار الشرقية وايدت
سطوتها الدينية بالدفاع عنها وحمايتها ومدح مساعيها . وبهذا انتشر الدين
المسيحي في كثير من الاقطار ولولا ما اعترضه من هذه الخلافات المذهبية
والوقائع الدموية والتعصب الشديد والتقاعد عن نصره الجار لمخالفة المذهب

وانقذاع مواصلات الامم وتعمُّد الاسفار اذ ذاك لانتشر في جميع
اقطار الارض قبل الدعوة الاسلامية . ولكن جرت عادة التربية تحت
الاحضان وكبر العصبية المختلفة الجنس واللغة والوطن ان تظهر دعاة
ومتغلبين يريهم الدين وينقلهم من سكن الجبل الى حركة العلم فتعنيك
الافكار وتعلو وتسفل بقدر ما عليه اهلها من الاستعداد العقلي والتيقظ
الفطري حتى اذا مالت نفوسهم الى الاستقلال الملكي والعز الوطني والشرف
الجنسي والتعصب المذهبي تجزأ الكل وكبر الصغير وقوي الضعيف وساد
الوضيع وجرد سيف الدين مع سيف الملك وجال رب الاول جولة وحمل
صاحب الثاني حملة فتبيد ائام وتخرّب ممالك وتهتك اعراض وتسلب حقوق
ولا اغماد لهذين السيفين ما دام من الانسان اثنان وانما تتغير المطالب في
كل امة وتتنوع اشكال الحروب في كل زمن والباعث هو هو دين
وسياسة اذ ليس للانسان طريق اعدام في الغالب غيرها . وبينما طوائف
الروم والرومانيين في مغالبة على الملك ومقاتلة للدين اشرق عليهم النور
المحمدي آتياً من صاب عبدالله بن عبد المطالب بن هاشم بن عبد مناف الى
آخر نسبه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . وكان الدين
المسيحي لهذا العهد قد انتشر في جميع اور و باوفي مصر والشام وبلاد نجران
من بلاد العرب وبعض بلاد اليمامة وارمينية والحبشة وبقى الباقي من بلاد
العرب على الوثنية والفرس على المجوسية والهند كذلك والسودان على
الوحشية والغرب على المجوسية في معظمه والنصرانية في بعضه وكذلك
الصين واليابون وانا ما غيرها على ما كانوا عليه من الدين البوذي . وقد

دخلت أوروبا تحت التعاليم الدينية مدة ولم تفدها أكثر من دعوتها إلى
 الإيمان بالمسيح عليه السلام فلم يترتب عليها التفنن في العلوم ولا تأليف كتب
 نافعة ولا تعليم ما تدعو إليه الحضارة ويزيد المدنية كما حصل في الدين
 الإسلامي باعثناء علمائه وخلفائه كما سيأتي بل كانت التعاليم قاصرة على
 الأصول الكنيسية ولم تتعلق أوروبا بالعلوم العقلية من رياضية وطبيعية
 وفلكية وغيرها إلا بعد مخالطتها للمسلمين أيام المحاربات الفتوحية والمعام
 الصليبية حيث اعتنت بنقل الكتب وترجمتها ودراستها واشتغلت بالمعارف
 اشتغال جد واجتهاد حتى حيرت العالم بما هداها إليه العلم من الاختراع
 والابتداع وزينت الممالك بالمحسنات العمرانية وادهشت الناس بتفنها في
 الاختراع حتى لا يكاد يمر أسبوع إلا يسمع فيه بمخترع جديد ومصطنع
 مفيد . وكل هذا نتيجة الاختلاط بالمسلمين واحتكاك الأفكار في بعضها
 والتربية تحت الأحضان سنة الله في خلقه . وكان بنو إسرائيل لهذا العهد قد
 تفرقوا في الاقطار وتشتتوا في الممالك بما قاسوه من ذل الاستعباد وقهر السلطة
 والتعصب الديني الذي لم يزل يجري في عروق المسيحيين إلى الآن لا اعتقادهم
 أنهم هم الذين صلبوا المسيح عليه السلام وقتلوه كما لا يخفك وهذه عداوة لا
 يحوها كروار الأيام والليالي لتوالدها عن الاعتقاد الديني الجاري من ابن آدم
 مجرى الدم فكان بعضهم في بلاد العرب والبعض في أفريقيا والبعض في
 أوروبا منزويًا بين أهاليها ولا حاكم لهم ولا قوة مجتمعة ولا يفوض إليهم أمر من
 أمور الملك مهما كان اختلاطهم وارتباطهم بهم هم معهم من المسيحيين . ومن
 هذا يعلم أن سيدنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ولد وأربعة أخماس أهل

الارض على شركهم لم يدخلوا تحت قانون دين سماوي وقد ولد بين قوم
امين لا يقرؤون كتاباً ولا يعرفون سياسة ولا يجتمعون تحت رأي عام كل
قبيلة مستقلة بنفسها وربما كانت في القبيلة بطن او فخذ مستقلاً لا يخضع
لرئيس قبيلته والرحل منهم في الاودية والجبال اكثر من سكان القرى قد
توزعوا اهواء وتعددوا قبائل وتباينوا تديناً وتباعداً مسكناً وكل يرى انه
عظيم قومه وحكيم قبيلته لا اوتروه من الفصاحة والبلاغة والافتدال على
الكلام نثراً ونظماً كما سنيين اخلاقهم وعاداتهم واديانهم ومعاملتهم ان شاء الله
غ

ارى صاحبك الازهري قد حضر ولا بد ان يكون ذلك لامر غريب

ش

اظنه اتي للزيارة والافانك كنت عنده من عهد يومين . ونشير له
بحرفي سم لكونها نصف اسمه

سم بعد السلام والتحية

هل تأذنون لي بمراجعة محاورتكم لارى ما انتم عليه من المناظرة

ش

تفضل ولكن ليعلم الاستاذ الفاضل اننا الى الآن في مقدمة التأسيس
آخذين في تأصيل المسائل الدينية التي بني عليها الخلاف الجاري بين الناس
ولم ندخل في المقصود بعد لكون معرفة التأصيل ينبي عليها معرفة النتائج
التي اظهرتها تربية الاديان وتكوين عصبياتها بالتجاذب القلبي الذي لا يحله
الافساد العقيدة نعوذ بالله تعالى من ذلك

ان هذا التاصيل بديع واراكم . متبئين الاشياء بطريق التلخيص لا
بالاسهاب والتطويل وهو التزام حسن ليسهل تناوله وقراءته ولكنني رأيت
امراً اقدمه الاخ الشرقي مسنفهاً عن الحقيقة . عند كلامه على صخرة
بيت المقدس قال انها لسان من الجبل يتصل به من جهة الشمال فقط
فاما من جهة الجنوب وكذا من جهتي المشرق والمغرب فلم يتصل به بل
ثم فراغ وان نبي الله سايان عليه السلام بنى على تلك الصخرة قبة الخ
عبارة وقد حضرني ما ذكره الامام ابو بكر بن العربي رحمه الله تعالى
في شرح موطا الامام مالك رضى الله تعالى عنه فيما حكاه عن علي بن
برهان الدين الحلبي في كتابه انسان العيون في سيرة الامين المامون المعروف
بالسيرة الحلبية حيث قال « صخرة بيت المقدس من عجائب الله تعالى
فانها صخرة قائمة شعثاء في وسط المسجد الاقصى قد انقطعت من كل
جهة لا يمسكها الا الذي يمسك السماء ان تقع على الارض الا باذنه في
اعلاها من جهة الجنوب قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حين ركب
البراق وقد مالت من تلك الجهة لهيبته وفي الجهة الاخرى اصابع الملائكة
التي امسكتها لما مالت ومن تحتها المغارة التي انفصلت من كل جهة عنها
فهي معلقة ما بين السماء والارض وامتنعت لهيبتها من ان ادخل تحتها لاني
كنت اخاف ان تسقط علي بالذنوب ثم بعد مدة دخلتها فرايت العجب
العجاب ثم شي في جوانبها من كل جهة فتراها منفصلة عن الارض لا
يتصل بها من الارض شيء ولا بعض شيء وبعض الجهات اشد انفصالاً

من بعض قال وهذا الذي ذكره ابن العربي ان قدم صلى الله تعالى عليه وسلم اثرت في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وان الملائكة امسكتها لما مالت. قاله الحافظ ناصر الدين الدمشقي في معراجيه « فالت ترى ابن العربي بنى كلامه على العيان والمشاهدة فاكشف لنا حقيقة الحال وامط جلباب الاشكال عن هذا السؤال قبل ان اتم المناظرة قراءة ش

لا يخفك ان صاحب الاس الجليل اورد في هذه الصخرة اشياء كثيرة لم يصح شيء منها والذي قاله ابن العربي غير بعيد ان يكون معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فان المعجزات كلها خوارق للعادات ولعل ذلك كان لاول نظرة قبل ان نتصل بالجليل والا فانها قد مرت عليها القرون وهي على ما اخبر علماء الاخبار من كونها لسانا في الجبل بناء على هيئتها التي هي عليها (هنا ينبغي ان نقول بعد كتابة هذه الكلمات بسنين عثرت على الحكومة المصرية وابعدتني عن مصر الى الشام فتوجهت الى بيت المقدس وزرت الصخرة ودخلت مغارثها وصاليت فيها ركعات وقد رايتها قد بنيت جوانبها حتى استوت على المغارة مرتفعة عن الارض نحو متر ونصف ولكن الانسان عند وجوده تحتها يجد الجهة الشمالية لا فاصل بينها وبقية الجهات يبصر البناء الجديد فيها ويحتمل ان الفاصل بينها وبين الجهة الشمالية كان ضعيفا جدا حتى لم يظهر للرائي في بدء النظر بلا امان ولذا قيل انها لسان ملتصق بالجليل وقد رايت اثر قدم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الجهة الجنوبية وقد وضع عليه دولاب

يفتحه الخدمة ان جاء زائراً واذا ضربنا كل حائط ونحن تحتها نسمع رنيناً يعلم منه انفصالها عن الجبل ولكن هذا الرنين يضعف جدافي الجهة الشمالية فلعله لقرب المواجهة) ومن قول ابن العربي وبعض الجهات اشد انفصالاً عن بعض يعلم انه تأملها وحقق النظر فيها وان القائلين باتصالها لم يمعنوا النظر في الجهة المنفصلة فيها انفصالاً خفياً عمن يرى من بعد هذا تحقيق ما يقال في توجيه الكلامين على اننا متى تحققنا ان ارتفاعها كان معجزة لنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم سهل علينا كل شيء فان البناء المحيط بها لم يتبين منه البناء من الصخرة لاستوائه معها ومشابهته لها فربما كانت مرتفعة بهذا المقدار ثم بنى هذا البناء تحت جوانبها منماً لما عساه ان يحصل من تقوى بعض الناس عليها بالمشي فتسقط ويذهب هذا الاثر الخالد وقولنا ما قيل في الصخرة غير هذا فمن وضع القصاص المراد به مبالغتهم في ارتفاعها وطولها وعرضها ونسبة ذلك الى الحديث الشريف او مشاهير العلماء ترويحاً لا قاصيصهم وبالجملة فان البناء الموجود حولها الآن منع الناس من التحقيق والوقوف على الحقيقة وجعلهم يخوضون فيها بالظن والتخمين خصوصاً بعد علم الجميع ان بيت المقدس وقع في ايدي النصارى مدة قبل الاسلام ولما فتحه سيدنا عمر وجد الصخرة مردومة بالقمامات فزالها عنها ثم وقع بعد ذلك في ايديهم ايام الحروب الصليبية واستمر تحت تصرفهم مدة حتى اعاد المسلمون فتحه وفي مثل هذه الاحوال تقوى الظنون في عدم انفصالها عن الجبل او في انفصال الجهة الشمالية انفصالاً خفياً جداً لا يظهر الا بدقة التأمل والله اعلم بحقيقة الحال

الآن زال الاشكال باحالة رؤية ابن العربي على اول نظرة او على تدقيقه النظر في الجهة الخفية الانفصال ولم لم تذكر الحروب الاسرائيلية عند ذكر بني اسرائيل ولم تستقص الحروب المسيحية قبل الدخول على التأسيس العربي حتى تكون الوقائع معاومة لتحصل المقابلة بين الاديان الثلاثة

ش

قد اشترط علي الخواجا عدم الدخول في موضوع لم يعينه لي وهو لم يطلب ذلك ولعله آخر هذه الحروب وتفاصيلها الى وقت آخر

نعم انا لا أريد ذكرها الآن لئلا يطول التأصيل بما قامت به كتب التاريخ ونما الملخص الذي ذكره صديقنا الشرقي ضروري للمقابلة وعند دخولنا في السيرة العربية لا بد ان تضطرنا المواضيع لذكر بعض الحروب الاسلامية فيكون له حق المناظرة بينها وبين المسيحية والاسرائيلية اذ ذلك . والآن ندخل في السيرة الحمديّة وملخص الدعوة الاسلامية وما كان من العرب عند سماعها لنصل الى المقصود

ارى انه ان سرد القصة بنماها احتاج لوضع كتاب مستقل كبير وقد جمعت في كتب شتى تغنيه عن السرد والبيان وان ذكرها ملخصة مختصرة كان ذلك اوقع في النفس وابعد عن السأم والملالة

اننا بنينا مناظرتنا على الاختصار والتلخيص من اول الامر وهو لا يخرج
عن طريقة بنا. ولكني اسأل حضرتكم عن موجب الحضور هل طرأ هناك شيء

لم يكن هناك غير ما يسرنا جميعاً وما جئت لأزياره الاخ والاطمئنان
على صحته. ومعرفة حالة اقامته هنا وهل بقي الامر مستوراً كما اعهد ام اذيع
بين اهل الدار فنبحث على محل آخر ننقله اليه لئلا يفشو السر فتتطايير
الاخبار حتى تصل الحكومة فيقع ما لا نوده

ش

الامر على ما تعهد من الكتمان والتحرز من افشائه اذ لا يعلم الحقيقة الا
صاحب البيت ووالدته وقد اخبروا الشيخ خيلاً لانتبههم به فهو يأتي يحدثني
ويسامرني وقتاً بعد وقت وقد وجدت في حضوره راحة وانساً فاني كنت
اقضي اليوم قبل ذلك في كتابة او تلميم صالح شيئاً ينتفع به فلما جاء الخواجا
زالت الوحشة عني بالمرّة فصرت اجلس معه الوقت الذي يقيم عندي وبعد
قيامه استحضر الشيخ خيلاً فيؤانسني وهذه العناية رحمة من الله تعالى بي وانا
في هذه الحال الصعبة اسأل الله تعالى تفريجها بفضله جلّت قدرته واشيخ
خليل هذا هو مأذون البلد اي نائب الشرع فيها وله اخ اسمه الحاج شاذلي
استحضرته افتم خراج تحت ابطي فانه حلاق صحة البلد ولاهل البيت ثقة تامة
بهذه العائلة فتوافي في انس بحضور هذين الاخوين وقتاً بعد وقت وانظر
لصعوبة الامر وتعرضها للدخول عندي ثم انظر لكتمهما السر تعلم انها من
رجال الشدة الذين ملثوا همما ومروءة

٣١ غ

هات ملخص السيرة المحمدية لندخل على التاصيل العربي ولنكن
عبارتك سهلة لا تتجاوز وصف نبيكم واخلاقه وسيرته وما كان عند دعوته
من قومه ومن عاصروه وان كان ذلك مبسوطاً في كتب مطولة ولكنني احب
ان اسمعه منك مختصراً بحكم ايجاب المطالب ذلك لئلا تكون المسئلة الشرقية
مقنضبة اذا لم يدكر اصلها

ش

اوصاف نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم واوصاف نبيكم عليه الصلاة
والسلام وبقية الانبياء حافظ عليها العلماء لوقوف الامم على اوصافهم واخلاقهم
وسيرتهم ليمتدوا بهم فيما يجوز الاقتداء فيه وليعلموا من صفاتهم واخلاقهم ما
تهتدي به النفوس لمعرفة قدرهم وعلو شأنهم ولكون نبينا آخر الانبياء وقد
اعتنى اصحابه والعلماء من بعدهم بجمع صفاته واخلاقه وما كان عليه من الاحوال
فجاء ذلك في كتب مطولة تلخص منها انه صلى الله عليه وسلم ولد سنة ٥٧١
ميلادية في العام المسمى بعام الفيل من ابويه عبد الله بن عبد المطلب بن
هاشم بن عبد مناف بن قصي بن حكيم وآمنة بنت وهب بن عبد مناف بن
زهرة بن حكيم فاجتمع أمه مع ابيه في جده حكيم الذي كانت تلقبه العرب
بكلاب لكثرة صيده بها وقد ولد مختوناً مقطوع السر مكحول العينين ففما
مفهما يتلألاً وجهه تلاًؤ القمر ليلة البدر اطول من المربع واقصر من
المشذب اي البائن في الطول عظيم الهامة رجل الشعر اي كان شعره مشط
فتكسر قليلاً ليس بسبط ولا جعد ان انفرت عقيقته اي شعر رأسه فرقها

والا تركها معقوصة لا يجاوز شعره شحمة أذنيه اذا هو وفره . ازهر اللون اي
 نيره ليس بالابيض الامرق اي الناصع البياض ولا بالآدم اي الاسمر اللون
 اي انه ابيض فيه حمرة . واسع الجبين . ازج الحواجب الازج المقوس
 الطويل الوافر الشعر سوابغ من غير قرن اي من غير اتصال شعرها بينهما
 عرق يدره الغضب أقنى العينين اي سائل الانف مرتفع وسطه له نور يعلوه
 ويحسبه من لم يتأمله اشم اي طويل قصبة الانف . كث اللحية اي غزير
 شعرها تلاً صدره . ادعج العينين اي شديد سواد حدتيهما . انجل اشكل
 اي واسع العينين في بياضها حمرة اخدب الاشفار . مدور الوجه . سهل الخدين
 ضليع الفم اي واسعه . اشنب اي اسنانه في رونق وفيها تحزير كالسنان الشباب .
 مفلج الاسنان اي بين ثناياه فرق . دقيق السربة وهي خيط الشعر الذي بين الصدر
 والسرة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة . اذا افترضا حكا افتر عن مثل ثنا
 البرق وعن مثل حب الغمام . واذا تكلم زوحي كالنور يخرج من ثناياه .
 معتدل الخلق بادنا اي ذا لحم . لمتماسكا اي يمسك بعضه بعضا . ليس
 بالطم اي مسترخي اللحم ولا بالملكثم اي مجتمع اللحم الوجه . سواء البطن
 والصدر اي مستويهما . مسبح الصدر اي ليس فيه قعس واسعه . عظيم
 المنكين بعيد ما بينهما . ضخ الكراديس اي رؤس العظام . عبل العضدين
 والذراغين والاسافل اي ضخمها . رحب الراحة اي واسعتها . شثن الكفان
 والقدمين اي الخيمهما عظيمهما . سائل الاطراف اي طويل الاصابع . شبط
 العصب . تخضبان الاخمصين اي متجاقي اخمص القدم وهو الموضع الذي لا
 تناله الارض . مسبح القدمين اي املسهما ينو عنهما الماء . انور المنجرد اي ما

جرّد عنه الثياب من جسده يرى مشرقاً . موصول ما بين اللبة والسرة بشعر يجري كالخط . عاري الثديين اي من الشعر . اشعر الذراعين والمنكبين واعالي الصدر . طويل الزندين . اذا زال زال ثقلها اي يرفع رجلاه بقوة . ويمخطو تكفوؤا اي يميل الى سنن المشي وتقصده . ويمشي هوناً برفق ووقار ذريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صلب اي واسع الخطو اذا مشى يرفع رجلاه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية الخنثال . واذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الاسواق اي عالي الصوت ولا متزين بالتمش ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر كريم الخلق شديد الرأي وافر الحلم لباسه السكينة وشعاره البر وضميره التقوى ومقوله الحكمة وطبيعته الصدق والوفاء وخلقه العفو والمعروف وسيرته العدل وشريعته الحق وامامه المهدي وملته الاسلام استكمل الاوصاف الجبلية والكسبية من كمال خلقة وجمال صورته وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعندال حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه وقوة جاشه وتخلقه بالا خلاق العلية من الدين والحلم والعلم والصبر والشكر والعدل والصدق والزهد والتقوى والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والروءة والصمت والرفق والتؤدة والوقار والرحمة والرافة والنزاهة والحزم وقوة العزم وصدق الفراسة والبلاغة والحكمة والحذق والذكاء والفضل والمجد والسودد والشرف والامانة والفظانة وكل ما ينطوي تحت حسن الخلق الذي اخبرنا الله تعالى عنه في القرآن بقوله « وانك لعلی خلق عظیم » ثم هو ارجح الناس عقلاً

وافضلهم رأياً يعلم ذلك من تديره امر بواطن الخلق وظواهرهم وسياسته العامة والخاصة وما افاضه على العالم من العلوم وقرره من الشرع من غير تعلم سبق ولا تقدم ممارسة شيء من العلوم على معلم ولا مطالعة كتب ولا مخالطة اهل كتاب فقد بلغ في العلم الغاية القصوى كما يعلم من جوامع كلمه وحكم حديثه وقضايا احكامه واخباره عما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الحالية وايامها وضرب الامثال وسياسة الانام وتاصيل الآداب النفسية والشيم الحميدة والفنون التي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشارته حجة وهو النبي الامي المبعوث بين الاميين الذين لم يقرأوا كتاباً ولا جالسوا عالماً وذلك فضل الله كما قال «وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً» جمع الناس بعد النفرة والفت الله به بين قلوب مختلفة واهواء مشتتة وامم متفرقة وقبائل متباغضة . وكان قليل النوم قليل الغذاء لم يمتلئ جوفه شبعاً قط لا يسأل اهله طعاماً ولا يتشبهاه ان اطعموه اكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب يجلس للأكل مستوفزاً مقمياً ويقول انما انا عبد آكل كما يأكل العبد واجلس كما يجلس العبد . لم يبق جوده في يده شيئاً من المال فقد فتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما تاحها من اطراف الشام والعراق وجلبت اليه اخماسها وجزيتها وصدققتها وسيقت اليه الغنائم وهاداه بعض الملوك بالثحف وما استأثر بشيء من هذا ولا امسك منه درهماً ولا ديناراً بل صرفه في جهته واغنى به غيره وقوي به المسلمين وقال ما يسرني ان لي أحداً ذهباً بييت عندي منه دينار الا ديناراً ارصده لديني . وكان يلبس ما وجدته ويايس في الغالب

الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية الدهباج
المخوصة بالذهب ويرفع منها لمن لم يحضره . قد جبل على مكارم الاخلاق
بجود الهى وفضل رباني لا بمجاهدة ولا برضاة ومعاناة جوع وعطش فان
الانبياء فطروا على ذلك من غير تعلم ولا ممارسة كتب تشهد بذلك سيرته وسيرة
كل من سيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وسيدنا سليمان وسيدنا عيسى وسيدنا
يحيى عليهم الصلاة والسلام فان البعض منهم اوتي الحكمة والعلم وهو مراهق
والبعض اوتيا صبياً والبعض اوتيا في المهد فذواتهم مفطورة على توحيد الاله
بحيث لو لم يوح اليهم بشرع ما عصوه ولا مالوا الى المعصية . وقد كان عنده
من جودة الفطنة والاصابة وسدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن التدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وجلالة
المكانة وعظم الجاه وحسن الوقار وفخامة القدر وعلو الهمة وسدق العزيمة ونفوذ
الكلمة ما امتاز به بين الانام . وكان يؤلف الناس ولا ينفروهم ويكرم كريم
كل قوم ويؤايبه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن
احد منهم بشره ولا خلقه وينفق اصحابه ويعطي كل جلسائه نصيبهم بحيث
لا يحسب جلساه ان احدا اكرم عليه منه من جلسائه حاجة صابره حتى يكون
هو المنصرف عنه ومن سأل له حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قدوسم
الناس خلقه وبسطه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواة يقبل الهدية
ولو كراعا وبكافي عليها ويمازح اصحابه ويضحك مما يضحكون منه ويتعجب
مما يتعجبون منه ويخالطهم ويمجادهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره
ويجيب دعوة الحر والعبد والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة

ويقبل عذر المعتذر . ما اخذ احد بيده في رساها حتى يرسلها الآخر ولم يرمقها
 ركبتيه بين يدي جالس له . يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة
 ما روي قط ما دارجليه بين اصحابه يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه
 ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابي ويكنى اصحابه
 ويدعوهم باحب اسماءهم تكملة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى يتجوز
 فيقطعه بانتهاء او قيام ولا يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله
 عن حاجته فاذا فرغ عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسماً يكره نقل
 احاديث الناس اليه ونهى عن ذلك فقال لا يبلغني احد منكم عن احد من
 اصحابي شيئاً فاني احب ان اخرج اليكم وانا سليم الصدر . يصل ذوي رحمه
 من غير ان يؤثرهم على من هو احق منهم . يتواضع بين اصحابه تواضع احدهم
 لرفيقه وقد قدم عليهم يوماً متوكئاً على عصا فقاموا له فقال لا تقوموا كما
 تقوم الاعاجم يعظم بعضهم بعضاً . ويجلس حيث ما انتهى به المجلس . وفي
 بيته يكون في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف نعله
 ويخدم نفسه ويكنس البيت ويمقل البعير ويلف ناضجه وياكل مع الخادم
 ويعجن معها ويعمل بضائته من السوق . وكان اوقر الناس في مجلسه لا
 يكاد يخرج شيئاً من اطرافه كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة ويعرض
 عن تكلم بغير جميل . مجلسه مجلس حلم وعلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه
 الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اي لا يقضى اثرها اشاعة لها . اذا تكلم اطرق جلساؤه
 كان على رؤسهم الطير لا يحب التوسع في الماء كل والمشارب والفرش زهدا في الدنيا
 وزخرفها ولذائذها فما اكل على خوان ولا في سكرجة وهي الاناء الصغير

يوضع فيه الأدم ولا خبز له مرقق ولا شبع من خبز الشعير ثلاثة ايام تباعاً
حتى مضى لسبيله ولا بث شكوى لاحد ينام على فراش آدم اي جلد حشوه
ليف وربما نام على مسح اي كساء من شعر يثني له طاقين او على سرير مرمول
بشر يبط حتى يؤثر في جنبه . وكان خوفه من ربه على قدر علمه به تعالى
فكان يصلي حتى ترم قدماه ويصوم حتى يقولوا لا يفطر ويفطر حتى يقولوا
لا يصوم واذا قام بالليل للصلاة اطال القيام والسجود وسمع لجوفه ازيز كازيز
المرجل اي القدر . قد ابان طريقته المثلي في جوامع كلمه حيث قال
المعرفة رأس مالي والعقل اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر
الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا
غنيمتي والعجز فخري والزهد حرفتي واليقين قولي والصدق شفيعي والطاعة
حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وثرة فوادي في ذكره وغمي
لاجل امتي وشوقي الى ربي عز وجل . يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئاً
ليس بالجاني ولا الماين ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى ينتصر له
ولا يفضب لنفسه اذا اشار اشار بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا غضب
اعرض واذا فرح غض طرفه وما انتصر لنفسه قط من مظلمة ظلمها ما لم تكن
حرمة من حرمة الله تعالى . كان عليه برد غليظ الحاشية يوماً فجبذه اعرابي
جبذة شديدة حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي
على بعيري هذين من مال الله تعالى الذي عندك فانك لا تحمل لي من
مالك ولا من مال ابيك فسكت النبي ثم قال المال مال الله وانا عبده ويقاد
منك يا اعرابي ما فعلت بي قال الاعرابي لا فقال النبي لم قال الاعرابي

لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي ثم امر ان يحمل له على بعير شعير وعلى
 الاخر تمر . وتصدى لقتله غورث بن الحارث وهو نائم تحت شجرة وحيداً
 فانتبه والسيف بيد غورث وهو يقول له من يمينك مني يا محمد فقال النبي
 الله اي يميني الله فسقط السيف من يد غورث فاخذه النبي وقال من
 يمينك مني فقال غورث كن خيراً آخذ فتركه وعفا عنه . وصبر على معاناة
 قريش ومقاساة تعاملها واذى الجاهلية ومصابرة الشدائد الصعبة معهم الى ان
 اظفروه الله تعالى عليهم وحكمه فيهم وهم لا يشكون في استئصاله شأفتهم فما زاد
 على ان عفا وصفع يوم فتح مكة وقال ما نقولون اني فاعل بكم قالوا خيراً اخ
 كريم وابن اخ كريم فقال اقول كما قال اخي يوسف لا اثريب عليكم اليوم
 يغفر الله لكم اذهبوا فانتم الطلقاء . وكان اذا مشي مع اصحابه ساقهم امامه
 ومشى خلفهم فلا يتقدمهم كما يتقدم الملوك جنودهم وركب الحمار تواضعاً
 واردف خلفه انساناً تعالماً لمكارم الاخلاق وركب البغلة والخيل والابل وكان
 يجالس المرضى وذوي العاهات ويؤاكلهم ويسلم على الصبيان اذا لقيهم في
 طريقه ويكلم كل قبيلة بلغتها ويكتب الى ملوك العرب ورؤساء القبائل
 والاقبال بلغاتهم ويكرم الوفود على اي دين كانوا ويجادل بالحسنى وينظر
 مع ملاحظة الآداب . ويصمت عند تطاول السفهاء ويأمر بالمعروف وينهى عن
 المنكر . ادبه ربه تعالى بأداب القرآن فاوحى اليه قوله « خذ العفو وأمر بالعرف
 واعرض عن الجاهلين . وطالما ناصبته الجاهلية العداوة وتعرضت له بالاذي وقالت
 مرة كاهن ومرة شاعر ومرة ساحر وهو معرض عن سفاهتهم واقترائهم منتصب
 للدعوة الى الله تعالى لا يردده عدوانهم ولا يثبطه تحالفهم على رده ومعارضته

وكان أبوه صلى الله تعالى عليه وسلم اصغر اخوته وقد نذر جده عبد المطلب حين عارضته قريش واتبعته في حفره بشرزمزم لئن رزقه الله عشرة بنين يمنعونه من قريش لينفرن اخدم عند الكعبة لله تعالى فرزقه أباً طالب واسمه عبد مناف . والعباس . وعبد الله . والغيداق . وحمزة . والحارث . والزبير . وضاراً . والمقوم . وعبد العزى الملقب بأبي لهب . ورزقه من البنات عاتكة . وصفية . واروى . وام حكيم . وبرة . واميمة . وكان عبد الله وابو طالب والزبير وعبد الكعبة الملقب بالمقوم وعاتكة واميمة وبرة من ام واحدة هي فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمرو بن مخزوم بن بقطلة . فاراد عبد المطلب وفاة نذره فاخبر اولاده وامر كل واحد ان يكتب اسمه على قدح ثم جاء بهم صاحب القداح التي كانوا يضربونها عند كل امر ارادوه وقال له اضرب بقداح بني هؤلاء واخبره بنذره فضرب فخرج السهم على عبد الله فاخذ أبوه بيده فقامت قريش وقالت ما تريد من ابنك قال اذبحه وفاء بنذري فمنعته وقالت والله لا تفعل لئلا تكون سنة يأتي الرجل منا بابنه فيذبحه في نذره وذهبوا به الى كاهنة كانت بخيبر فذالت ارجعوا الى بلادكم واضربوا القداح عليه وعلى عشرة من الابل فان خرجت على الابل فانحروها او لا فزيدوها حتى تخرج القداح عليها فرجعوا وضربوا على عشرة فخرجت على عبد الله فما زالوا يزيدون عشرة بعد عشرة حتى بلغت مائة فضرب عبد المطلب على المائة ثلاث مرات وهي تخرج عليها فامر بنعريها وتخاية سيلها لكل جائع من انسان او سبع فلذلك يقال لبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ابن الذبيحين عبد الله واسماعيل فان معظم الامة يقول انه

الذي لا اسحق . وعبد المطلب هذا اسمه شيبه وامه سلمى بنت عمرو الخزرجية
 النخازية تزوجها هاشم بالمدينة وحملها الى مكة فلما حملت وقاربت الوضع
 عادت الى اهلها فولدته بالمدينة ومات ابوہ بغزة فبقى عند اخواله حتى ذهب
 عمه المطلب بن عبد مناف فأتى به يردفه خلفه فلما دخل مكة قيل له من
 هذا فقال عبد لي ثم البسه حلة واخرجه الى قريش وقال هذا ابن اخي هاشم
 فاشهر بعبد المطلب وكان لعبد المطلب السقاية والرفادة وهو الذي حفر بئر
 زمزم التي هي بئر اسمعيل عليه السلام وكانت جرهم قد دفتتها وعند ما
 اظهرها وحفرها جاءت قريش وقالت بئر ابينا اسمعيل فاشركنا معك فأبى
 عايمهم فحكموا كاهنة بني سعد بن هذيم وكانت بضواحي الشام فركبوا اليها
 وبيناهم في الطريق فرغ ماء جماعة عبد المطلب واشتد بهم الظما ولم تسقهم قريش
 فقال لهم عبد المطلب ليحفر كل منا حفرة حتى اذا مات احدا واراه اصحابه
 حتى يكون آخرنا موتا قد وارى جميع اصحابه فضيعة رجل واحد خير من
 ضيعة عشرة رجال فحفروا كما قل وبقيت قريش تشرب من ماءها ولا
 تسقيهم حتى مشى عبد المطلب يبحث على ماء فساخت قدم ناقته فنبع الماء
 وشرب قومه فقالت قريش الذي سقاك الماء في هذه الفلاة هو الذي سقاك
 زمزم هي لك بلا معارض ورجعوا ووجدوا في بئر زمزم خال حفرها غزالين
 من ذهب واسيافاً ودروعاً القتها جرهم فيها فارادت قريش مشاركته فقال
 نضرب عليها القداح فخرج الغزالان للكعبة والاسياف والدروع له فضرب
 الاسياف باباً للكعبة ونحلاه بالغزالين . وهو اول من تعبد بهراء
 فكان اذا جاء رمضان خرج اليه واطعم المساكن طول الشهر فوقه

وله مع ملك الحبشة القصة المشهورة عند ما جاء لحرب مكة في العام الثماني
بعام الفيل . وعبد المطلب هذا ابن هاشم وكان هاشم احد اخوة اربعة هو
والمطلب وعبد شمس ونوفل واسم هاشم عمرو وهو اول من هشم الثريد
لقومه واطعم اهل مكة وكانت له السقاية والرفادة فحسده امية بن عبد شمس
على سيادته واطعمه الطعام وناقره فتحاكما الى الكاهن الخزاعي بعسفان على
خمسین ناقة والجللاء عن مكة عشر سنين فقتل الكاهن لهاشم فاخذ الابل
ونحرها واطعمها الناس ورحل امية الى الشام عشر سنين فكانت اول عداوة بين
هاشم وامية . وابوه عبد مناف اسمه المغيرة وهو الذي عقد الحلف بين
قريش والاحابيش وكان جميلاً جداً وهو احد اربعة اخوة هو وعبد الدار وعبد
العزيز وعبد بن قصي . وابوه قصي اسمه زيد وسمي قصياً لان امه
تزوجت غير ابيه وهو صغير فانتقلت به الى بلاد عذرة مقر زوجها ربيعة
بن حرام فلما كبر ناقره قضاعي وعيره بالغريرة فرجع الى امه فاخبرته بنسبه
وشرف قومه فانتظر حتى جاء الشهر الحرام وخرج مع الحاج حتى اتى مكة
واقام مع اخيه زهرة ثم خطب من حليل بن حبشية الخزاعي ابنته حبي فزوجه
اياها وكان حليل والي البيت الحرام فاوصى بولايته لابنته فقالت اني لا
اقدر على فتح الباب واغلاقه فجعلها لابنه المحترش الملقب بابي غبشان فاشترى
قصي منه الولاية فلما رأت خزاعة ذلك تكاثروا على قصي فاستنصر اخاه
لامه رزاح بن ربيعة فحضر مع اخوته ومن جاء معهم من قضاعة وتهيأ بنو
النضر مع قصي ووقعت الحرب بينهم وبين خزاعة وبني بكر فكثرت القتلى
ثم مالوا الى الصلح وحكموا عمرا بن عوف بن كعب فقتل قصي لقصي بولاية

البيت ومكة واهدر كل دم اصابه قصي من خزاعة ثم جمع قصي قومه من
الشعاب والاولدية والجبال واسكنهم مكة وانزل بني محارب بن فهر وبني
الحارث بن فهر وبني بغيض بن عامر وبني تيم الادرم بطواهر مكة فسموا
قريش الظواهر ثم اجتمع القرية ان وولوه الملك عليهم فكان اول ولد كعب بن
لؤي ملكاً وكان اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز كل
شرف قريش وتيمنت قريش به فما تزوج امرأة ولا يعقد لواء ولا يتشاورن في
امر الا في داره . وخطب في قومه فقال انكم جيران الله واهل بيته وان
الحاج ضيف الله وزوار بيته وهم احق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاماً
وشرباً ايام الحج فكانوا يخرجون من اموالهم فيصنع به الطعام ايام منى فيجري
الامر على ذلك جاهلية واسلاماً مدة وهذا هو الرفادة . ولما كبر وكان
ابنه عبد مناف ساد قومه وانتهت اليه الرئاسة في حياة ابيه شكاً اليه عبد
الدار ضعفه في قومه فاعطاه دار الندوة وحجابه الكعبة واللواء فلا يعقد
لقريش لواء الا بيده والسقاية والرفادة . اما اللواء فبقي في بنيه الى ان جاء
الاسلام فابطله واما الرفادة والسقاية فان بني هاشم وبني عبد شمس وبني
المطلب وبني نوفل اجتمعوا على اخذها من بني عبد الدار لشرفهم عليهم
فتفرقت قريش مع الفريقين فكان بنو زهرة وبنو اسد وبنو تميم وبنو
الحارث مع بني عبد مناف وكان بنو سهم وبنو جهم وبنو مخزوم وبنو عدي
مع بني عبد الدار وتمتاع كل فريق مع حزبه وتهاوا للقتال ثم انتهوا الى
الصلح على ان تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف فكانتا بعده في
هاشم ابنه ثم للمطلب اخيه ثم لابي طالب ثم اعطاها لاخيه العباس واما

دار الندوة فبقيت لعبد الدار وولده من بعده حتى باعها عكرمة بن عامر
ابن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن معاوية بن ابي سفيان فجعلها
دار الامارة بمكة ثم دخلت الحرم واما العجاجة فبقيت في بني عبد الدار
الى الآن وهم بنو شيبه بن عثمان بن ابي طلحة بن عبد العزي بن
عثمان بن عبد الدار . وانما ذكرنا هذه النبذة من تاريخ اجداده صلى الله
تعالى عليه وسلم لتعلم انه سيد ابن اسياذ وانه عريق في الشرف والمجد ولا تزال
تترقى اجداده الى عدنان وكل واحد له فضل ما ثور وذكر مشهور وسيادة
في قومه وعز بين قبائله فلم يجي من قوم ادنياء ولا من جماعة وضعاء ولا من
سفلة الناس بل جاء من اعز بيت واشرفه واكرم قبيلة واعزها وافضل شعب
وامجده تحوطه السيادة من آبائه وامهاته ولولا خشية الملل لذكرت آباءه آباء
آبائه وامهاته أما أما ولكن ذلك مشتهر معلوم مدون في امهات الانساب
ومطولات كتب السير والاختبار . توفي ابوه عبدالله بالمدينة وقد ارسله ابوه
عبد المطلب يمتاز له تمرا والنبي حمل في بطن امه ثم ولدته وارضعته في بني
سعد فان العرب كانوا يرضعون اولادهم من الغير لياتي الولد نجيبا اذ
كانوا يقولون ان ارضاع الام ولدها مفسد لاخلاقه وذلك لانها ترضعه فوق
ما يلزم من اللبن شفقة عليه وهي انما تسمى في النخمة فتجلب عليه الامراض
بسوء تدبيرها ثم انها تقصر في كفه عن القبيح رحمة به فيخرج سفيها غير
مذهب بخلاف الموضع فانها لا ترضعه الا ما يلزم من اللبن لقوته وتنظفه وتتركه
يتورك ويتربض وتقره عند ما يشب ويمشي وترده عن الرذائل بعنف لئلا
يعود فيخرج مؤملا للكالات . وقد كنفه بهد ابيه جده عبد المطلب حتى

توفي فكفله عمه ابو طالب حتى كبر فكان يسمي بين اهل مكة الامين
وما وقعوا في امر الاحكاموه فيه واشتهر بالصدق والشجاعة والامانة وعلو الهمة
فلما بلغ الخامسة والعشرين من عمره خطب له عمه ابو طالب خديجة بنت
خويلد بعد ان ارسلت الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم تعرض نفسها عليه
للزواج فامهرها ابو طالب ودعا قريشاً وخطب فيهم خطبته الشهيرة فدخل
بها واولدها القاسم وعبدالله وفاطمة ورقية وزينب وام كلثوم واولد مارية
القبطية ابراهيم . وقد حضر عليه الصلاة والسلام حلف الفضول وهو ان
الفضيل بن الحرث الجهمي والفضيل بن وداعة القطوري والمفضل بن
فضالة الجهمي اجتمعوا فتحالفوا على ان لا يقرؤا ببطن مكة ظالماً وقالوا ان
الله تعالى عظم امر مكة فلا ينبغي لها الا ذلك ثم درس ذلك بتوالي الزمن
حتى اجتمع بنو هاشم وبنو المطلب وبنو اسد وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة في
دار عبدالله بن جدعان وتمالفوا على انهم لا يمدون بمكة مظلوماً من اهلها
او من غيرهم الا قاموا معه وكانوا على ظالمة حتى ترد اليه مظلمته وسموا
ذلك الحلف حلف الفضول وقد حضره النبي ونال حين ارسله الله تعالى
لقد شهدت مع عمومتي حلفاً في دار عبدالله بن جدعان ما احب ان لي
به همر النعم ولو دعيت به في الاسلام لاجبت . فانظر هذه المكرمة التي
اتخذها العرب ايام الجاهلية وهم سكان جبال وقنار ما قرأوا كتاباً ولا عرفوا
مدينة ولا خالطوا اعماماً مهذبة وهل يوجد في الجمعيات الانسانية التي تفتخر
بها اوربا الآن جمعية مثل هذه التي تاخذ المظلوم بحقه من الظالم وتحفظ
الحقوق لاهلها وتكف يد الاستبداد عن كل ذي روح . كل جمعية انسانية

بعد هذه لا تساويها في الدرجة كيفما علت مراتبها وشرفت مقاصدها
 ووقع بين سيدنا الحسين ابن سيدنا علي بن ابي طالب وبين الوليد بن عتبة
 منازعة وهو اذ ذاك على المدينة من طرف عمه معاوية فتعامل الوليد على
 سيدنا الحسين لتمكنه من القوة والسلطان فقال له الحسين اقسم بالله
 لتنصفني او لاخذن سيفي ثم لاقومن في مسجد رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم ثم لا دعون بحلف الفضول فقال عبد الله بن الزبير وانا احلف
 بالله لو دعا به لاجبته حتى ينصف من حقه او نموت وبلغ الخبر المسور
 بن مخزومة وعبد الرحمن بن عثمان التيمي فقالا مثل مقالته فلما رأى الوليد
 تدافع الناس حوله انصف سيدنا الحسين من نفسه ورد له حقه ولو وجدت
 جمعيات كهذه الآن لآبادت خلقاً كثيراً . وفي السنة الخامسة والثلاثين
 من مولد النبي صلى الله عليه وسلم هدمت قريش البيت وبنته حتى بلغ
 البنيان موضع الركن وفيه يوضع الحجر الاسود فارادت كل قبيلة رفعه الى
 موضعه ووقع بينهم الخلاف وانتهى الى تحاقمهم على القتال ومكثوا اربع ليال
 يتشاورون فقال ابو امية بن المغيرة اجعلوا بينكم اول من يدخل عليكم
 المسجد حكماً يقضي بينكم فدخل النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا هذا الامين
 قد جاء رضىنا بحكمه واخبروه الخبر فقال هلموا الي ثوباً فاتوه به فاخذ
 الحجر الاسود ووضع في الثوب ثم قال لناخذ كل قبيلة بناحية من الثوب
 ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا فلما بلغوا به الموضع الذي يوضع فيه وضعه بيده ثم بنى
 عايه . وكان الذي يلي هذا البيت سيدنا اسمعيل ووليه بعده ابنته نبت ثم
 غلبت جرهم على ولد اسمعيل فاخذته منهم فوليه مضاض ثم بنوه من بعده

حتى بغت جرمهم واستنحت حرمة البيت وظالموا من دخل مكة من الحاج وغيرهم وظهر فيهم الزنا والفساد فسلط الله عليهم الرعاف ثم اجتمعت خزاعة على اجلائهم فاقبلوا حتى هزمت جرمهم فخرجت الى ارض جهينة فجاءها سبيل فذهب بهم اجمعين وفيهم يقول عمرو بن الحرث

كان لم يكن بين العجوة الى الصفا انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا صروف الليالي والجدود العواثر
فولى البيت بعدهم عمرو بن ربيعة رئيس خزاعة ثم وليته قريش بعد
خزاعة الى ان جاء قصي فاخذه وانفرد برأسته بين قريش كما لفدم . ثم اخذ
النبي يتعبد في غار حراء من صغره فلم يعبد وثنا ولا حضر ذبيحة لصنم ولا
اجتمع مع قريش في مجمع عبادة بل كان يخلو بنفسه في الجبل وربما اقام
فيه الليالي الكثيرة العدد وكما رأى قريشاً حول الاصنام سفه احلامهم وقبح
آراءهم وزجرهم عن عبادة صور يصنعونها وحجارة ينحتونها بايديهم وذكرهم بدين
ابيهم ابراهيم وكان اليهود يحذرونه ويقران نخشى ان يكون هذا المبعوث
آخر الانبياء فيبطل ديننا ويدعو الى كلمة سواء وقد حذر بحيرا الراهب عمه
ابا طالب وقال ان ابن اخيك هذا يكون له شأن عظيم ولئن ظفربه بنو
اسرائيل ليفعلان به شراً فاحذرهم واحتفظ به وعاش في قومه اربعين سنة
قبل ان يرسله الله تعالى ما ضبطوا عليه كذبة ولا رأوه وقع في مكروه ولا
تلبس بمعصية ولا تعدي على احد ولا تعرض لجاره ولا طمع في مال ولا تطلع لجاه
ولا زاحمهم في نادي لهو ولعب ولا شاركهم في شيء من عوائد الجاهلية ولا
يخل بعطاء ولا حكم بغير حق ولا تكلم بلغوا ولا افحش في قول ولا اثار فتنة

ولا وشى باحد ولا نم على احد ولا افسد بين اثنين ولا قصر في صلح
المتأقرين وتأليف المتباغضين حتى كان احب الى قريش من ابائهم بل من
انفسهم لما خص به من الصفات الحميدة والاخلاق الجليلة والافعال الجميلة
وكان على جانب عظيم من اللين يطعم الطفل ان يقعد في حجره ويعبث في
زدائه ينتصر للمظلوم ويتقاضى له خصمه ويعينه على رد حقه . لا ينطق الا
بقول فصل وحكم عدل له هيبة في القلوب كانه ملك محاط بجنود واعوان
دخل عليه في بيته رجل فاخذته الهيبة فارتعد فقال له هون عليك فانما
انا ابن امرأة كانت تأكل القديد فتنازل له في الخطاب ونسب نفسه الى
امه تواضعا ووصفها بانها كانت تأكل القديد لئلا يظن الرجل انه ابن ملك
فيقع في قلبه ما يقع عند مقابلاته الملوك وهذا تواضع غريب ولين جانب لم
يلدته فيه لاحق وكم له من سجايا واخلاق واوصاف ان وجدت واحدة منها في
انسان انطلقت الالسنه بمدحه والثناء عليه بما يفوق الاطراء وقد جمعت فيه
خلقة وفطرة بخلق الله تعالى وحسن عنايته به فحق له ان يفخر بقوله ادبني
ربي فاحسن تأديبي

٣٢ غ

ومن الذي رباه هذه التربية وعلمه هذه العلوم وفي اي مكتب وصل
الى هذا التأديب والتهذيب فان الانبياء السابقين تعلم كل منهم على استاذ
معين وهو غير ثم افيضت عليه الكمالات حتى تأهل للرسالة فارسله الله
تعالى وهو مرشح لارشاد الخلق ودعوتهم الى عبادته ولم يبعث نبي الا وهو
متعلم بما به يؤيد حجته ويقوم برهانه فان مجرد الارسال لم يكن كافياً في بث

الحق في اذهان الناس خصوصاً ومعظم الانبياء انما بعث الى قوم وثنيين
فتزع ما بأفكارهم من الاعتقاد المتوارث عن آباءهم لا يكون بمجرد الاخبار
بالرسالة او قراءة شيء من الكتاب الداعي الى الاخذ به والعمل بما فيه بل
لا بد وان تكون الدعوة مصطبحة بقوة علمية جدلية وانتدار على المماطرة
واطلاع على سير الامم واحوالهم فلهذا تعجبت من حسن ما سردته من سيرة
نبيكم وطلبت منك بيان مكتبته ومعلمه لا كون على يقين في شأنه

ش

انت تعلم ان نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم ولد بمكة كما اخبرتك
وكانت مسكن الاميين بل ان العرب كادوا ان تعمهم الامية فانه ما كان
يوجد في مثل مكة الا آحاد من الناس يعرفون الكتابة ممن يترددون على
اليمن وبلاد نجران وبلاد الشام للتجارة وحضور المواسم وقد تربى نبينا صلى
الله تعالى عليه وسلم في بني سعد رضيعاً ثم سلمته مرضعته الى جده عبد المطلب
وهو تركه تحت وصاية عمه ابي طالب فخرج امياً لم يتعلم قراءة ولا كتابة
ولا جلس بين يدي معلم من اهل الكتاب يدلك على ذلك اطباق الامم على
اختلاف ادبانهم واوطانهم ولغاتهم على انه امي وعدم اتهام قريش له بقراءة
كتاب او حفظ تاريخ ولم يسمع ذلك عنهم مع انه تعرض لتسفيه احلامهم
وتزييف عبادتهم وتقييع عوائدهم ودفعهم عن معبوداتهم الباطلة باشد ما يكون
من التقرير والتوبيخ ولم يتجرأ واحد منهم على نسبة ما يقوله للكتاب او لمعلم
غاية ما قالوه بعد انتشار دعوته ان سلمان الفارسي يعلمه مع انه ما صحبه الا
بعد الدعوة بكثير على انه كان فارسي العبارة لا يحسن العربية والنبي لم يتعلم

الفارسية حتى يحسن الاخذ عنه وما أخرهم عن نسبته الى معلمين الا علمهم بانه
 تربى بين ايديهم لم يخط بقلم ولا قرأ في كتاب ولا صحب كاهنا ولا حبرا ولا
 عالماً بالسير والخبار وكان اكثر ما يقولون انه ساحر او كذاب وهذان
 وصفان لا يستأزمان سبق تعلم قراءة او كتابة فان السحر قد يشتغل به الرجال
 الذين لا يكتبون والنساء اللاتي لم يخاطن العلماء والقراء فلذا سهل عليهم
 رميه به ونسبته اليه ولطالما وقع لهم معه وقائع تستدعي الكتابة كيوم الحديبية
 فاستدعى عليا بن ابي طالب ليكتب عنه ولم يقل له احدهم اكتب بيدك
 فانك متعلم لست بامي . وكما انه لم يتعلم الكتابة لم يجالس كهانهم وحكماءهم
 لعلهم انهم يتكلمون باللغو والباطل ويجذبون قلوب الناس بما يفترونه وما
 يزينونه لهم من الاعمال فكان يتعاشى مجالس هؤلاء ويجالس الاميين والضعفاء
 ولو كان تعلم شيئاً من العلوم او صحب عالماً مرة لامتثلت كتب الاخبار بذلك
 خصوصاً كتب الذين يعارضون دينه ويبحثون على ما يضعفون به حججه
 ويدفعون به دعواه الايماء اليه خصوصاً عندما يسمعون قول الله تعالى الذين
 يتبعون الرسول النبي الامي الذي يجذونه مكنوياً عندهم في التوراة والانجيل
 يا مرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وقصص كتاب الوحي معه لا يخلو منها
 تاريخ ولا ينكرها من له ادنى اطلاع فهو امي امية لم تشب بتعليم ما والذي
 تسمعه من سيرته فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

غ ٣٣

ومن اي شي كان يرتزق قبل بعثته فاني اسمع كثيراً من الناس يقولون

انه كان ياكل من مال زوجته خديجة

ش

من لا اطلاع له على الحقائق والسير الحقة يقول ما يشاء لا يبالي خطأ
او اصاب فان شهرة آباءه وبيت هاشم تغني عن التفصيل ولكن لزيادة الايضاح
اقول لك ان جده عبد المطلب كان غنياً بل كان اغنى اهل مكة وقصته مع
ابرهة ملك الحبشة في طلبه رد ابله معلومة وكذلك افتداؤه ولده عبدالله
بمائة ناقة وذبحه للحاج ما يقوم بكثير من الوفود وبعد وفاته كان في كفالة
عمه ابي طالب وكان عمه هذا يتجر في القماش والزيت وله حظ وافر
بين اهل مكة وقد امهر خديجه عشر قلائص وغنى عميه العباس وعبد
العزي لا يختلف فيه اثنان فهو من بيت مجد وشرف وثروة تناسب حال
ذاك الزمن وتلك البقعة الجرداء وما كانت تنفقه خديجة انما هو في خاصة
نفسها وحاجة بيتها فان الركون الى ثروة المرأة لم يكن مالوفاً عند العرب
كما هو مالوف عند الاوروبيين الآن وقد بقي عمه ابو طالب حياً ينفق
عليه حتى بلغ من العمر تسعاً واربعين سنة ولو علم اهل مكة ان خديجة
كانت تنفق عليه وتطعمه لبروه بذلك وعدوه من دواعي احتقاره وعدم
اعتباره ولم يسمع من اهل مكة قول في هذه القضية وعندما امر بالقتال كان
يأكل من سهمه الذي يأخذه من الغنائم . ومعلوم انه بنى امره على الزهد
والاقتصاد وعدم التوسع في المعيشة فلذلك كان يقنع بميسور العيش وما
زاد عن نفقته ينفقه ولا يتركه يبيت عنده ومن كانت هذه صفته كان
ابعد الناس عن التطلع لمال الغير والطمع فيما بأيدي الناس من النعمة
وسيان عنده ايسرت زوجته او اعسرت الا ترى انه اخذ زوجات بعدها

كان ينفق عليهم ولبس لاحداهن شي . يذكر من المال والمناع فهو في
نزاهة نفس وغنى بيت لا يذكر في جانبه احتياجه لثرا او مثرية خصوصاً
وثقته بالله تعالى لا تعادلهما ثقة مخلوق وهو يقول له لا نسألك رزقاً نحن
نرزقك والماقبة للتقوى

٣٤

غ

انه زوج بعض بناته قبل بشته فعلى اي شرع كان يزوج ويتزوج
ش

كان يزوج ويتزوج على شرع اسمعيل فقد كانت العقود عندهم
موقوفة على ايجاب وقبول وكانوا يهرون النساء ويولون لحضور القبيلة
مجلس المقد فيقوم الرجل ويخطب الخطبة وفيها يصرح بخطبة المرأة ومقدار
مهرها فيعييه الولي ويتم صفة العقد على صورة شرعية وعلى هذه الصورة
زوج بناته وتزوج ازواجه وكذلك اباؤه الاعارن ما اخذوا زوجاً بغير عقد
شرعي كما قال ما ولدني من سفاح الجاهلية شي .

غ

حسبك الآن سرد ما قلته وفي غد نجتمع ان شاء الله فان عندي
اشغالات تختص بالعزبة اذ لا يخفك اننا نجتمع القطن الآن واحب ان اقف
آخر النهار عند المخزن لوزن ما يحضره الجماعون وملاحظة وضعه في المحل
الذي اعينه للشفالة — هذا صديقنا المحترم محمد الهمشري حضر من طرائس

محمد

السلام عليكم ورحمة الله — ان حضرة الاساذ الاكبر رضي الله تعالى

عنه يسلم عليك ويقول لك دع عنك هذه الوسوس والاهام واشتغل
 بطاعة الله تعالى واكثر من ذكر الله ليلاً نهاراً ينور الباطن ويصفي القلب ولا
 تماق أملك بخروجك في هذا الهمام او الذي بعده فان الامد طويل وعمله
 عند الله تعالى والشئ الذي استأثر الله بعلمه لا تشغل نفسك به بل اشغل
 وقتك بما ينفعك ولا ينفعك الآن الا الالتجاء الى الله تعالى والا نقطاع اليه
 والتوسل بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم فذلك في حالة لا ينفعك فيها صدق
 ولا صاحب ولا يقرب منك اخ ولا خليل وليس بعد هذه الشدة شدة
 فاجتهد في الطاعة والابتغال الى الله تعالى واعمر وقتك بعبادة او بالاشتغال
 بكتابة تنفع عباد الله تعالى وقد اكد علي ان اشد عليك بطاب قراءة
 سورة يس احدى واربعين مرة كل ليلة وان قرأتها العدد المذكور في النهار
 مرة كذلك كان احسن وقد اخبرني بذلك وهو ضاحك فاستبشرت وزال
 ما عندي من الفكر في شأنك والله تعالى يحسن العواقب

٣٥ غ

من هذا الاستاذ واي ارتباط بينك وبينه

ش

هو امثاذا الكامل المولى الفاضل الورع التقى السيد شحانة القصبي
 وهو شيخ من الصالحين المنقطعين الى الله تعالى ولكنه يأكل من كسبه ويقوم
 بيته ولا يطلب من الناس شيئاً ولا يأخذ عوائد من مريديه كما يفعل اشيخ
 الطريق بل بيته مفتوح للصادر والوارد وكرمه زائد وفضله مشهور وهو الذي
 اخبر صديقي محمداً الممشري بمكاني الاول وبعث لي جواباً يقول لي

فيه قم معه ولا تبرح من عنده حتى يأتبك اذني ولي به ثقة عظيمة
لتقواه وحسن صلاحه وقوة يقينه ولطف سيرته التي انفرد بها في
عصره ونحن معاشر المسلمين نعتقد ان الارواح الطاهرة تلهم من جانب
الحق سبحانه وتعالى ما لا تلهمه الارواح الخبيثة فلنا اعتقاد في الصالحين
من شيوخنا لا على ما اخبرني به في اسكندرية من اننا نعتقد ان الاولياء
يخلقون ويدفعون المصائب بأنفسهم ويجابون النوائب بقدرتهم فان اعتقاد
ذلك كفر صريح عندنا وانما نعتقد ان دعاء الصالحين اقرب الاجابة من
دعاء غيرهم فلذا نقصدهم لطلب الدعاء عسى الله ان يقضي الحوائج ببركة
دعائهم فقد قال في كتابه الذي نعتقد صحته . ادعولي استجب لكم . وهوؤلاء
الاشياخ تلقوا كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله عن اشياخهم بالسند
المتصل الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فالتاس وان تلقوها عن آباءهم
وصاروا بها مسلمين فانهم ياخذونها عن الاشياخ للبرك بالسند الذي هو
كالهبة والبرهان او كالرخصة من الشارع في ذكرها . ثم ان الاشياخ شأنهم
بذل النصيحة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم مكارم الاخلاق
والحث على الطاعة . وكل شيخ له جملة تلاميذ يتلقون عنه وهوؤلاء
يصيرون اخواناً ينفع بعضهم بعضاً ويتزاورون ويتناصحون ويتسألون فيما
بينهم عن العقائد والفوائد النافعة للدين والدنيا ولا يوجد في الجمعيات التي
عقدت لهم آخاة ما يوجد عند اخوان الطريق المخلصين من الالفة وحسن
التودد ومدار ذلك على استقامة شيمهم وحسن سيرته فان كان مستقيماً
مخلصاً بعيداً عن الرياء وحب المظهر والجاه مقيداً بالكتاب والسنة كان

ابناؤه على قدمه وانتفعوا بصحبته ومواعظه وان كان من اهل الدعاوي
الباطلة المحيين للمظهر والجاه المتعرضين لاموال الناس المقصرين في الطاعة الميالين
للبدع والاهواء لم ينتفع به احد ولا تؤثر تربيته ولا يفيد مريد به غير الخسران
والضلال بتقليده فيما يدعيه ويتحمله والناس تظن في شيوخ الطريق
الظنون الفاسدة ويرمونهم بالنقيصة جهلاً بحقيقة الامر وقياساً لاهل الحق
على ما يرونه من اهل الباطل : انظر لشيخنا كيف يامر بالطاعة وينهي عن
المعصية ويحيل الامر على ما عند الله ويلزمنا بالانقطاع عن الخلق والالتجاء
الى الخالق والاشتغال بذكره ليصرف عني الهم والافكار السيئة ويرميني من
المواجس والخواطر بما يحدثه التوكل على الله تعالى من الثقة به وعدم الخوف
من سواه واطمئنان النفس بركونها الى العزيز القادر جل شأنه فأكل واشرب
وانام وانا في راحة بال منصرف عن المواجس موقن بان المقدر كائن فان
كان خيراً فلا يدفعه الامن وان شراً فلا يئمه الخوف فاولى ان اريح افكاري
واشتغل بما امر به تاركاً العقبي لما جرت به المقادير من قبل

٣٦ غ

وهل تقابلت مع الشيخ في هذا الاختفاء قبل حضورك هنا

ش

لم اتقابل معه الى الآن وانما بعثت اليه من اخبره بمكاني الاول وكنت عازماً على
السفر الى الشام ومنها الى اوروبا فمنعني من الخروج من البلاد وامرني بالتستر
حتى يقضي الله تعالى بالفرج وقد رابت بركة رايه فان السيد حسين موسى
العقاد وسليمان بك سامي قبض عليهما بعد خروجهما من البلاد فلو كنت

خرجت الى الشام لقبض عليّ هناك كما قبض عليها في بلاد الدولة . وانا
الآن آمن في هذا المكان . معتقد انه لا يصيبني الا ما قدره الله تعالى واراده .
وما احب ان اخرج الى بلادكم بطريق الحرب فاني غير واثق بنجاح عملي
هناك لعلمي ان الشرقي لا ينتفع بشيء منها الا ان يتجر في مصنوعها بإرساله
الى الشرق ووربما لم يصادف نجاحاً بما كسبه اهلها له وليس عندي ثروة تساعدني
على الإقامة فيها بلا عمل ولا اريد ان اكلفكم بصرف زائد لاجل غير معلوم
فأولى لي ان اقيم ببلادي منتظراً تفريج كربى ولا يخفك ان كل شيء له
غاية ينتهي اليها وامري لا بد وان ينتهي باحدى الغايتين السلامة وهي
المرجوة او العطب فلا ينبغي ان اجعل حياتي المتوسطة بين الوقت الحاضر
والغاية محل كدر واهام بل اللازم ان اصرف الوقت في عبادة وكتابة حتي
اصل الى الغاية وانا صحيح الفكر والجسم ان شاء الله تعالى

٣٦ م

ارى ان السيد بعد سرد صفات نبهم (عليه الصلاة والسلام) سيدخل
على المسئلة الشرقية ببيان اصول دعوتهم وانتشارها وابتداء التخاذل الحاصل
بين الامم الآن بسبب الخلاف الديني واحب ان يؤخر السيد هذا ويوسع لي من
جانبه ايمكنني من الخوض معه اولاً في بحر عصيته الشرقية الاريمة والسامية
وما كانت عليه قبل البعثين وبعدها من حيث المدنية والسياسة والعوائد
والاخلاق والمعاملة وارتباط فروع هذه الجنسية المنتشرة في جزيرة العرب والشام
ومصر والغرب والعراق والحبشة وما تنخلل الحالتين من العواض والمقتضيات
وما بارضكم من المعدات العمرانية والمعينات الاستيطانية وما خصصتم به من

الطباع والفطريات قبل ان ندخل في المقابلة بين المسئتين الشرقية والغربية
لاقف على الحقائق اصولاً وفروعاً قديماً وحديثاً حتى لا ارجع الى الحوادث
الحالية ومظاهرها واعرف سياحة ملوككم واطبقها على سير عصبيتكم لا تبين
النفور الحاصل الآن بين المائين في وطن او وطنين واتحقق ما للصبيحة
الشرقية من الارتباط والافتراق قبل البعثين فاني ارى هذا المبحث يكشف
وجوه المسئتين ان لا وقوف له على الحقائق الا بالسمع والتلفيق من متعصب
او متغال في الاطراء او متلون بمشربته

ش

لم نقترح غير ما هممت بان اوعز اليك به فاطرحي رداء المخاباة والمالأة
وشكري عن ساعد الجد في البحث والنقد والاعتراض واستقصاء الاحوالنا
الشرقية وكل ما كان عليه قومنا وما طرأ عليهم ولا تؤخري امرا مراعاة لجاني
ولا تتغاضي عن آخر في جانبك فهات سوألا ونحذي جواباً حرّاً لنا وعلينا
فالمباحث تكشف الحقائق وتعرف البسائط وتعمل المركبات غير اني ارجو
ملاحظة النظام الموضوع وتتبع فروعه من غير شذوذ الى غيرة مع مراقبة انا
في التأسيس الشرقي فلا تتحولي عنه الى التفريع وعوارض المسئتين حتى لا
تتشوش المطالب بتوزيعها في اطراف المناظرة ونرجو حضرة الخواجة ان يعين
النظر ويدقق البحث فيما يدور بيننا ليشبهنا على خطأ او يردنا عن خروج
او يعترضنا بما يعين له كما ارجو ان لا تخرجني بي الى ما يعجزني عن الجواب
لعدم المواد وان لا تؤخذيني بما اقصر فيه مما اقف عند المنهال منه او المحفوظ
فان سوأالك تضمن مباحث طويلة ومواضيع واسعة

٣٧ من

ما حماني على تطلي هذه المباحث والوقوف على حقة نفكم قبل البعثتين
 الافكر اشغل ذهني وذهول اعتراني وأسف عظيم اكمدني عند ما مررت في
 فوات الشام وبجانب بلدانه في الشهر الماضي عند قدومي من دمشق الى بيروت
 بعد ما زرت شقية قتي اذ رأيت آثار التدمير والتخريب ونظرت في تلك الاودية
 الوسيعة الحالية من السكان وقد ردت عدداً من النفوس الهادمة ممن كان يسكنها
 ويمررها فكاد يخلع عظمه قايي الشدة تأثيره به ثم تصورت ان تلك الارواح
 الطاهرة والنفوس الزكية اقتطعت زهرة حياتهم من رؤس اغصانها في سبيل الدعوات
 الدينية والمغالبات المادية وبينما انا اذكرك في تلك الام وما دهمها من الغارات
 خطرت لي الحروب الصليبية ومن هلك فيها من الامتين الشرقية والغربية
 فنترت جواني وتشجبت اعضائي وارسلت صيوني دمعاً كاد ان يخط له مجرى
 في خدي وكسلما هممت بتغليء امة من وجه صوبت عملها من آخر ولا
 اراك الا متأسفاً مثلي نائماً على من انقم عليهم عند كشف حقائق الظالمين
 والمتغلبين فالما العرب والشميون فرعان من الفروع السامية او الاريمية وقد
 اخذا دوراً عظيماً في المدنية ابام الجاهلية الاولى . غلبني البكاء بمجرد التذكار
 فلا حول ولا

ش

آه آواه من ألم ألم باجسام العقلاء لا يبرء منه مدة دوام الشام وهي
 لا انقضاء لها ما بقيت الاجزاء الارضية اشركيني معك في مسح الدمع ساعة
 على جنة يبست اغصان ثروتها وذوت ازهار بهجتها وانضبت ميساء حياتها

فأصبحت محل تذكار واعتبار . تلك الساحة التي كانت ميدان الرهات
ومجرى السوابق ومنشأ الصناعة ومكتب المعارف ومبدأ السياحة ومجمع
التجارة ومرجع الملاحة ومسكن العز ومشوى الرفاهية ومقل الاتجا، ومرجع
المفاخر ووطن الحركة وارض النشاط ضربت عليها السعادة خيامها فتصدها
الدالم بتفناء ظلالها وينداوى بعرف شذاها ويتبس من نور معارفها ما يستضيء
به في ظلمات اوطانه . هذه هي الارض المباركة الطيبة التي بذرفها وفي مجاورها
الجنس القوقاسي حبة الاصل الارمني فانبثقت شجرة مباركة تحلت بفروعها العربية
والشامية والمصرية والتونسية والمراكشية والعراقية والحبشية ثم نمت تلك الفروع
وتشعبت منها اغصان عمرت كثيرآ من الخراب واصبحت اقطاراً فاسدة وزاحمت
الوحش في غاباته حتى طردته الى الاقاصي وزينت وجه الارض بمظاهر العمران
ثم ظهرت تلك الفروع والاغصان بابتداع الصنائع والآلات والمعدات التي بها
خرج العالم من الكهوف وتمتع بلذائذ لم تكن في تصوره فضلاً عن اكنانه .
هذه هي الفروع التي سارت امام العالم تعدوه باناشيد العمران وتقوده بمقود
المدنية ايام كانت فروع الاجناس المغولية والملابارية والهند الجرمانية
(الاوروبابوة) والزنجية تائمة في الجبال والمغارات تتغذى بطبيعي النبات
وتلتحف بمجلود الحيوان منكبة على الوثب الحيواني منقادة للطبيعة البهيمية
فارغة من الآداب والكيالات فمدت هذه الفروع العمران في الاقطار
وفتحت ابواب الاكتشافات البرية وخاطرت حتى دخلت المضائق البحرية
ووصلت الى كثير من الجزائر والمغارات ونقلت اليها اوقافاً من قبائلها واختطت
بها مدناً وبلداناً لا تنقص عن الوقت الحاضر مدنية بالنسبة لدورها الاولى

ونشرت علي العالم علم تمدن قاري كثير من الامم تحت احضانها حتى تهذبوا
وعرفوا قدر الجنسية وشرف الوطنية بما غدتهم من ألبان معارفها وما اشتغلت
به افكارهم بالاحتكاك في افكارها فقاموا عليها ومزقوا علمها واخذت كل امة
قطعة لونها بلون خاص ونشرتها على مرانعات اوطانها فيما تربته من اعلام المدنية
الكثيرة العدد الآن هي تلك القطع التي كانت مجمعة في العلم الارمني
المرفوع على مصر والشام والمغرب وبلاد العرب والحبشة والعراق فلا بدع ان قلت
بالشرقيين تمدن العالم ومن شرقهم ظهر الامران فابك الآن على بقايا تدل على
كميات واثار تدل على امم ولك العذر في البكاء ولا اوم علي ان ضربت الكف
بالكف اسفاً واكلمت اصابعي غيظاً وندماً - واسمع حضرة الخواجة يقول
اننا تأثرنا بعبارة حركت سوا كفننا واني انتقلت من الموضوع العربي الى موضوع
شامي اتكلم فيه بحرقه مصحوبة بفيض دمع وتصعيد زفرات - اما التأثر فطبيعي
لكل باحث في آثار الاوائل منقبض من احوال الاواخر واما الموضوع فاني
لم اخرج عن الموضوع الشرقي بل التاصيل العربي المتفرع مع الاصل الشامي
من اصل واحد وانما الدم الجنسي يميل بوحداته المتفرقة الى جرثومة الاجتماع
ويجتمع في دورته حول اروحة المشاء . فما رأيته من انتمالي عند ذكر وطن
ارمني على اختلاف فروعه فذاك قسري يجذبه الطبع فيتراخي فيه التطبع
فقد قال علماء السير والتاريخ ان اولاد سام بن نوح الشهيرين عند الافرنج
بالقوقاسيين عند ما تفرقوا نزل كنهان بن سام بولده دامشقيوس وولده ولده
بارض الشام ونزل ارفخشذ بن سام بولده عابر وولده بفسطيين من ارض
سورية ونزل الفلوح بن سام بولده همذان وولده ووسط الجبال من بلاد

فارس ونزل اشور بن سام باولاده باسل وايران ونبيط وولد اولاده بارض
 فارس فالديلم من باسل والفارس والحزم من ايران والنبيط والسريان من
 نبيط ونزل اليقن بن سام بولده الروم سيف آسيا الصغرى واخضعت زبطرة
 بنت ابنه الروم لذيبتها الشهيرة باسمها ونزل ارم بن سام باولاده اشوذ ولاوذ
 وجاثر وجديس وعابر وعرض بمجزئة العرب فمن عوض جاء عاد ومن عابر
 جاء ثمود ومن لاوذ جاء عمليق ومن جاثر جاء طسم . والله تآخرون من
 مؤرخي الافرنج اختلاف مع المتقدمين في هذا التفرع بل في الاصل التوليدي
 لا تطيل بذكره لما في ذلك من الخروج عن حد الايجاز الملتزم . وكيف لا
 ترى مني ما ترى والست تعرض لي بحركات جنسية تدافعت تدافع الصغر
 من قم الجبال فكسر بعضها بعضاً . ام كيف لا ارسل العبرات وهي تذكري
 بارض رضي الله والانسان عنها وجفهاها اهلها وعقها بنوها . الست ترى ان
 جميع الاديان على اختلاف مصادرها لم تظهر الا من هذا الجنس العاق لمفار
 نشأتها ان مهابطها منحصرة في العرب والشاميين والافريقيين وهم كما قدمنا اباء
 جنس واحد لم تداخله امشاج المولدين ولا اخلاط الدخلاء ثم هم هم الذين
 انقسموا العداوة ووزعوا الاحقاد في مجامعهم العمرانية تاركين تعاليم كتبهم
 الادبية وارشاداتها المذنية آخذين بطواهر الاختلاف والتباين حتى قست
 القلوب وافترقت الكلمة وتنافر الانارب واختلف الامل وعرفت الاجنبية
 بينهم فتسمى كل قسم باسم خاص يميزه عن فردة او جذعه وسنوا العدوان
 والمغالبة بما تدعو اليه المطامع وسقوا ارض نشأتهم بدماء ابنائهم وابائهم واخوانهم
 فهم يجهنون من غرس التعصب اكباد آباء وقلوب امهات يرثونها بذائب

المدواة ويسيفونا بماء الخلاف ويهضمونها بجمرة الاحقاد . وايتهم حاقظوا على
ما افترقوا لاجله حتي تكون الثمرات الملكية والمظاهر الزمنية ستراً على تلك
الاضغان ولكنهم تهاونوا وقصروا ثم تنافروا وتخاذلوا فانت الدعوة الكلدانية
بالقوة الفارسية وتبدد المظهر الاسرائيلي فكان غنيمة للاجناس وانتقلت مظاهر
الدعوة الشامية الى الفرع الهند الجرمني ومظاهر الدعوة العربية الى المغولي
ثم الى فرعه التركي . فمن يجبل انظاره في صفحات التاريخ السامي ولا يشق
الا كباد بدل الاطواني ويرسل الدم بدل العيون دعيني ابكي وانوح وما
علي من لائم اولاح فافكاري الآن في مأثم شرقي تسمع من رثاء الناديات
لفروعه قولي

مساكين اهل الشرق باتوا بظلمة ومن شرقهم بانت الى الأمم الشمس

٣٨ غ

اراك تعالي في جانب فروعكم السامية بلا دليل لقيمه ونتجاني عن
الهند الجرمني واغصانه مع شروق شمس مدينته فادفع عني هذا الحاطر بما
تعلمه في جانب فروع جنسيتنا العظيمة الشأن وما لما من الاعمال البديعة
والافعال العربية فان اندفاعك في جانب جنسيتكم ورفعها الى اعلى مقام مع
تفاضيك عن غيرها ما يعاب عليك ويوجب انقباض النفوس منك

ش

ارى الحاجة غضب عند ذكر الفروع الاريمية بطريق التلويح وظن اني
احابي قومي واتعامل على غيرهم مع اني لم اذكر الا كليات استدعاها المقام
ثم نسب الي التجاني عن الفروع الهند الجرمانية مع علمه اننا لم نحقق الاصول

الشرقية واعمالها حتى ندخل على الغربية واحوالها ثم اراء بظالمني بالدليل
واقامة البرهان على ما نسبته لفروعنا من المدنية وسابقة العمران وما اظنك
ترد الماثور او تنكر المشاهد او تجمع المعلوم فان العرب والشاميين اسسوا
من مباديء المدنية وقواعد العمران ومعدات الحضارة ما حفظه لهم التاريخ
وان جهله ابناؤهم او تناسوه ولا تظن الي اعني ما كان منهم بعد بعثتهم
بل اريد ما اترابه قبلها فانسه اعظم في الفضل وارقى في المجد وحيث
انك ظالمتني بدلائل والمقام غني عنه فخذ الجواب بحسب الممكن
بالاستقراء . تعلم ان اللغات دلائل على درجات اهلها من حيث المدنية
وعدمها والقدم والحدوث فان اللغة تعظم وتوسع موادها كلما دعت ضرور
العمران والمدنية الى اتساع نطاقها بتسمية الموجودات والمبتدعات وتوضع
على قواعد مطردة عندما تنمو معارف مدنيها وتنور افكارهم وتنتشر
فيهم العلوم وتوجد عندهم المدارك العالية وتقتصر في الامة القاصرة في
المدنية والعلوم وتضييق الى حد المصطلحات على ضروريات المآكل والمشرب
والمعاملة الفطرية . وهذه اللغات السريانية والعربية والفارسية والعبرانية
تنبهك بابوابها وفصولها وقواعدها المنتظمة المضبوطة عما دعت اليه ضرورة
عمران اهلها ومدنيته من كثرة الاشتقاق وتعدد المترادفات وتقسيم المواد
وتسمية الموجودات من مدن ونبات وحيوان وآلات صناعة واثاث بيت
ومواد زراعة ومعدات حرب واصطلاحات تجارة وتعليم ومعاملة وتنبهك
بما يوجد في كل واحدة من دخیل الاخرى عن تبادل المحبة بين اهلها
واختلاطهم في المجامع والاستيطان والرحلة والاتحاد فلا تكاد ترى

رقم الايداع

٩٥/١٠٥

I.S.B.N

977- 18 - 0010 - 8

